أعلام المسلمين

٨٥

السيد

سليمان الندوي

أمير علماء الهند في عصره، وشيخ الندويين

تأليف

الدكتور محمد أكرم الندوي

دار القلم
دمشق

السَّيِّدُ سُلَيْمَانُ النَّدْوِيُّ

أَمِيرُ عُلَمَاءِ الهِنْدِ فِي عَصْرِهِ، وَشَيْخُ النَّدْوِيِّينَ

تأليف

الدكتور محمد أكرم النّدْوي

السيد

سليمان الندوي

أمير علماء الهند في عصره، وشيخ الندويين

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

هَـٰذَا الرَّجُـلُ

يتبوأ السيد سليمان الندوي اليوم أعلى مدارج حياتنا العلمية، إنه ليس مجرد عالم، بل هو أمير للعلماء، وليس بكاتب فحسب، بل إنه إمام الكتّاب والمؤلفين، إنَّ شخصه بحر للعلوم والمحاسن تخرُج منه مئات من الأنهار، وتستقي منه ألوف من المزارع اليابسة.

شاعر الإسلام محمد إقبال

يتشابه شبلي النعماني وسليمان الندوي تشابه ابن تيمية وصاحبه ابن القيّم.

أشرف علي التهانوي

إذا جُمع علم الغزالي والرازي إلى ورع الجنيد والشبلي تكوَّن منه سليمان الندوي.

أنور شاه الكشميري

كان السيد سليمان الندوي راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن، وعلم التوحيد والكلام، واسع الاطلاع، غزير المادة في التاريخ، وعلم الاجتماع والمدنية، منشئاً صاحبَ أسلوبٍ أدبيٍّ في اللغة الأردية، كاتباً مترسّلاً في اللغة العربية،

شاعراً مقلاً في اللغتين، مع إحسان وإجادة.

أبو الحسن الندوي

كان العلاَّمة سليمان الندوي موصوفاً بالذكاء والذاكرة القوية، رحلتُ من بيشاور إلى حدود الصين، فلم أجد بين من لقيتُ من العلماء والباحثين أحداً يشبه العلامة أنور شاه الكشميري وأبا الكلام أزاد، والعلامة سليمان الندوي.

أبو المظفر الندوي

يؤمن الزمان بأن السيد سليمان الندوي عالم فريد، وبحّاثة منقطع النظير، يخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفرّده بكتابة السيرة، ولكن قلّما عرف الناس مكانته في الأدب والشعر والنقد، وقلَّما علمه الناس كأديب منشئ وشاعر قدير.

عبد الماجد الدريابادي

العلاَّمة السيد سليمان الندوي من أولئك الرجال العظام الذين لا يجود بهم التاريخ إلا قليلاً.

محمد الرابع الحسني الندوي

لم يحضر السيد سليمان الندوي مجلساً إلا وتبوَّأ الرئاسة فيه، ولم يشارك في جمعية إلا وسلمت له بالقيادة والإمامة.

سعيد أحمد الأكبر أبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى فضيلة شيخنا الجليل العلامة الأديب، والصحفي الإسلامي البارع، الأستاذ الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الذي أدين له في كثير من جوانب حياتي العلمية والأدبية.

والذي أحببته لما له عليَّ من فضل ومنَّة، ولما يتصف به من مكارم الأخلاق، والعلم الغزير، والزهد في لذّات الدنيا، والإعراض عن شهواتها، والإخلاص، والتواضع، والبعد عن الرياء والسمعة.

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في حياته وأعماله، ويوفقنا للانتفاع بعلمه وهديه وسمته.

من تلميذه

الدكتور محمد أكرم النّدْوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
فضيلة الأستاذ
السيد سلمان بن سليمان الندوي

إني أكتب هذه السطور بناءً على طلب من الأخ العزيز (محمد أكرم الندوي)، والواقع أن هذا الكتاب لا يحتاج إلى مقدمة، لأن موضوعه حياة وأعمال عبقرية تتكفل بمكانته العلمية، ثم إنّ تكليف رجل أن يقدم لكتاب يتحدث عن والده، يوقعه في ارتباك، لكن إلحاح صديقي العزيز (محمد أكرم الندوي) غلب اعتذاري، ويصدق عليّ القول العربي السائر (كبّرني موت الكبراء). وكان أحق من يقدِّم لهذا الكتاب هو الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي التلميذ النجيب للعلامة السيد سليمان الندوي رحمهما الله تعالى، ولكن الله توفاه بمشيئته في الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول ـ ديسمبر سنة ١٩٩٩م إلى رحمته، فحُرمنا إرشاداته وتوجيهاته الكريمة.

هذا كتاب ـ بحمد الله ـ متكامل من جميع النواحي، ومرآة لحياة العلامة السيد سليمان الندوي، وإن إلقاء نظرة واحدة على فهرس

موضوعـاته ينمُّ عن تنـوع مجالات بـروز العلامـة الندوي، وتعـدد اختصاصاته، وكان أبرز جوانب حياته جامعيّتُه وتنوع اهتماماته العلمية، وظلَّ هذا الشمول والتكامل متجلياً فيه طوال حياته.

وإلى جانب هذا التنوع كان يتميز بجهده العلمي، وعنايته بالبحث والتحقيق، والاستقلال بالفكر والرأي، وتحولت مزاياه البارزة هذه مع تقدمه في السن والخبرة إلى منهج فكري فريد، لم ينتهج قط منهج التقليد في معناه الشائع، فساقه هذا المنهج العلمي والاستقلال الفكري إلى الأئمة الأعلام (ابن تيمية)، و(ابن القيم) و(أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي)، وظل ثابتاً على هذا المنهج من الفكر والبحث والتحقيق طيلـة حياته، وكـان من فضل مزاياه هذه أن أعجب بالإمام مالـك أيما إعجاب، فكان يقدم موطـأه على غيره من مصادر السنة، ويجلُّ آراءه واستنباطاته الفقهية إجلالاً كبيراً.

ليست الكتابة حول حياة العلامة الندوي ذات الاهتمامات المتنوعة والجوانب المتعددة سهلة، فلكل كاتب ومؤلف اتجاهه الخاص، فتخفى عليه جوانب ونواح، وقد حاول محمد أكرم الندوي أن يكشف القناع عن الجوانب المتنـوعة لحياة العلامـة الندوي، ويبرز اهتماماتـه العلميـة المختلفة.

عرف العالمُ السيد الندوي كمؤرخ وكاتب للسيرة، ولكن الصواب أن اهتمامـه الأصيل كان يدور حـول القرآن الكريم والحديث النبـوي

الشريف، وعلم الكلام، وتتضمن مؤلفاته (سيرة النبي) و(سيرة عائشة) و(أرض القرآن) دقائق تفسيرية واستنباطات حديثية.

ويشهد لتقدمه في التاريخ تحقيقه مؤلفات (الخيام) و(الملاحة عند العرب) و(الصلات بين الهند والعرب)، إني أرى الحاجة ماسة إلى معالجة النواحي المختلفة من حياة العلامة الندوي العلمية، فقد كان يحتل مكانة الإمامة والتفرد في الإنشاء العربي، والدراسات التاريخية والتحقيقية، والكتابات الأدبية، والاستنباطات الفقهية، والبحوث العلمية الخالصة.

إنَّ كتابه (سيرة النبي) الذي يقع في سبعة أجزاء كبار موسوعة لا يوجد لها مثال في لغة من لغات العالم، إنه رفع السيرة إلى صناعة علمية فريدة، فيا ليت جهة علمية تتولى نقل هذه المجلدات الضخمة في السيرة إلى اللغة العربية، كما أن مؤلفاته (سيرة عائشة) و(أرض القرآن) و(حياة الإمام مالك) و(الملاحة عند العرب) و(الصلات بين الهند والعرب) تنتظر أن تنقل إلى اللغة العربية، حقاً إنها خدمة علمية كبيرة أن تنقل هذه الكتب إلى العربية، حتى يطلع العالم العربي على معطياته العلمية البارزة.

كذلك من الخدمة العلمية النادرة أن ينهض بعض من له الهمم والعزائم بجمع أقضية السيد الندوي خلال توليه منصب قاضي القضاة (١٩٤٦ ـ ١٩٤٩م) في إمارة بوفال، وتحقيقها والتعليق عليها تعليقاً

علمياً، ثم إخراجها إلى العالم، وهذه الأقضية محفوظة في أرشيف بوفال، وهي خير شاهد على بصيرته الفقهية، وتوسعه الفكري، وتحرره من العصبية المذهبية.

كذلك ينبغي أن يصرف بعض الناس عنايتهم نحو جمع مقالاته وكتاباته العلمية المختلفة المنشورة في مجلة (المعارف) وترتيبها حسب موضوعاتها، مع تحقيقها، والتعليق عليها تعليقاً علمياً، فإن هذا سيكون خدمة علمية كبيرة.

وإني أقوم الآن بجمع نكاته ودقائقه العلمية في تفسير القرآن الكريم وعلومه، فعلى المصحف الشريف الذي كان يتلو فيه، كان يقيد ملاحظاته التفسيرية، مع الإشارة إلى أعمدة السور المختلفة، وارتباط الآيات بعضها ببعض، فأقوم بجمع إشاراته القرآنية، مع مقارنة بينها وبين تفسيرات المتقدمين والمتأخرين، إن هذا العمل يتطلب جهداً كبيراً، ولكن أرجو الانتهاء منه قريباً إن شاء الله تعالى.

يستحق الأخ العزيز (محمد أكرم الندوي) التقدير والترحيب منا جميعاً على تقديم حياة العلامة الندوي باللغة العربية، والتعريف بخدماته العلمية والتأليفية للعالم العربي، ويستحق مجهود محمد أكرم الندوي العلمي هذا الشكر، لاسيما وأنه أول محاولة لتقديم حياته باللغة العربية، وهو جدير بهذا السبق بناءاً على مبدأ (الفضل للمتقدّم).

إن نقل المواد المتوفرة والآراء المتواجدة حوّل شخصية العلامة

الندوي ومآثره العلمية والتأليفية بالأردية إلى اللغة العربية مع الاحتفاظ بروح الأصل لمفخرة كبيرة، والحمد لله على أن الأخ العزيز محمد أكرم الندوي حقق نجاحاً كاملاً في محاولته هذه، وأدعو الله تعالى أن يوفق مؤلف هذا الكتاب للمزيد من الخدمات العلمية والدينية، فإنه يحمل كفاءة لها، والله الموفق وعليه التكلان.

وكتبه
سلمان بن سليمان الندوي

زميل الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي
والزائر في مركز إكسفورد للدراسات الإسلامية
وأستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية في
جامعة دربن ويست فل بجنوب أفريقية سابقاً

١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ
٧ حزيران - يونيو ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يديّ الكتاب

الحمد لله رب العالمين الذي رفع العلم والعلماء، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، والصلاة السلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، ومعلماً للناس أجمعين، محمد النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه دراسة لحياة العلامة السيد سليمان الندوي، تلميذ العلامة شبلي النعماني، وصاحبه، وناشر علمه، الذي أخذ من شيخه الاستقلال في الفكر، والثورة على الجمود والتقليد، وأضاف إليه التوغل في علم الحديث والآثار، والتقدم في البحث والتحقيق، فجمع بين القديم والجديد، ووازن بين المعقول والمنقول، وأصبح خير ممثل لحركة ندوة العلماء التي تمثّل الأصالة والمعاصرة بحق.

وقد قسمت هذه الدراسة حسب الخطة التالية:

التمهيد: عصر السيد سليمان الندوي

الباب الأول: سيرة السيد سليمان الندوي، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: مرحلة النشأة والطلب.

الفصل الثاني : الرجال الذين كان لهم تأثير بارز في تكوينه العلمي .

الفصل الثالث : حياته العملية، ووفاته، وأهله وأولاده .

الفصل الرابع : صفاته ومواهبه .

الفصل الخامس : فضله وثناء الناس عليه .

الباب الثاني : مكانته في العلوم والآداب، وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : القرآن الكريم وعلومه .

الفصل الثاني : الحديث النبوي الشريف .

الفصل الثالث : الفقه .

الفصل الرابع : التاريخ .

الفصل الخامس : الفلسفة وعلم الكلام .

الفصل السادس : اللغات والآداب .

الباب الثالث : مآثره الخالدة، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : تطويره للمجمع العلمي دار المصنفين .

الفصل الثاني : عمادته لشؤون ندوة العلماء التعليمية .

الفصل الثالث : رده على الاستشراق والمستشرقين .

الفصل الرابع : تلاميذه .

الباب الرابع: مؤلفاته، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الدراسات القرآنية.

الفصل الثاني: سيرة النبي ﷺ.

الفصل الثالث: التاريخ والأعلام.

الفصل الرابع: الكتابات الأدبية.

الفصل الخامس: الكتابات المتفرقة.

الخاتمة.

واعتمدت في بحثي هذا على المصادر المتوفرة عن حياته، ومعظمها باللغة الأردية، وأخص بالذكر منها مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي الصادر في دار المصنفين بأعظم كره ـ الهند، و(حياة سليمان) للأستاذ الشاه معين الدين أحمد الندوي.

وأشكر شيخنا الجليل المربي الكبير العلامة الشريف محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء، الذي بذل لي نصحه وتوجيهاته القيمة في سبيل قيامي بهذا البحث، وتفضل بتوفير بعض المواد اللازمة رغم الأشغال الكثيرة التي تستوعب أوقاته، فجزاه الله تعالى خيراً.

وأشكر فضيلة الأستاذ السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي، الذي أتحفني ببعض الكتابات القيمة لوالده، والدراسات الغالية عنه، وتفضل بقراءة مسودة هذا البحث، وإعطاء

توجيهاته، والتقديم له، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء.

كما أشكر سعادة الأستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم حفظه الله تعالى، على ريادته لمشروع (أعلام المسلمين) الكبير، الذي عم به الانتفاع، وهو الذي حرّضني على المشاركة في هذا المشروع العلمي الفذ بالكتابة أولاً عن العلامة شبلي النعماني، الذي صدر ضمن هذه السلسلة المباركة، ثم عن صاحبه العلامة السيد سليمان الندوي، وأشكر أخي الأصغر (محمد مزمّل الندوي) الذي حصل لي على معظم مصادر هذا البحث، وأرسل بها إلي، وأدعو الله تعالى أن يجزي كل من ساعدني أوفى الجزاء، إنه على ما يشاء قدير، وهو بالإجابة جدير.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يتقبل مني هذا العمل، وينفع به، وله الحمد والشكر أولاً وآخراً، الصلاة والسلام على النبي الكريم.

وكتبه

الدكتور محمد أكرم النّدْوي

أوكسفورد في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ

١٢ حزيران - يونيو ٢٠٠١م

تمهيد

عصر السيد سليمان الندوي

- وضع الهند في القرن الثالث عشر
- تياران متخاصمان
- التقريب بين المدرستين
- تيار الوسطية
- دور شبلي وسليمان

تمهيد

عصر السيد سليمان الندوي

عاش السيد سليمان الندوي حياته في أحرج السنين التي مرت بها الأمة الإسلامية في الهند وفي العالم بأسره، إذ تمكن الاستعمار الإنكليزي من بسط نفوذه على الهند كلها سياسياً وثقافياً، ونجحت أوروبة النصرانية في استعمار معظم البلدان الإسلامية، وإلغاء الخلافة الإسلامية، وقام المبشرون النصارى بالدعوة إلى دينهم في معظم أنحاء المعمورة، وجدّ المستشرقون في بث السموم، وإثارة الشكوك والشبهات في الإسلام: عقائده، وأعمالـه، وعلومه، وثقافاته، وحضارته، وتاريخه.

وضع الهند في القرن الثالث عشر:

تـوفي الإمام شـاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي سـنة (١١٧٦هـ) فخلفه أبناؤه الإمام عبد العزيز (ت١٢٣٩هـ)، وعبد القادر (ت١٢٣٠هـ)، ورفيـع الدين (ت١٢٣٣هـ) الدهلويـون، وتلامذتـه المنتشرون في أنحاء الهند في قيادة الشعب الهندي المسلم، وتوجيهه إلى مجال التعليم والتربية. ولكنَّ الوضع السياسي للمسلمين كان في

تدهور، حيث تفرَّقت الإمبراطورية المغولية إلى دويلات، ولم تصمد لزحف الاستعمار الإنكليزي.

ولما ظهر الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد (ت١٢٤٦هـ) وصاحبه محمد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي الشهيد (١٢٤٦هـ)بحركتهما الجهادية طلع بارق الأمل في عودة المسلمين إلى ماضيهم التليد، وكانت هذه الحركة أكبر حركة دعوية إصلاحية وجهادية عرفها تاريخ الهند الإسلامي، ونجحت في إحياء السنن، وإماتة البدع، وإصلاح الشعب في كثير من أنحاء الهند، كما نجحت في إقامة دولة إسلامية لفترة قصيرة، وقتل الإمامان وكثير من أصحابهما في بالاكوت، وتفرَّق المجاهدون في أنحاء الهند، يقومون بأعمال الدعوة والإصلاح وإنشاء المعاهد التعليمية.

لا شك أن مدارس دهلي ولكنو كانت في ذروتها في نشر العلوم والمعارف في القرن الثالث عشر الهجري، ولكنَّ الإنكليز بعد ما استولوا على دهلي قاموا بإنشاء مدارسهم وكلياتهم، وبذلك ظهر نظام تعليمي جديد يعارض الأول في طبيعته ومناهجه وأهدافه. كان هذا النظام الجديد مدعَّماً من قبل الحكومة، وكان لأصحابه المناصب والوظائف، فوجد النظام التعليمي القديم نفسه في موقف الدفاع والتقلص، ولم ير لنفسه سبيلاً إلى أن يحتفظ بتراث السلف.

وجد المسلمون أنفسهم عُرضة لهجمات عاتية على أصعدة

مختلفة من ذهاب حكومتهم، وغزو الاستعمار الإنكليزي، وقوة النظام التعليمي الجديد، وضعف النظام التعليمي القديم، ومطاعن المستشرقين في الإسلام عقيدة وحضارة وتاريخاً وثقافة، ومساعي المبشرين النصارى وظهور التفرق والعصبية المذهبية، والخلافات الفقهية بين المسلمين إلى حد مخزٍ.

تياران متخاصمان:

بعد أن أيقن العلماء والقادة المسلمون بضعفهم العسكري تجاه الاستعمار الزاحف صرفوا عنايتهم نحو تعليم أجيالهم وتربيتهم، ونشأت مدرستان متعارضتان:

مدرسة المتجددين، المتمثلة في حركة (علي كره) التي لم ترَ سبيلاً إلا اتباع الإنكليز في ثقافتهم وحضارتهم وسننهم وآدابهم.

ومدرسة المحافظين، المتمثلة في حركة دار العلوم بديوبند تحت قيادة الإمامين محمد قاسم النانوتوي (ت١٢٩٧هـ) ورشيد أحمد الكنكوهي (ت١٣٢٣هـ) رحمهما الله تعالى، وكان من ثمار هذه الحركة أن امتلأت الهند بالمدارس العربية الإسلامية، التي ركزت على تعليم اللغة العربية، وعلوم التفسير، والحديث، والفقه لأبناء المسلمين، ولهذه الحركة فضل كبير في إحياء السنن وإماتة البدع.

ولكن هذه الحركة قطعت نفسها عن عامة الشعب، وأصبحت الفجوة بين المدرستين بعيدة، وصار المثقفون بالثقافة الإنكليزية،

والعلماء المتخرجون من المدارس القديمة في معسكرين متعارضين.

انقسام المسلمين إلى مدرستين:

نشأ السيد سليمان الندوي، وكانت الأرجاء معمورةً بذكر (ندوة العلماء)، فالتحق بدار العلوم التابعة لها، وتخرَّج منها، كان العهد الذي دخل فيه السيد الندوي في مجال الكتابة والتأليف تحت رعاية شيخه الذائع الصيت (شبلي النعماني) قد انقسم فيه المسلمون المثقفون إلى مدرستين: **مدرسة المثقفين بالثقافة القديمة أي العلماء، ومدرسة المثقفين بالثقافة الإنكليزية**، وكانت المدرستان مختلفتين في مجال أعمالهما، بل متخاصمتين، وينظر كل جانب منهما إلى الآخر بعين الشك والارتياب.

كان نطاق جهود العلماء العلمية، ونشاطاتهم الكتابية والتأليفية محصورة في مسائل فرعية وجزئية، وتعليقات وحواش على كتب المقررات الدراسية، ولم تكن لغتهم في الكتابة والتأليف واضحة ولا ممتعة ولا فصيحة، فلم يكن للمثقفين اتصال بهم، ولم تكن في عيونهم أي قيمة لهذه المسائل والمباحث، ولم يكن للعلماء أي معرفة بالتطورات التي أحدثتها العلوم والصناعات الغربية والثقافة الإنكليزية في مناهج الفكر والبحث المتصلة بالقضايا الإسلامية، ولم تكن ألسنتهم ولا أقلامهم تألف الأساليب الحديثة للخطاب.

وفي الجانب الآخر كانت الطبقة المثقفة بالثقافة الجديدة لا يهمها

إلا محاكاة الإنكليز، وتقليدهم تقليداً أعمى في حضارتهم ومدنيتهم، فألقت الدين والتقاليد القومية وراء ظهورها، ولم تكن معرفتها بتاريخ المسلمين عن طريق مؤلفات العلماء المسلمين، بل بواسطة كتابات المبشرين النصارى والمستشرقين الأوروبيين، الذين وقفوا حياتهم لتشويه صورة الإسلام ديناً وتاريخاً وحضارة تحت ستار البحث العلمي، فكانت المدرستان متجهتين إلى وجهتين متعارضتين، تتطاعنان بالاستهزاء، وكانت بينهما فجوة من الافتراق والشقاق لا تزال بسهولة.

التقريب بين المدرستين:

كانت الحاجة ماسة إلى التقريب بين التيارين، والإصلاح بين المدرستين حتى تتعاونا على حماية المجتمع الإسلامي من الغزوات الفكرية الاستعمارية، ولم يكن سبيل إلى ذلك إلا عن طريق تطوير المناهج التعليمية القديمة، وتخريج العلماء الذين يعرفون متطلبات عصرهم ومقتضياته، ويخاطبون الناس باللغة التي يفهمونها، ويعالجون قضاياهم ومشاكلهم مع تفقه في الدين، وبصر بالواقع، وعن طريق علاج مركب النقص الذي تعيشه الطبقة المثقفة التي غزتها الأفكار الغربية، فنظرت إلى تراثها نظرة ازدراء واحتقار، وكان العلاج أن توفر لها المعارف الإسلامية والثقافة الدينية بأساليب حديثة، وأن تؤلَّف كتب علمية في التاريخ الإسلامي والقضايا الدينية ترد على المستشرقين مكايدهم، ومحاولاتهم للتشويه والتضليل.

تيار الوسطية وتأسيس ندوة العلماء:

هكذا كان الوضع، والمسلمون أشد ما يكونون حاجة إلى من يقرِّب بين التيارين، ويزيل هذ الفجوة المشينة، ويأتي بنظام تعليمي جديد يجمع بين خصائصهما، ويقضي على العصبية المذهبية والطائفية، ويقوم بإصلاح المجتمع الإسلامي في ضوء القرآن والسنة.

فاجتمع نخبة ممتازة من العلماء في مدرسة (فيض عام) بكانبور وقاموا بإنشاء حركة تقرب بين التيارين، وتصلح بين المسلمين، وتأتي بنظام تعليمي جديد، وسموا هذه الحركة المتصفة بالوسطية والاعتدال (ندوة العلماء).

أُسست ندوة العلماء سنة ١٣١١هـ= ١٨٩٤م، وكان من أهدافها إزالة الفجوة بين العلماء والمثقفين، والقضاء على العصبيات المذهبية والفكرية، وإصلاح النظام التعليمي. وقامت حركة ندوة العلماء لتطبيق أفكارها بإنشاء دار العلوم سنة ١٣١٧هـ= ١٨٩٨م في مدينة لكنو.

وكان من فضل الله على حركة ندوة العلماء أن ظفرت بالعلامة (شبلي النعماني) الذي جمع بين العلوم الإسلامية والآداب المتنوعة، وقرن بين الثقافتين القديمة والحديثة، ورحل إلى عواصم العالم الإسلامي، فكانت له تجربة كبيرة، وخبرة واسعة، فوقف نفسه لتطوير دار العلوم، وتربية طلابها على البحث والتحقيق، وإعدادهم للدعوة،

والرد على المستشرقين وأعداء الدين[1].

دور شبلي وسليمان:

كان شبلي النعماني قد أوتي قلباً واعياً، وعقلاً مستوعباً، وبصيرة نافذة، فشعر بالحاجتين، فغادر جامعة (علي كره) واتصل بحركة (ندوة العلماء) التي وافقت أهدافها الأحلام التي رآها شبلي، فقام بتأليف كتب علمية عن التاريخ وعلم الكلام بلغة العصر، وأسلوب علمي ممتع، وإعداد جماعة من العلماء والباحثين، تحقق هذا الهدف خير تحقيق.

فنهض أصحاب شبلي وتلامذته، وملؤوا اللغة الأردية بكتابات علمية حول المواضيع الإسلامية من التاريخ، والكلام، وفروع الثقافة المختلفة وفق أحدث المناهج العلمية للبحث والتحقيق، وكان على رأسهم العلامة السيد سليمان الندوي، الذي حاز ثقة الفريقين، فترى الفئة المثقفة بالثقافة الحديثة كالأستاذ محمد علي جوهر قائد حركة الخلافة، وشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال وغيرهما ترجع إليه في استقاء المعلومات، وتعتمد عليه في التوجيه الديني والقيادة العلمية، وترى العلماء المتخرجين من المدارس التقليدية يسلِّمون له بالفضل والتقدم، ويرضون بإمامته ورئاسته.

---

(١) انظر كتاب (شبلي النعماني) للمؤلف، وهو في سلسلة أعلام المسلمين رقم (٨٣) الصادرة عن دار القلم بدمشق.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «إن الذين يتابعون تـاريخ العالم العلمي والفكري والديني ويعرفـون أغـواره وأنجـاده، يعرفون أن فجوة هائلة وقعت أحياناً في تاريخ الأمم والملل بين خبراء العلوم القديمة والطبقة العصرية المثقفة والعصر المتجدد، وأدت هذه الفجوة إلى عزل الدين والأخلاق عن موضع التأثير والنفوذ، وعاش المجتمع في فجوة من سيطرتهما، فأصبح العلم والسلطة كالفيل الهائج، وأصبحت الحياة كالجمل المرسل حبله على غاربه.

وكانت هذه الفجوة مصدر صراع شديد نشأ في القرون الوسطى في أوروبة بين العلم والدين، وقد وصف هذا الصراع الكاتب الشهير (داربر) في كتابه المعروف (الصراع بين الدين والعلم)، وقد مرت أوروبة بتلك القرون المظلمة التي قامت فيها محاكم التفتيش، وصدرت أحكام قاسية على الباحثين، وقد وصف مؤلف أوروبي وهو يذكر فظائع هذه المحاكم أن عدد قتلاها يزيد على عدد قتلى الحرب العالمية الكبرى.

ولكن لم يحدث مثل هذا الصراع بين رجال الدين ورجال العلم في الإسلام، ولم تقع مثل هذه الفجوة في تاريخ الملة الإسلامية، ويرجع الفضل في ذلك إلى أمثال هؤلاء العلماء الذين كانوا يتصفون بالجامعية، والبصيرة العلمية، والذهن الوقاد، والذين شعروا بتغير الزمن وتابعوا المسائل المستحدثة، وعرفوا ذهن الجيل الجديد ونفسيته، وفهموا اللغة المتطورة للبلاد والأساليب البيانية، وقاموا برعايتها، فأنقذوا الجيل

الجديد من تيارات التشكيك والإلحاد والمروق، وتستحق أسماء العلامة شبلي النعماني، وتلميذه الرشيد السيد سليمان الندوي، وبناة ندوة العلماء، وأساتذتها الفضلاء من بين علماء هذا العصر ومؤلفيه بأن تكتب بماء الذهب في هذا الميدان، إنها لمأثرة دينية علمية كبرى، ويطول الاستشهاد بمقتطفات من كتابات السيد سليمان الندوي التي تنم عن مدى اهتمامه وشعوره بهذا التغير ومدى رعايته لهذا الجانب في مؤلفاته، وخاصة في كتابه (سيرة النبي) وشرح العقائد الإسلامية»[١].

يقول الأستاذ سعيد أحمد الأكبر أبادي: «إن الشجرة التي غرسها شبلي، والبذرة التي بذرها بدأت تورق وتثمر في حياته، ولكن الواقع أن هذه الشجرة تدين في نموها الصحيح لتلميذه النجيب وخليفته الصالح العلامة السيد سليمان الندوي، الذي قام بقيادة هذه الحركة، وتوجيهها نحو طريق النجاح في أسلوب طبيعي لم يكن لشبلي نفسه ليهتدي إليه»[٢].

ويقول الأستاذ الأكبر أبادي: «كان من أكبر سعادة العلامة شبلي في الوضع الراهن والمناخ السائد أن ظفر في السيد سليمان الندوي بتلميذ كان خلفاً صادقاً له في سعة الدراسة، والبحث والتحقيق والتدقيق، والعلم والفضل.

---

(١) شخصيات وكتب، ص٧٣ ـ ٧٤.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالعلامة السيد سليمان الندوي، ص ١٦٠.

كما كان يتصف بمزايا وخصائص تفرّد فيها عن شيخه، فكان قلمه سهلاً سديداً لم يضل منهج الوسطية والاعتدال حتى في أحرج ساعات النقد، وكان حافلاً بصفات الرزانة والحلم، فلم تظهر في كتاباته العلمية والأدبية مظاهر الغضب والسخط والتبرم، وكان التدين والورع والزهد من أكبر حلي علمه، فلم يجترئ العلماء رغم اختلافهم معه في بعض القضايا على نقده والطعن فيه، وكان طبعه يتصف بالاستقرار، وحب الوئام، والتواضع، ولم يخضع عقله للعقلانية والتفلسف، بل غلبته الأشعرية ثم السلفية، فكان من فضل هذه المواهب الربانية والصفات الكمالية أن لم يحضر مجلساً إلا وتبوأ الرئاسة فيه، ولم يشارك جمعية إلا وسلمت له بالقيادة والإمامة»[1].

* * *

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالعلامة السيد سليمان الندوي، ص١٦١.

الباب الأوّل

سيرة السّيد سليمان النّدوي

- تمهيد
- الفصل الأول : مرحلة النشأة والطلب
- الفصل الثاني : الرجال الذين كان لهم أبرز التأثير في تكوين العلمي
- الفصل الثالث : حياته العلمية ، ووفاته ، وأهله وأولاده
- الفصل الرابع : صفاته ومواهبه
- الفصل الخامس : فضله وثناء الناس عليه

تمهيد

سأعرض في هذا الباب لسيرة العلامة العبقري السيد سليمان الندوي الشخصية مقتبسةٍ من المصادر الموثوق بها، المتوفرة بين يدي على ما نقله لنا تلامذته والمعاصرون له.

ويحتوي هذا العرض على بيان نسبه، وشرفه، ونشأته، وطلبه للعلم، وشيوخه، والرجال الذين كان لهم تأثير بارز في تكوينه العلمي، وحياته العملية في مجالات الصحافة، والتدريس، والكتابة والتأليف، وإلقاء الخطب والمحاضرات، وحضور المؤتمرات والندوات، ومكانته القيادية والتوجيهية في المجالات الاجتماعية والسياسية، ووفاته، وأهله وأولاده، ومواهبه وشمائله، وفضله وثناء الناس عليه، وذلك في خمسة فصول:

الفصل الأوّل

مرحلة النّشأة والطّلب

نسبه:

هو العلامة الكبير، المفسر الشهير، الفقيه المحدث، المتكلم، المؤرخ، الكاتب القدير، والنابغة في الإنشاء والأدب، الإمام الشريف سليمان (١) بن أبي الحسن بن محمد شير المعروف بالحكيم محمدي بن عظمت علي بن وجيه الدين المعروف بالأمير جكن بن رجب علي بن محمد شير بن السيد صدر الدين بن السيد سليمان بن السيد عثمان بن السيد حسن الشهيد بن السيد شمس الدين بن السيد خليل بن السيد عرب ثاني بن السيد مالك بن السيد منير بن السيد محمد بن السيد شمس محمد ابن السيد معين محمد بن محمد بن السيد عرب أول بن السيد بران بن السيد ميران بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد يوسف بن السيد

---

(١) سماه والده (أبا النجيب) ولما مر تاجر أجنبي يسمى (سليمان) بتلك الناحية استحسن أهله هذا الاسم ودعوه باسم سليمان حتى اشتهر به.

إسحاق بن السيد يعقوب بن السيد حسن بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الحسيني العلوي الهاشمي القرشي[1].

وأمه هي السيدة قطب النساء بنت السيد حيدر حسين بن كاظم حسين بن خادم حسين بن رحمة الله بن أمين الله بن محمد فاضل بن غلام حيدر بن عبد الهاشم بن عبد الله بن علاء الدين بن سيد الملوك بن جاند الشهيد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمود بن فريد بن مسعود بن محمود بن أبي الفرج الواسطي بن داود بن حسين بن يحيى بن زيد بن عمر بن أبي بكر علي بن حسين بن علي بن محمد بن أبي يحيى عيسى بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2].

وفي (نزهة الخواطر): الشيخ الفاضل سليمان بن أبي الحسن الحسيني الزيدي الدسنوي البهاري أحد العلماء المبرزين في الفنون الأدبية ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في القارة الهندية[3].

أسرته:

يتحدر السيد الندوي من أسرة حسينية النسب، مشهورة بالتقوى

---

(١) نسب نامه سادات وملوك ديسنه، ص٢؛ وحياة سليمان، ص٢.

(٢) نسب نامه سادات وملوك ديسنه، ص٢.

(٣) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٣.

والعلم، وينتمي إلى بيت كريم من بيوت الأشراف، كثير المآثر والمفاخر، معروف بالعلم والأدب، والفضل والإحسان.

كان جده المولوي محمد شير الملقب بالحكيم السيد محمدي من الأطباء المعروفين في عصره، وكان عالماً ربانياً جمع بين العلم وصلاح القلب والتصوف، له(النور المحمدي) كتاب في سير أعلام التصوف، طبع في أعظم كره، وكتابان في الطب: أقراباذين محمدي، ومخزن الحكمة العليا.

وكان أبوه السيد أبو الحسن كذلك طبيباً ماهراً، متصفاً بالزهد والتقوى، ومثالاً للآداب العالية، والأخلاق الفاضلة، والطهارة والنظافة.

وكان شقيقه الأكبر أبو حبيب عالماً، طبيباً ومتصوفاً، معنياً باتباع السنن، ومحاربة البدع، قضى حياته في الزهد والتقوى.

مولده:

ولد السيد الندوي في قرية دسنة من ولاية بهار في الهند يوم الجمعة لسبع بقين من شهر صفر سنة اثنتين وثلاثمئة وألف الموافق للثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة أربع وثمانين وثمانمئة وألف.

نشأته:

نشأ في بيئة علمية وأدبية، وجوٍّ من الصلاح والتقوى، كان صنوه

أبو حبيب معنياً بإصلاح المجتمع والدعوة إلى التوحيد والسنة، وكان من نشاطاته الدعوية والإصلاحية موعظة النساء مرة في الأسبوع، كان السيد سليمان، وهو ولد صغير، يقرأ من كتاب (تقوية الإيمان) للإمام محمد إسماعيل الشهيد أمام النساء، ويقوم أخوه أبو حبيب بشرحه من وراء الحجاب، فنشأ السيد الندوي على العقيدة الصافية على مذهب السلف، ومحبة السنن، وكراهية البدع، يقول: «كان هذا أول كتاب علمني طريق الحق تعليماً ثبتت جذوره في قلبي، فقد تعرضت في حياتي العلمية لعشرات من العواصف الهوجاء، وغشيتني موجات الأفكار العاتية مراراً، ولكن المبادئ التي ثبتت في قلبي ذلك الوقت لم يَزُلْ شيء منها عن مكانه، مرت بي مسائل علم الكلام، ومجادلات الأشاعرة والمعتزلة، وحجج الغزالي والرازي وابن رشد، لكنَّ تعليم إسماعيل الشهيد ظل ثابتاً»(١).

طلبه للعلم:

بدأ دراسته في كتَّاب قريته على (خليفة أنور علي) ثم على (السيد مقصود علي) ثم تعلَّم من صنوه الأكبر السيد أبي حبيب النقشبندي (ت١٩٢٧م)، قرأ عليه اللغة الفارسية وآدابها، واللغة العربية وقواعد الصرف والنحو، وشرح الملا عبد الرحمن الجامي على الكافية لابن حاجب، وقرأ أشياء على والده.

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٥.

سافر سنة ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م إلى قرية فُلواري من ولايـة بهار، ومكث بهـا عاماً، وقـرأ بعض المقررات الدراسـية على الشيخ الكبير (محيي الدين المجيي الفُلواروي)، وهنا نشأ فيه التذوق للأدب والشعر، كما أخذ بها دروساً في المنطق من العلامة سليمان الفلواروي.

ورحل سنة ١٣١٧هـ =١٨٩٩م إلى المدرسة الإمدادية في دربنكة من ولاية بهار، والتي كانت قد أنشئت تأثراً بحركة ندوة العلماء لإصلاح المنهاج التعليمي، ومكث بها عاماً، حيث قرأ (الهداية) في الفقه على الشيخ مرتضى حسين الديوبندي، وأكمل (شرح التهذيب) في المنطق على الشيخ فدا حسين الآروي، وكان يساهم في جمعيتها مع الطلاب، يلقي فيها الخطب والمقالات، ومن المقالات التي قدم فيها مقال عن (تعليم النسـاء) أشاد به الناس، وطبع في صحيفـة بتنة الشـهيرة (أخبار البنج).

في دار العلوم لندوة العلماء:

كانت حركة ندوة العلماء في أوج قوتها وشبابها آنذاك، وكان صوت دعوتها لإصلاح المجتمع الإسلامي، وإصلاح المنهاج التعليمي يدوي في كل مكان، ومما لفت أنظار الأشراف من المسلمين أنها جاءت حركة معتدلة بين قضيتي القديم والجديد، وفرقت بين الثوابت والمتغيرات، وصارت معقد آمال المسلمين، وكانت اجتماعاتها السنوية تعقد في كل

مكان، وعقد أحد هـذه الاجتماعات في مدينـة بتنة سـنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م، حضرها السـيد سـليمان مع والده وأقاربـه، وأعجبوا بهذه الحركة الفتية غاية الإعجاب، وقرروا إرساله إلى دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكنو.

رحل السيد سليمان إلى لكنو، والتحق بدار العلوم لندوة العلماء سنة ١٣١٨هـ =١٩٠١م، وبقي فيها خمس سنوات، وقرأ فاتحة الفراغ، ونال الشهادة سنة ١٣٢٤هـ= ١٩٠٧م.

وكان معروفاً أيام طلبه في دار العلوم بالجدية والوقار، والآداب والأخلاق، والبعد عن الملاهي والملاعب.

كبار شيوخه:

قرأ على شيوخ كثيرين، وكان من كبارهم في دار العلوم لندوة العلماء:

١ ـ المفتي الكبير العلامة الشهير الشيخ الفاضل **عبد اللطيف بن إسحاق الحنفي السنبهلي**، أخذ العلم عن والده، والشيخ أحمد حسن الكانبوري، والمفتي لطف الله العليكرهي. ولي التدريس بدلمو قرية من أعمال راي بريلي، ثم ولي الإفتاء بندوة العلماء فاشتغل به زماناً، ثم ولي التدريس في دار العلوم، عين سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة وألف محاضراً بالجامعة العثمانية بحيدر أباد، حتى آلت إليه رئاسة القسم الديني في

الجامعة، وأحيل إلى المعاش، ثم انتخب رئيساً للقسم الديني في جامعة (علي كره) سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وألف، ومكث بها نحو عشر سنوات حتى أحيل إلى المعاش مرة ثانية في سنة سبع وستين وثلاثمئة وألف، فاعتزل في بيته يدرس الحديث، ويشتغل بالمطالعة والتأليف. وكان خلال تدريسه بدار العلوم لندوة العلماء تشرف بالحج والزيارة، ومكث بالحجاز ثلاث سنين. له(شرح اللطيف) شرح غير مطبوع على جامع الترمذي باللغة العربية في عدة مجلدات كبار، و(لطف الباري) في شرح تراجم أبواب البخاري باللغة العربية، وله رسالة في أصول الحديث باللغة العربية، وله (مشكلات القرآن) باللغة الأردية، و(تاريخ القرآن) باللغة الأردية، و(تذكرة أعظم) باللغة الأردية في سيرة الإمام أبي حنيفة، و(صرف لطيف) و(نحو لطيف)، ورسائل علمية. توفي لاثنتي عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمئة وألف بعلي كره، ودفن بها[1].

قرأ عليه السيد الندوي كتب الفقه.

٢ ـ الشيخ الكبير العالم المتفلسف المحدث **حفيظ الله البندوي**، ولد سنة أربع وسبعين ومئتين وألف في بندي قرية من أعمال (أعظم كره)، أخذ عن الشيخ سلامة الله الجيراجبوري، والشيخ غلام الجيلاني،

---

(١) انظر ترجمته في نزهة الخواطر: ٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

والعلامة المحدث عبد الحي الفرنكي محلي، درس في مدرسة كاكوري، والمدرسة العالية برامبور، ولي رئاسة التدريس في دار العلوم لندوة العلماء سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف، ثم عين أستاذاً للغة العربية في جامعة داكة سنة ست وعشرين وثلاثمئة وألف، ولقبته الحكومة بشمس العلماء. ثم قام بالحج سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة وألف، وبعد رجوعه من الحج تم تعيينه مرة أخرى لرئاسة التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، كان موصوفاً بالورع والتقوى، توفي إلى رحمة الله سنة اثنتين وستين وثلاثمئة وألف.

أخذ السيد الندوي عنه الحديث الشريف، وشيئاً في علم الهيئة.

٣ ـ الشيخ الفاضل العلامة **محمد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي**، أحد الأفاضل المشهورين في الهند، ولد ونشأ بجرياكوت، وأخذ عن صنوه الأكبر عناية رسول، والشيخ المعمر أبي الحسن المنطقي، والشيخ رحمة الله اللكنوي، والمفتي يوسف بن محمد أصغر اللكنوي، وسافر إلى الحجاز، فحج وزار، ثم درس وأفاد في بلاد كثيرة، واشتهر بتلمذة شبلي النعماني عليه، وفي آخر عمره ولي التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، كان الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي إماماً ماهراً في العلوم، حلالاً للمشكلات، وكشافاً للمعضلات، معروفاً بتبحره في العلوم، واضطلاعه بالفنون، ومنهجه التدريسي البديع، يتوافد إليه الطلاب من كل جانب، ينهلون من علمه، ويقتبسون من

مات لثلاث عشرة خلت من شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمئة وألف[1]

أخذ عنه السيد الندوي المنطق والفلسفة والأدب العربي.

٤ ـ العالم الصالح الشيخ الفاضل **شبلي بن محمد علي الجيراجبوري**، اشتغل أياماً في بلدته، ثم سافر إلى رامبور، وقرأ على شيوخ المدرسة العالية بها، منهم الشيخ الفاضل حفيظ الله البندوي، قرأ عليه ولازمه مدة، ثم ولي التدريس بدار العلوم لندوة العلماء يدرس ويفتي، كانت له مشاركة جيدة في الفقه والأصول، ومعرفة دقيقة بالفروع والمسائل الجزئية. توفي لأربع بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين وثلاثمئة وألف[2].

٥ ـ والعلامة الكبير مؤرخ الهند الشهير المحدث الأثري الطبيب السيد **عبد الحي بن فخر الدين الحسني** (ت١٣٤١هـ)، صاحب التآليف النافعة والكتب القيمة السائرة، والأمين العام الثاني لدار العلوم لندوة العلماء، وعضو هيئتها التأسيسية، ألف (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) في ثمانية مجلدات عن تاريخ أعلام الهند، وهو كتابٌ ليس له نظير في بابه، ومن أهم ما يمتاز به العلامة السيد عبد الحي الحسني هو تقدمه في الحديث الشريف وعلومه، ومعرفة رجاله، ولاسيما المتأخرين

---

(١) انظر ترجمته في نزهة الخواطر: ٨/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣.
(٢) المصدر السابق: ٨/ ١٧٨.

منهم، ويشهد بذلك كتابه (نزهة الخواطر) فلا يمر بتراجم العلماء حتى يستقصي مسموعاتهم ومقروءاتهم وأسانيدهم وإجازاتهم، وكانت له إجازات من المسندين في زمانه، وأعلى أسانيده روايته عن الإمام فضل رحمن الكنج مراد آبادي الراوي عن إمام الهند عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي بلا واسطة، وهذه مفخرة عظيمة له تعرف ولا تنكر، ومن أعلى أسانيده روايته عن العلامة رأس المحدثين حسين بن محسن الأنصاري، والعلامة السيد نذير حسين المحدث الأثري الدهلوي، والعلامة المقرئ عبد الرحمن الباني بتي، وغيرهم من أكابر مسندي زمانه.

قرأ عليه السيد الندوي مقامات الحريري.

٦ ـ والعلامة الجليل المؤرخ العظيم **شبلي النعماني** (ت١٣٣٢هـ = ١٩١٤م) الذي كان ذا خبرة واسعة في مجال التعليم، وتجربة كبيرة في التربية، وكان قد جمع إلى اضطلاعه باللغات العربية والفارسية والأردية، والعلوم الإسلامية، الإلمام بالثقافات الحديثة، أنشأت فيه رحلته إلى العواصم الإسلامية، شعوراً قوياً بوجوب إصلاح النظام التعليمي وتغيير المقررات الدراسية في المدارس العربية والإسلامية، فلما أُسست ندوة العلماء وجد فيها ضالته المنشودة، ووقف لها نفسه وأفكاره واهتماماته، حتى وافقت على مقترحاته لإصلاح المنهاج الدراسي، وقرر شبلي أن يقيم في رحاب دار العلوم حتى يباشر الإشراف على تطبيق المنهاج الجديد، فسافر من حيدر آباد إلى لكنو في أيلول ـ سبتمبر سنة ١٩٠٤م،

وأقام في دار العلوم نحو أسبوعين، وهنا كان أول لقاء للسيد سليمان مع العلامة شبلي، وخلال هذه الأيام القليلة اختبر شبلي كفاءته، فكتب من حيدر أباد إلى بعض أقارب السيد سليمان في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٠٤م: «إن الوظيفة اضطرتني إلى الرجوع إلى حيدر أباد، يا ليت السيد سليمان أقام معي أياماً، فإنه يحمل الكفاءة»[١].

ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى استقال شبلي من وظيفته في حيدر أباد، وقدم إلى دار العلوم عميداً لشؤونها التعليمية، وكان قدومه إلى دار العلوم حدثاً هاماً في تاريخها، وأعرب الطلاب عن فرحهم البالغ بذلك، وعقدوا الحفلات، ورحبوا به ترحيباً عظيماً، وبهذه المناسبة قدم السيد سليمان وهو طالب في الصفوف المتوسطة قصيدة باللغة الفارسية تدل على مقدرته الفائقة على هذه اللغة.

عني شبلي بتطوير دار العلوم، فطبق المنهاج الدراسي الجديد، وجعل اللغة الإنكليزية جزءاً لازماً من المنهاج، كما عني بتدريس اللغتين الهندية والسنسكريتية حتى يتأهل الطلاب لمواجهة حملات الآريين المبلغين الهندوس، واستدعى أساتذة أكفاء إلى دار العلوم، وأدخل الثقافات الحديثة في المقررات، وبدأ تفسير القرآن الكريم بنفسه وتدريسه، أماقبل ذلك فلم تعهد الهند إلا تدريس كتب التفسير، وقام بتدريب الطلاب على الكتابة والخطابة باللغة العربية، ووسع خزانة دار

---

(١) حياة شبلي، ص٤٠٠.

العلوم للكتب، وقام بتطوير مجلة (الندوة) حتى صارت في ذروة المجلات الصادرة باللغة الأردية. وأصبحت دار العلوم بفضل مساعيه معهداً تعليمياً مثالياً، وذاع صيتها في الهند بأسرها، بل وتخطاها إلى العالم الإسلامي.

أخذ السيد الندوي عنه الأدب العربي، وقرأ عليه (دلائل الإعجاز)، كما أخذ عنه علم الكلام، وتدرب عليه في الكتابة والتأليف والإنشاء، والعناية بالسيرة النبوية، وعني شبلي بتربيته من بين نخبة من الطلاب تربية خاصة.

مفخرة علمية:

عقدت حفلة لتخريج الدفعة الأولى من دار العلوم في لكنو سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م، اجتمع فيها كبار العلماء والمثقفين ليختبروا دعوى دار العلوم بإصلاح المنهاج الدراسي، والنظام التعليمي، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وألقى فيها السيد سليمان خطبة عن موضوع (العلوم القديمة والثقافات الحديثة) باللغة الأردية، فتحداه أحد الحضور قائلاً: «لا نسلم لمعجزة ندوة العلماء التعليمية حتى يخطب السيد سليمان عن الموضوع نفسه باللغة العربية»، واستجاب السيد سليمان لرغبته وأدهش الناس بخطابه الارتجالي باللغة العربية، فقام العلامة شبلي النعماني وقال: «لعل بعض الناس يظن أنه أعد خطابه باللغة العربية قبل أن يحضر الحفل، فلو أن أحد الحضور اقترح موضوعاً

جديداً»، فسأله الشيخ غلام الثقلين أن يتحدث عن موضوع (كيف تتحقق الدعوة الإسلامية في الهند)، فارتجل السيد سليمان خطابه في دقة العالم وفصاحة الأديب، وقوة الخطيب، حتى بهر الحضور بسحر بيانه، وقام العلامة شبلي النعماني وخلع عمامته ووضعها على رأس تلميذه السيد سليمان الندوي إعراباً عن فرحه البالغ، وكشهادة على مكانته العلمية، وتبشير بمستقبل زاهر، وقال السيد الندوي وهو يتحدث عن هذه القصة: «أصبحت هذه العمامة مفخرة له طول حياته»[١].

كتب شبلي إلى الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني يخبره بهذا الحدث التاريخي: «حقق الاحتفال نجاحاً كبيراً، رضي السيد سليمان أن يرتجل الخطابة حول أي موضوع يوجه إليه، فاختار غلام الثقلين موضوعاً، ويدأ سليمان خطابه باللغة العربية من دون تلكؤ ولا تردد، فبهر الحضور ببيانه وفصاحته، ودوت الحفلة كلها بصوت واحد (أحسنت) و(أجدت)[٢].

كان هذا الحدث بدعاً من الأمر في تاريخ الهند للتعليم العربي، فانتشر صيته في أنحاء الهند، وتغنت الصحف والمجلات بمجده،

---

(١) ذكر لي نجله الأستاذ السيد سلمان الندوي أن والده ظل محتفظاً بهذه العمامة طول حياته تذكاراً لشيخه، وكان لا يضعها على رأسه إلا في الأعياد والمناسبات الخاصة.

(٢) انظر: حياة شبلي، ص٤٥٦ ـ ٤٥٨.

وخضع الناس لصلاحية دار العلوم لندوة العلماء لتوفير القيادة الرشيدة في الهند الحديثة.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «وكان أول ما عرف النـاس ميزته بين أقرانـه هو ارتجاله لخطبة عربية أمام جمع محترم من المثقفين في حفلـة ندوة العلماء السنوية الكبيرة حيث طلب منه أحـد القائمين بالحفل أن يخاطب الجمهور باللغة العربية. وهي لغة بعيدة شديدة البعد آنئذٍ عن أن تكون لغة كلام مرتجل في الهند لعدم ملائمـة الجو، وقلة ورود المطبوعات العربية إلى الهند في ذلك الوقت، فلم تكن تنشأ الملكات العلمية والأدبية فيها إلا قليلاً، ولكن الفتى السـيد سليمان الندوي استجاب للطلب، وارتجل الخطاب بالعربية، ونـال التقدير والإعجاب من الحاضرين، وقد بلغ ذلك سرور أستاذه الخاص العلامة شبلي النعماني مبلغاً عظيماً، وخلع عمامته، ووضعها على رأس تلميذه كرمز تقديري لنبوغه»[1].

الإجازة في الحديث:

قـرأ الصحاح السـتة وغيرها من كتب الحديـث على شـيوخه في دار العلوم، وقرأ شـيئاً من صحيح البخاري على العلامة شـبلي النعماني الراوي عن الشيخ أحمد علي السهارنفوري، عن الشيخ محمد إسحاق

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٨.

الدهلوي، عن المحدث عبد العزيز الدهلوي، عن والده الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي.

كما حصلت له الإجازة في سفره للحج سنة أربع وأربعين وثلاثمئة وألف من الشيخ أبي حفص عمر بن حمدان المحرسي المالكي[1]، الإمام العلامة محدث الحرمين، المولود بخربة سنة١٢٩١هـ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة١٣٦٧هـ. يروي الشيخ عمر حمدان عن أعلام عصره وجهابذة زمانه، منهم: السيد أبو النصر الخطيب الدمشقي، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والسيد أحمد رافع الطهطاوي، والشيخ أبو الخير أحمد العطار المكي، والشيخ إمام بن الشيخ إبراهيم السقا، والسيد محمد أمين رضوان، والشيخ أمين سويد الدمشقي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ بدر الدين الدمشقي، والشيخ حسين بن علي العمري، والشيخ محمد الطيب بن محمد النيفر التونسي، والشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري، والشيخ عبد الجليل براده المدني، والشيخ عبد الرحمن عليش، والسيد محمد علي بن ظاهر الوتري المدني، والشيخ فالح بن محمد الظاهري المدني، والشيخ محمد بن سليمان المعروف بحسب الله المكي، ومفتي الشام أبو الخير محمد بن عابدين، والشيخ يوسف النبهاني، وجماعة[2].

---

(١) انظر: مجلة (الضياء) عدد شعبان ١٣٥٢هـ، ص ٢٨٨.

(٢) وقد ألف الشيخ محمد ياسين الفاداني ثبتاً واسعاً في أسانيد الشيخ عمر حمدان=

فبرواية السيد الندوي عن عمر بن حمدان حصل له الاتصال بهؤلاء الأعلام، وكان السيد الندوي يحمد الله ويشكره على هذه الإجازة.

تكوينه العلمي:

تخرج السيد سليمان في دار العلوم لندوة العلماء متمكناً من اللغات العربية والفارسية والأردية، وعارفاً اللغة الإنكليزية، ومضطلعاً بالقرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوي الشريف وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وتاريخه، والفلسفة ونقد مسائلها، والتاريخ العام، وتاريخ الإسلام، وأشياء ضرورية من الثقافة الحديثة، يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني: «وواصل السيد سليمان الندوي اهتمامه في الدراسات العلمية الإسلامية والأدبية، والبحث والكتابة في موضوعات كانت من أهم متطلبات الحياة الفكرية والعلمية المعاصرة، وكان من نتيجة ذلك تأليفه ووضعه لمؤلفات قيمة فريدة في موضوعاتها، نالت التقدير والإعجاب من دوائر العلم والأدب، مثل كتابه عن الإمام مالك، وكتابه عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وخمسة أجزاء من السيرة

= سماها (مطمح الوجدان) واختصره باسم (إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان من أسانيد الشيخ عمر حمدان). وروي عن الشيخ عمر حمدان جماعة كبيرة من العلماء الأعلام، وكان قد أجاز كلَّ من أدرك جزءاً من حياته إجازة عامة، وذلك على مذهب من يجيز مثل هذه الإجازة. (انظر: الدليل المشير، ص ٣١٨).

النبوية الطاهرة، وكتاب في شخصية الشاعر الفارسي العظيم الخيام، وكتـابه في جغرافية أرض القرآن، وكتابه عن علاقات الهند بالجزيـرة العربية، وكتابه عن ملاحة العرب البحرية وغيرها من الكتب، وكل كتاب منها بلغ المستوى الرفيع في البحث والتحقيق والعلم الغزير[1].

شهادة الدكتوراه الفخرية:

منحته جامعة (علي كره) الإسلامية شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب لست خلون من صفر سنة اثنتين وستين وثلاثمئة وألف (الموافق لعـام ١٩٤٣م) اعتـرافـاً بمكـانتـه العلميـة، وعلـو كعبـه فـي العلـوم والآداب[2].

* * *

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٨.

(٢) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٥.

الفصل الثاني

الرّجال الّذين كان لهم تأثير بارز
في تكوينه العلميّ والفكريّ

يدين السيد سليمان الندوي في تكوينه العلمي والفكري لبيئة بيته الذي تميز بالشـرف، والعلم والأدب، والصلاح والتقوى، والدعوة والإصلاح، ثم لمنـاخ ندوة العلماء الداعية إلى التصلب في الأصول والغايات، والتوسع في الفروع والجزئيات، والجمع بين العلوم القديمة والثقافات الحديثة، والمطبقة لمبدأ« خذ ما صفا ودع ما كدر» ولدراساته الواسعة المتعمقة لعديد من الأئمة الأعلام الذين عُرفوا بفكرهم الإسلامي الأصيل، ومذهبهم الفقهي الوسط، وتبحرهم في علوم القرآن والسنة، والرجوع إليهما الرجوع المباشر، وكان من أبرزهم تأثيراً في عقل السيد سليمان الندوي وفكره ومنهجه في البحث والتحقيق ومذهبه في العقيدة والفقه:

الإمام مالك:

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام الحافظ فقيه الأمة، أبو عبدالله الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة (٩٣ ـ ١٧٩).

حدث عن نافع، وسعيد المقبري، والزهري، وابن المنكدر وخلق كثير.

وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون، منهم عبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن وهب، والقعنبي، وعبدالله بن يوسف، ويحيى بن يحيى النيسابوري، ويحيى ابن يحيى الأندلسي، وخاتمة أصحابه أبو حذافة السهمي.

قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يقدم على مالك أحداً.

وقال الشافعي: لولا مالك وابن عُيينة لذهب علم الحجاز.

وقال ابن وهب: لولا مالك والليث لضللنا.

وقال الشافعي: ما في الأرض كتاب أكثر صواباً من موطأ مالك[1].

كانت له محبة خاصة بإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وكان يفضل موطأه على الصحيحين[2]. كتب في مجلة(الندوة)

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٨ ـ ١٣٥؛ وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٠٧ ـ ٢١٣؛ وترتيب المدارك: ١/ ١٠٢ ـ ٢٥٤.

(٢) وقد ذهب إلى تفضيل الموطأ غير واحد من الأئمة، وذلك لأسباب كثيرة=

سنة ١٩٠٧م مقالاً طويلاً تحت عنوان (حياة الإمام مالك) نشر في أعداد مختلفة، ثم جمعها في كتاب وطبع، فنال قبولاً كبيراً، وصدرت له عدة طبعات.

يقول السيد الندوي: (قدمت إلى دار العلوم سنة ١٩٠١م، والتحقت بالصف الثاني، وكنت قد استصحبت رسائل من بيتي، منها (العجالة النافعة) رسالة في أصول الحديث للإمام المحدث عبد العزيز الدهلوي، هذه الرسالة الوجيزة في أصول الحديث أنشأت فيَّ اهتماماً بعلم الحديث، واستعرت من خزانة ندوة العلماء (بستان المحدثين) كتاباً آخر للإمام الدهلوي، فطالعته في رغبة وشوق كبير، واستولى على

= حصلت للموطأ، أما من ناحية الصحة فلا شك أن الصحيحين أصح منه، وكان إمام الهند أحمد بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي، يولي الموطأ عناية كبيرة، فقد ذكر في مقدمة (المصطفى شرح الموطا) أن الموطأ أصل، وغيره من كتب الحديث شروح له، وقال في حجة الله البالغة: ١/ ٣٨٦: «وقد اشتهر في عصره حتى بلغ جميع ديار الإسلام، ثم لم يأت زمان إلا وهو أكثر شهرة وأقوى به عناية، وعليه بنى فقهاء الأمصار مذاهبهم حتى أهل العراق في بعض أمرهم، ولم يزل العلماء يخرِّجون أحاديثه، ويذكرون متابعاته وشواهده، ويشرحون غريبه، ويضبطون مشكله، ويبحثون عن فقهه، ويفتشون عن رجاله إلى غاية ليس بعده غاية، وإن شئت الحق الصراح فقس كتاب الموطأ بكتاب الآثار لمحمد والأمالي لأبي يوسف تجد بينه وبينهما بعد المشرقين، فهل سمعت أحداً من المحدثين والفقهاء تعرض لهما واعتنى بهما».

قلبي من بين المحدثين الإمام مالك، فعنيت بموطئه عناية كبيرة.

وكانت في ذلك الوقت خصصت كتب للخزانة الخاصة بطلاب دار العلوم، كنت أطالعها، ومن بينها(تذكرة الحفاظ) للحافظ الذهبي، فاطلعت على أعمال المحدثين ومآثرهم.

تبين من هذه السطور كيف نشأ فيَّ اهتمام بدراسة الحديث النبوي الشريف وموطأ الإمام مالك، وكان من ثمار هذا الشوق والاهتمام أنَّ أول مقال لي صدر في مجلة (الندوة) سنة ١٩٠٥م كان حول موضوع علم الحديث، أشاد به الكبار، وشجعوني، ثم صدر أول كتاب لي (حياة الإمام مالك)[١].

وحصلت لـه رواية الموطـأ من طريق يحيى بـن يحيى الليثي[٢] مسلسلاً بالمالكية عن الشيخ عمر بن حمدان المحرسي، عن الشيخ فالح بن محمد الظاهري المالكي، عن السيد محمد بن علي السنوسي

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٦.

(٢) ألف مالك رحمه الله تعالى الموطأ، فكثر إقبال الناس عليه، وأخذوه عنه، وكان مالك يزيد فيه وينقص، فاختلفت روايات الموطأ، وقد أوصلها الحافظ محمد بن عبد الله الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين إلى ثلاث وثمانين رواية في كتابه السالك برواية الموطأ عن مالك، وأشهرها رواية يحيى بن يحيى الليثي التي تمتاز عن سائر الروايات باحتوائها على آراء مالك البالغة نحو ثلاثة آلاف مسألة في الفقه.

الخطابي المالكي، عن أبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المالكي، عن محمد بن التاودي بن الطالب بن سودة المزي الفاسي المالكي، عن أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي، عن أبي الحسن علي الحريشي المالكي، عن عبد القادر الفاسي المالكي، عن أحمد المقري المالكي، عن عمه أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري التلمساني المالكي، عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي المالكي، عن والده الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، عن أبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، أنا أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادي آشي، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، أنا القاضي أبو العباس أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي، أنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي القرطبي، أنا أبو عبد الله محمد بن فرج مولى بن الطلاع القرطبي، أنا القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث الصفار، أنا أبو عيسى يحيى بن يحيى، أنا عم والدي أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى، أنا والدي يحيى بن يحيى الليثي المصمودي، أنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس سماعاً لجميعه إلا أبواباً ثلاثة من آخر كتاب الاعتكاف، فعن زياد بن عبد الرحمن بن شبطون، عن مالك بن أنس.

وأعلى ما وقع له من روايات الموطأ هي رواية أبي مصعب أحمد ابن أبي بكر الزهري، فيرويها عن عمر بن حمدان المحرسي، عن الشيخ فالح بن محمد الظاهري، عن محمد بن علي السنوسي الخطابي، عن

عبد الحفيظ بن محمد العجيمي، عن محمد طاهر سنبل، عن عارف فتني، عن قريش الطبرية المعمرة عن إبراهيم بن أحمد الحصاري، عن محمد بن إبراهيم الغماري، عن الحافظ ابن حجر، عن مريم بنت أحمد ابن محمد الأذرعي، عن يونس بن إبراهيم الدبوسي، عن أبي الحسن بن المقير، عن الحافظ أبي الفضل بن ناصر، عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن منده، عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، قال: أخبرنا به أبو مصعب الزهري، قال: أخبرنا به الإمام مالك.

الإمامان ابن تيمية وابن القيم:

أما ابن تيمية فهو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية، الحراني، الشيخ الإمام العلامة، المحدث، المفسر، الفقيه المجتهد، الحافظ شيخ الإسلام، نادرة عصره، ذو التصانيف الكثيرة جداً، المولود سنة ٦٦١هـ والمتوفى سنة ٧٢٨هـ. سمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، وابن الصيرفي، وابن أبي الخير، وأبي الحسن ابن البخاري، وخلق كثير. وعني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام، وعلم الكلام، وغير ذلك.

قال الذهبي: «وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين،

والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمئة مجلد»[1].

وأما ابن القيم فهو الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه النحوي صاحب الذهن الوقاد والقلم السيال، والتآليف الكثيرة الماتعة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزيـة، المولود سنة ٦٩١هـ والمتوفى ٧٥١هـ. سمع من الشهاب النابلسي، وتقي الدين بن سليمان، وأبي بكر بن عبد الدائم، وعيسى المطعم، وإسماعيل بن مكتوم، وفاطمة بنت جوهر، وجماعة، ولازم ابن تيمية ملازمة تامة، واختص به. وبلغت تصانيفه نيفاً وستين كتاباً في مختلف العلوم. قال الحافظ ابن رجب: «كان عارفاً بالتفسير لايجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام، وبكلام أهل التصوف وإشـاراتهم ودقائقهم.

وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله، ولهج بالذكر، وشغف بالمحبـة والإنابة، والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة،

---

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٩٦ـ١٤٩٧؛ والبدر الطالع: ١/ ٦٥.

وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله»[1].

عرفت الهند ابن تيمية في عصره، ولكن موقف علماء الهند منه لم يكن قائماً على التقييم الصحيح له، فلم يطلعوا على كتبه إلا قليلاً، وأول من يرجع إليه الفضل[2] في الاطلاع على ابن تيمية وتعريفه في المجتمع

(١) انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٤٧؛ والدرر الكامنة: ٤/ ٢١ ـ ٢٣؛ والبدر الطالع: ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٦؛ ومقدمة زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

(٢) لا شك أن الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، والأمير صديق حسن خان سبقا شبلياً في الاعتراف بالإمام ابن تيمية، ولكنهما لم ينجحا في التعريف به واستلفات أنظار العلماء إليه، والقضاء على كثير من سوء فهمه كما نجح شبلي، ويجدر بي هنا أن أنقل شيئاً مما كتبه الإمام الدهلوي عنه، كتب إليه محمد معين السندي يسأله عن رأيه حول بعض أفكار ابن تيمية، فأجابه الإمام الدهلوي: «أرى أن جميع العلماء المسلمين عدول، فإنهم يملكون عقيدة سليمة وعملاً صالحاً، وقال النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله». يمكن أن يعتقدوا في أشياء يوجد فيها خلاف، فما دامت هذه الأمور لا تعارض نصاً صريحاً من القرآن وسنة النبي ﷺ والإجماع لا يجوز ذمهم، إني وصلت بعد البحث والتحقيق إلى أن ابن تيمية كان عالماً بكتاب الله تعالى وخبيراً بما فيه من معان وأحكام، حفظ عن ظهر قلبه أحاديث الرسول ﷺ وتفاسير السلف، وفقه معانيها وإشاراتها اللغوية والحكمية، وكان عالماً بالنحو واللغة، معترَفاً بفضله في هذا المجال، مرجعاً للفقه الحنبلي أصوله وفروعه، مقدَّماً في العقل والذكاء، دافع عن أهل السنة دفاعاً بليغاً قوياً، لا تحكى عنه بدعة ولا فسق، وإنما هي قضايا معدودة وصلت إلينا ضايقه فيها=

الهندي وتقديمه كإمام مجدد لقرنه هو العلامة شبلي النعماني[1]، الذي أعجب به إعجاباً بالغاً، وكان يفضله على الإمامين الغزالي والرازي. كتب شبلي مقالاً في مجلة (الندوة) سنة ١٩٠٨م تحت عنوان (العلامة ابن تيمية الحراني كمجدد لقرنه) وذكر ثلاث صفات أساسية للمجدد:

١ ـ أن يحدث انقلاباً هادفاً في مجال الدين أو التعليم أو السياسة.

٢ ـ وأن تكون آراؤه الإصلاحية نتيجة للاجتهاد لا التقليد.

= معاصروه، ولكن ليست هناك قضية واحدة لا يؤيده فيها قرآن ولا سنة، من الصعب أن يوجد في العالم كله شخص يجمع صفات ابن تيمية، لا يقاربه أحد في قوة الخطاب والكتاب ولا يدانيه، إن أولئك الذين ضايقوه وسجنوه لم يكونوا يملكون معشار ما أوتيه من العلم والفضل والنبوغ، وخلاف العلماء في ذلك يشبه خلاف أصحاب النبي ﷺ، ومن الضروري أن يُمسَك اللسان ويُكفَّ عن الوقوع في مثل هذه الأمور» ثم أشار الإمام الدهلوي إلى الاعتراضات ضد ابن تيمية واحداً بعد آخر كرأيه في صفات الله تعالى، وزيارة قبر النبي ﷺ وأكد أنه وإن كان هناك مجال للخلاف مع ابن تيمية ولكنه لا سبيل إلى أن يتهم بالتجديف والابتداع، وقال في آخر كلامه: «أنا أحذر المسلمين باسم الله تعالى من أن يقعوا فيه ويقدحوه بشيء»، (رسائل ولي الله الدهلوي، ص٢٦ ـ ٢٩).

(١) يقول السيد سليمان الندوي في مقدمته لكتاب (الرد على المنطقيين) لشيخ الإسلام: «وأول من تنبه لهذا الكتاب في هذه الديار حضرة الأستاذ المؤرخ الإمام شبلي النعماني، فتجد في رسائله المعروفة بـ (مكاتيب شبلي) إلماماً بهذا الكتاب، وأمره باستنساخه، ووجود نسخة منه عنده.

٣ ـ وأن يكون قد واجه مصائب في سبيل نشر أفكاره.

ووجد شبلي هذه الصفات مجتمعة في ابن تيمية، ورآه يفوق كثيراً من عباقرة تاريخ الإسلام[١].

وكان من تأثير ذلك أن السيد سليمان الندوي نشأ على محبة هذا الإمام العبقري، ويؤكد أنه لما اضطلع بدراسة كتب ابن تيمية وابن القيم زال عن قلبه كل أثر من آثار غيرهما، وانمحى كل لون من الألوان[٢]، وأخذ منهما كثيراً من آرائهما في كتابه (سيرة النبي) وغيره من المؤلفات، وقدم لكتاب (الرد على المنطقيين). يبدأ مقدمته بقوله: «هذا كتاب لم ينسج على منواله، ولم يسبق له نظير، فهو نقد ما قاله وأصَّله وأسسه أرسطو حكيم اليونانيين».

ويقول السيد الندوي: «وإذا أمعنت النظر في هذا الكتاب تجد مسائل منطقية وفلسفية، ابن تيمية أبو عذرتها، وهي تطابق كل المطابقة ما قال فلاسفة الإفرنج في هذا العصر في بعض مسائل المنطق والفلسفة».

ويقول: «فمما يجب علي في هذه الوجيزة الإلماع به هو ما قال المصنف في حقيقة الحد والجنس والفصل واللزوم وحقيقة العلة والقياس والاستقراء، والاستدلال بالمشهورات، والاكتفاء بمقدمة

---

(١) انظر: مقالات شبلي: ٥/ ٢٦ ـ ٦٧.

(٢) انظر: الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٨.

واحدة في القياس، وغيره من المباحث العويصة التي حل المصنف مشكلها ببيان واضح ودليل راهن، وما قال في العلة واللزوم هو عين ما قاله هيوم الفلسفي في كتبه، ومسألة اللزوم والعلية من المسائل العويصة التي ضلت في واديها الأفهام، ونبعت من عيونها ضلالات الطبائعيين من أهل الإلحاد، وكم لهذا النابغة من نوادر لم يسبقه إليها أحد رضي الله عنه».

ذهب جماعة من أهل السنة إلى القول بانقطاع نار جهنم، واختار ابن القيم هذا القول في كتابيه (الصواعق المرسلة) و(حادي الأرواح)، ويتلخَّص ما قاله ابن القيم في أن الرحمن الرحيم، البر الكريم، العزيز الحكيم أجل من أن يخلق نشئاً للشر دون الخير، وللعذاب دون الرحمة، وأن فطرة الله في الإنسان هي التقوى والإخلاص غير أنها تتكدر بأكدار من العصيان متفاوتة، منها ما تصقله الدعوة، ومنها ما يصقله العذاب الموقوت بأمد أقل، ومنها ما يحتاج صقله إلى فترة أطول في العذاب، وأن الغاية من ذلك أن يدرك الإنسان ضعفه بين يدي ربه، وافتقاره إلى رحمته، واضطراره إلى لطفه، وعدم طاقته على تحمل نقمته مع إدراكه قوة الله وبطشه، وأنه عظيم المن والإحسان إلى خلقه، فإذا أدرك العبد ذلك وانجلت فطرته من صدأ الإنسان، وتراجع إيمانه بعد ما طار به طائر الكفران لم يبق معنى لتعذيبه، لأن الله تعالى منزهة أفعاله عن التجرد من الحكمة، ولا حكمة في العذاب الدائم، وقد وزع ابن القيم ما استنتجه من هذا الاستدلال العقلي، وتأوله من آي القرآن الكريم، واستند إليه من

الآثار إلى خمسة وعشرين وجهاً[1].

فكان من شدة إعجاب السيد الندوي بابن القيم أن اختار مذهبه في ذلك، ورجح أن النار ليست بخالدة، **ولكنه في آخر حياته رجع عن هذا القول إلى مذهب الجمهور**[2].

ولي الله الدهلوي:

وهو الإمام المحدث الفقيه الرحالة كوكب الديار الهندية شيخ الإسلام، العالم المجتهد أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي، ١١١٤هـ-١٣٧٦هـ، طلب العلم في بلده ثم رحل إلى الحجاز عام ١١٤٣هـ، ورجع إلى الهند عام ١١٤٥هـ، ويروي عن أبي طاهر الكوراني، ومحمد وفد الله المكي، وتاج الدين القلعي، وسالم بن عبد الله البصري. وألف تآليف نافعة أفضلها (حجة الله البالغة).

قال الترهتي: «نشر أعلام الحديث وأخفق لواءه، وجدد معالمه حتى سلم له الناس أعشار الفضل، وأنه رئيس المحدثين، ونعم الناصر لسنن سيد المرسلين، وهذه فضيلة لا يختلف فيها اثنان، ولا يجحده فيها أعداؤه فما ظنك بالخلان، ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يعتني بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له ولأصحابه من رواية الأثر وإشاعته في

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة، ص٢٢-٢٤٠؛ وحادي الأرواح، ص٢٥٢-٢٧٧.

(٢) انظر: سيرة النبي: ٤/ ٤١٤-٤٢٦.

الأكناف البعيدة، ولم يقدر الله ذلك لغيرهم».

قال الحافظ عبد الحي الكتاني: «وهو ممن ظهر لي أنه يُعدُّ من حفاظ القرن الثاني عشر لأنه ممن رحل ورحل إليه، وروى وصنف واختار ورجح وغرس غرساً بالهند أطعم وأثمر وأكل منه خلق»[1].

يقول السيد الندوي في مقاله القيم (علم الحديث في الهند): «بلغت حالة المسلمين إلى ما رأيت فطلعت في أفق الهند شمس مشرقة ونور ساطع، وهو الشيخ الأجل، وفريد عصره الشاه ولي الله الدهلوي.

ولد الشاه ولي الله الدهلوي في زمان كان المسلمون في أشد حاجة إلى مثله من الرجال، فإن الدولة المغولية في الهند كانت إذ ذاك على وشك الزوال، تقلص ظلها، واضمحل أمرها، وقامت البدع والعادات السيئة في المسلمين، أما الفقراء الكذبة والمتشيخون فبسطوا فرشهم في الزوايا وجلسوا عليها يكيدون أهل الإسلام كيداً ويفسدون أموالهم، وأما المدارس فارتجت بأصوات المناطقة والفلاسفة فلا تكاد تسمع فيها من القرآن والحديث ذكراً أو همساً، وأما أهل الفتيا فعبدوا ألفاظ الفقه وكتب الفتاوى وجعلوها قبلة لهم، لا يسبرون غورها ولا يلتمسون معناها، وكان البحث عندهم في مسائل الفقه من الذنوب التي لا يغفرها الله، ولا تسأل عن القرآن والحديث فإنهم تركوهما وجعلوهما وراء

---

(١) فهرس الفهارس: ٢/ ١١٢٢.

ظهورهم، لا يعرف أهل العلم منهم من معاني القرآن ومطالبه وأحكام الأحاديث وأسرار الفقه شيئاً فضلاً عن العوام، فكانت ولادته في هذه الساعة أكبر فضل من الله على أهل الهند وأعظم موهبة وهبها إياهم»[1].

في خزانة دار المصنفين مخطوطة لكتاب (الفوز الكبير في أصول التفسير) للإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي مع تعليقاته على القرآن الكريم، ورسالة في مبادئ ترجمة القرآن الكريم. وكان السيد الندوي يرغب في طباعتها.

وكان السيد الندوي يقيم وزناً كبيراً لكتاب (الفوز الكبير في أصول التفسير) ولكنه كان يراه متناً، يحتاج إلى أن يخدم بالشرح والتعليق، بأن يستدل على توجيهات الإمام الدهلوي بالآيات القرآنية، ويستشهد عليها بأقوال غيره من المحققين.

ويتصل السيد الندوي بولي الله الدهلوي من طرق كثيرة، منها بروايته عن عمر بن حمدان المحرسي، عن أحمد بن إسماعيل البرزنجي، وعلي بن ظاهر الوتري، وحسب الله المكي، وغيرهم عن عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، عن أبيه وعن محمد إسحاق الدهلوي، كلاهما عن عبد العزيز الدهلوي عن والده الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي[2].

---

(١) علم الحديث في الهند، تعريب الأستاذ أبي الليث الندوي (بشيء من التصرف) مجلة الضياء عدد شعبان سنة ١٣٥٢هـ، ص٢٨٢.

(٢) يقول السيد الندوي في ترجمة عبد الغني الدهلوي: «لما وقعت الثورة في =

العلامة شبلي النعماني:

قدم العلامة شبلي النعماني إلى دار العلوم لندوة العلماء عميداً لها سنة ١٩٠٥م، ففرح طلابها فرحاً شديداً، وأعربوا عن إعجابهم البالغ بعقد الحفلات ترحيباً به، قدموا فيها خطبهم، وقصائدهم في الثناء عليه، وقدم السيد سليمان قصيدة باللغة الفارسية.

ومما امتاز به العلامة شبلي النعماني هو معرفته بالرجال، فخصَّ السيد سليمان من بين من اختار من الطلاب للتربية والتعليم.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي في ترجمة السيد الندوي: «وتأدب على العلامة شبلي بن حبيب الله البندولي، واستفاد منه استفادة عامة، واختص به ولازمه»[1].

ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني: «اشتهرت شخصية العلامة السيد سليمان الندوي وتجلت ميزاتها عندما ظهر نبوغه العلمي والعملي

= الهند وتسلط عليها الإنكليز توجه إلى أرض العرب، فقدم مكة المكرمة أولاً، ورحل إلى المدينة بعد ذلك، وبقي هناك مواظباً على تدريس الحديث، وانتفع به علماء الحرمين الشريفين، واليوم إن فتشت في المدينة عن سلسلة الحديث النبوي، تكون قليلة الوسائط وكثيرة البركة، فلا تجد إلا سلسلة الشاه محمد إسحاق، وسلسلته على الأخص». (مجلة الضياء عدد شعبان ١٣٥٢هـ).

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٣.

في أوساط العلم والاجتماع. وذلك بعد ما تخرج من دار العلوم ندوة العلماء ونال التربية العلمية والعملية من أستاذه الخاص العلامة الشيخ شبلي النعماني. فقد أشرف العلامة شبلي النعماني على بناء شخصيات ممتازة من تلاميذه أبناء دار العلوم لندوة العلماء، ونجح في ذلك نجاحاً باهراً. وكان في قمة تلاميذه الأعلام هذا التلميذ النجيب السيد سليمان الندوي»[1].

كان السيد سليمان يحب شيخه شبلياً محبة كبيرة ويجله إجلالاً بالغاً، كلما ذكره نطقت كل كلمة منه بالمحبة التي يكنها صدره، ويضمرها قلبه، وكان يرى نفسه ابناً معنوياً لشبلي، ولما مات شبلي حزن حزناً شديداً، يقول: «حزنت على وفاته حزناً لم أحزن مثله، وخشيت على نفسي، وكان الرائي يرى أن دمي قد جف، ووجهي أصبح مصفراً»[2].

ويقول السيد الندوي في مقدمة كتابه (حياة شبلي): «من النكران للجميل أن أرى أني أديت بتأليف (حياة شبلي) شكر شيخي المرحوم تجاه فضله، فإن فضله علي وكرمه ومنّه على هذا العبد الحقير يستعصي على العد والإحصاء، وله علي ثلاث منن لا أستطيع شكرها:

الأولى: أنه أخذ بيد هذا العاجز، وعلمه السير والمشي، ومكنه

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٨.
(٢) تذكرة سليمان، ص٤٣ ـ ٤٤.

من القراءة والكتابة حتى يخدم الدين والأمة حسب استطاعته.

والثانية: أنه قام بتوجيهي بعد تخرجي في دار العلوم - وهي أخطر مرحلة في الحياة - توجيهاً سديداً، أحاطني بحب العلم والغرام بدراسة الكتب، وحفظني من التيه والحيرة، وسأل كبار أهل بيتي أن لا يشغلوني بمهنة الطب، وأوقفني على عتبة العلم والأدب.

والثالثة: أنه بدأ حياتي العلمية بالمرحلة التي ختم بها حياته العلمية، فاستشغلني خلال حياته بكتابة سيرة النبي ﷺ، وأوصاني بها بعد مماته، فكلفني بدراسة سيرة النبي ﷺ، وجمع موادها، ونقدها، وتأليفها بالبحث والتحقيق، والحمد لله على هذه السعادة في الدنيا وأرجو بها المثوبة في الآخرة»[1].

* * *

---

(١) حياة شبلي، ص١١ - ١٢.

الفصل الثالث

الحياة العلمية

تخرج السيد سليمان من دار العلوم سنة ١٩٠٧م، فوجد نفسه على مفترق الطرق، كان كبار أهل بيته يرغبون في أن يمارس مهنة الطب، فكتبوا إلى العلامة شبلي حتى يحث سليمان على دراسة الطب، فرد عليهم شبلي قائلاً: «لا تفسدوا عليه حياته، فوضوه إلي، فإن الله تعالى صنعه لشيء غير هذا»، وجعله على نيابة تحرير مجلة (الندوة)[١].

في الصحافة:

كان السيد سليمان قد طبع له أول مقال عن (الزمان) في مجلة (مخزن) الشهيرة سنة ١٩٠٣م، وفي السنة نفسها قدم مقالاً موسعاً عن (العلم والإسلام) في الاحتفال السنوي لجمعية قريته (الإصلاح) أشاد به العلماء والمثقفون، ثم طبع في المجلة الشهيرة (علي كره منتهلي ميكزين) بتصدير من رئيس تحريرها في الثناء على هذا الكاتب الناشئ.

---

(١) حياة سليمان، ص٣٠.

وقام العلامة شبلي النعماني ومعه الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني بإصدار مجلة (الندوة) باللغة الأردية كلسان حال ندوة العلماء في جمادى الآخرة سنة ١٣٢٢هـ الموافق لسنة ١٩٠٤م، وسرعان ما اشتهرت المجلة كأفضل مجلة علمية أدبية في الأوساط العلمية، فكلف العلامة شبلي تلميذه النجيب السيد سليمان بتلخيص كتاب لجرجي زيدان فقام به خير قيام، فأعجب به شبلي وطبعه في مجلة (الندوة) عدد يناير سنة ١٩٠٥م، ثم كتب السيد سليمان أول مقال علمي للمجلة عن (علم الحديث) أشاد به العلماء وعلى رأسهم العلامة ألطاف حسين حالي، وكتب إلى العلامة شبلي النعماني:

«لقد سرني أن دار العلوم قدمت نموذجاً رائعاً لمنهجها التعليمي في أول مرة، فبارك الله فيها وفي طلبتها، أرجو، لا بل أوافق أن الاضطلاع باللغة العربية وعلومها، والإلمام الضروري باللغة الإنكليزية سينشئان في شعبنا المسلم الهندي كتّاباً ومؤلفين أكفاء لم ينشئ التعليم الإنكليزي الحديث إلى الآن أحداً يضاهيهم»[١].

وكخطوة لتدريب الطلاب على الكتابة والإدارة كلف شبلي عدداً منهم نيابة تحرير المجلة في الفترات المختلفة، وكان من بينهم السيد سليمان.

---

(١) مجلة الندوة عدد ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

يقول أبو الحسن علي الندوي: «وتداول نيابة تحرير مجلة(الندوة) ثلاث مرات بين سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وألف وسنة ثلاثين وثلاثمئة وألف، ولفت الأنظار بمقالاته العلمية التي تدل على نبوغه وتبشر بمستقبل الكاتب»[١].

ومن البحوث العلمية التي دبجها يراعه في هذه الفترة والتي نشرت في مجلة(الندوة): (المسلمون وعلم الهيئة) و(طبقات الأرض) و(إنجيل برنابا) و(قضية النشوء والارتقاء في ضوء القرآن الكريم) و(الإيمان بالغيب) و(التكرار في القرآن الكريم) و(شجاعة النساء المسلمات)[٢] و(مراصد المسلمين)[٣] و(الاشتراكية والإسلام) و(أسماء القرآن) و(انعدام المادة) و(الربا والصحف السماوية) و(تحريم الخمر) و(غرام السلف بمطالعة الكتب) و(حاجة ندوة العلماء إلى خزانة للكتب) و(مكتبة الإسكندرية) و(الإسلام والعقل) و(الاحتساب في الإسلام) و(مذهب الحنفية في العقائد) و(العذاب). وكانت هذه البحوث تعكس منهج شبلي العلمي والتحقيقي، وأسلوبه الأدبي الرصين، فذاع صيت السيد سليمان في الأوساط العلمية في الهند، ونال اعتراف العلماء

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٤.

(٢) نال هذا البحث قبولاً كبيراً، فنشر بمفرده في رسالة، وصدرت له عدة طبعات، ونقل إلى اللغة الإنكليزية.

(٣) وكتب له قبول واسع، ونقل إلى اللغة الإنكليزية.

والمثقفين وهو شاب يافع في العشرينيات من عمره.

لما شنت إيطالية هجمة على طرابلس سنة ١٩١١م اضطرب لها المسلمون في الهند، وكان شبلي يذهب في سياسة البلاد إلى مناصرة استقلال الهند، وأما على مستوى البلدان الإسلامية فكان يؤيد الوحدة الإسلامية، وهذا الرأي السياسي هو الذي اختاره أصحابه وتلامذته، فأصدر أبو الكلام آزاد صحيفة(الهلال) من كلكتة في شهر تموز ـ يوليو ١٩١٢م، واستقدم السيد سليمان سنة ثلاثين وثلاثمئة وألف الموافق لشهر أيار ـ مايو سنة ١٩١٣م إلى كلكتة، فشاركه في تحرير صحيفة (الهلال) ومكث بها سنة، وزينها بمقالاته العلمية والتاريخية، وزادها شهرة وصيتاً، يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي:

«انضم السيد الندوي إلى صحيفة(الهلال)، فظل اسمها كما كان ولكن أهل البصيرة رأوا أن الهلال تحول إلى بدر شمل بأشعته الشرق والغرب والشمال والجنوب»[(١)].

وخلال هذه الفترة التي كان فيها المسلمون يعيشون آثار حرب البلقان الحزينة المفجعة، وكانت قلوبهم مليئة بالغضب ضد الحكومة الإنكليزية حدث حادث كبير في آب ـ أغسطس سنة ١٩١٣م، وهو أن بلدية كانبور أرادت شق شارع جديد في بعض ضواحيها، وكان معبد

---

(١) صحيفة (صدق جديد) عدد (٢٢) كانون الثاني ـ يناير سنة ١٩٥٤م.

هندوكي ومسجد قريبين من الشـارع، وكان المعبد في وسـط الشارع، ولكن البلدية حافظت على المعبد، وهدمت ناحية من ميضأة المسجد، فثار المسلمون، وخرجوا يعيدون الميضأة إلى قواعدها، فأمر حاكم البلدية الإنكليزي بإطلاق الرصاص على المسلمين، فقتل عدد كبير وفيهم أطفال، وجرح آخرون، فألهب هذا الحادث النيران في قلوب المسـلمين في الهند كلها، وكتب العلمـاء مقالات حماسـية زادت المسلمين ثوراناً، وكتب السيد سليمان مقالاً بعنوان (المشهد الأكبر) أثار المسلمين، واستفزهم استفزازاً عظيماً، حتى صادرت الحكومة جميع نسخ صحيفة (الهلال) التي فيها هذا المقال، وننقل هنا مفتتح هذا المقال الذي يقول:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

الأرض عطشى تتطلب الدماء، ولكن دماء مَن؟ دماء المسلمين، من يسقي أرض طرابلس بدمائه؟ من تلونت بلاد المغرب بدمائهم؟ دماء المسـلمين، من تضطرب أجسادهم الميتة في أرض فارس؟ أجسـاد المسلمين، من تسيل دماؤهم في أرض بلقان؟ دماء المسلمين، كانت أرض الهند كذلك عطشى، تتطلب الدماء، دماء من؟ دماء المسلمين، وأخيراً نزلت الدماء على بقعة كانبور، ورويت أرض الهند) (صحيفة

الهلال ١٣ آب ـ أغسطس ١٩١٣م).

ومن مقالاته التي دبجها يراعه في (الهلال): (الحرية في الإسلام) و(تذكار نزول القرآن) و (قصص بني إسرائيل).

التدريس والمحاضرات:

وعين أستاذاً للغة العربية وآدابها وعلم الكلام في دار العلوم سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف الموافق لسبتمبر سنة ١٩٠٨م، وألّف (دروس الأدب) في جزئين للطلاب، وبقي يدرس في دار العلوم إلى سنة ١٩١٣م، وخلال هذه الفترة استمرت استفادته من شبلي في شتى أنواع المعرفة، وأسلوب الكتابة والتأليف، ومنهج البحث والتحقيق.

وألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين في سيالكوت في أوسط ١٩١١م حول موضوع (الإسلام والعقل) وطبعت في عدد تموز ـ يوليو سنة ١٩١١م من مجلة (الندوة).

ولما كان السيد الندوي مقيماً مع شيخه شبلي في بمومباي لتأليف (سيرة النبي)، سافر منها لحضور اجتماع مؤتمر مدراس الإسلامي في بنجلور في شهر تموز ـ يوليو سنة ١٩١٢م، وألقى فيه محاضرتين إحداهما عن تعليم النساء. وكانت هذه الرحلة مهمة جداً، فقد زار فيها مدن مدراس، وبنجلور، وسرنجابتم، وأنمباري، ولقي بها القادة الكبار وناقشهم حول القضايا الإسلامية المعاصرة.

واختير أستاذاً للألسنة الشرقية في كلية بونة التابعة لجامعة بومباي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة وألف، وأقام فيها نحو ثلاث سنوات يدرس آداب اللغتين العربية والفارسية، وحاز ثقة الأساتذة والطلاب.

وألقى محاضرة في اجتماع للمؤتمر التعليمي الإسلامي في كلكتة تحت عنوان (تعليم الهندوس في العهود الإسلامية في الهند) نالت الإعجاب، ونشرت في أعداد متوالية بمجلة (المعارف) سنة ١٩١٨م، ثم صدرت ترجمتها الإنكليزية في باكستان.

استدعته جمعية أردوملّي في شهر آذار ـ مارس سنة ١٩٣٣م لإلقاء المحاضرات في الجامعة الإسلامية بعلي كره، فلبى دعوتها، وألقى محاضرات علمية، وترأس الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني أحد هذه الاجتماعات، وألقى فيه خطبة علمية قرر فيها أن اللغة الأردية كان اسمها الحقيقي (هندوستاني).

وسافر إلى لاهور في شهر نيسان ـ أبريل سنة ١٩٣٣م للمشاركة في الاجتماع السنوي الأول لمعهد المعارف الإسلامية بلاهور، الذي ترأسه الدكتور محمد إقبال، وألقى فيه السيد سليمان محاضرة بعنوان (بيت للمهندسين في لاهور قام بتشييد (تاج محل) و (القلعة الحمراء)، واستشهد بدلائل تاريخية قوية على أن التاج محل قام ببنائه الأستاذ الفذ أحمد المعمار الذي كان علامة الهندسة والهيئة والعلوم الرياضية.

وزار مدينة برودة في تموز ـ يوليو سنة ١٩٣٣م حيث ألقى محاضرة

حول السيرة النبوية، وقام بزيارات لمدن بروج وراندير وسورت ودابيل.

واستدعاه الدكتور مختار أحمد الأنصاري في شباط ـ فبراير سنة ١٩٣٤م إلى الجامعة الملية حيث ترأس الحفلات المعدَّة لمحاضرات الدكتور بهجت من مصر.

إلى جانب هذه الدروس والمحاضرات كانت له محاضرات أخرى في الندوات العلمية والاجتماعات والمناسبات المختلفة، كما كانت له دروس منظمة في تفسير القرآن الكريم في دار المصنفين، وأخيراً في كراتشي، وكان كلما زار دار العلوم لندوة العلماء قام بتدريس بعض المواد من التفسير والحديث وعلم الكلام للطلاب، كما كان يفيدهم بمحاضراته وأحاديثه.

الكتابة والتأليف:

قرر الاجتماع السنوي لندوة العلماء سنة ١٩١٠م أن يؤلف قاموس للكلمات والمصطلحات الجديدة باللغة العربية، فوضت هذه المسؤولية إلى السيد سليمان فأتمه وقدمه في الاجتماع السنوي لندوة العلماء سنة ١٩١٢م، الذي ترأسه العلامة السيد محمد رشيد رضا، وطبع هذا القاموس باسم اللغات الجديدة.

لما أسس شبلي قسماً لتدوين سيرة النبي سنة ١٩١٠م عين السيد سليمان مساعداً فيه، ورأى شبلي أن هذا العمل العظيم يتطلب هدوءاً

لا يتوفر في لكنو، فانتقل في شهر أيار ـ مايو سنة ١٩١٢م إلى بومباي مع أعضاء هذا القسم، وفيهم السيد سليمان، كتب شبلي إلى الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني: «العمل مستمر، إن مصادر السيرة النبوية الأصيلة ثلاثة: سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، أقوم الآن باستقصاء أسماء رجال هذه الكتب وتدوينها، مستعيناً بتهذيب التهذيب وغيره، حتى يسهل نقد الرواة، يقوم السيد سليمان بهذا العمل، وهو مقيم معي، وأنا معنيٌّ بالسيرة، كما أن ترجمة الكتب الإنكليزية مستمرة»(١).

استدعاه شيخه العلامة شبلي النعماني حين حضرته الوفاة، وفوّض إليه إكمال (سيرة النبيّ)، ونظارة مجمع دار المصنفين، فنهض بأعباء المجمع، وخلف شيخه شبلياً، وذلك سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة وألف هجرية الموافق لسنة أربع عشرة وتسعمئة وألف مسيحية، وتولى رئاسة تحرير مجلة (المعارف) الشهرية، وعكف على على التأليف والتحقيق مكباً على إكمال (سيرة النبي).

كان السيد الندوي من كبار المؤلفين في هذا العصر، ومن المكثرين من الكتابة والتأليف مع سعة علم ودقة بحث وتنوع مقاصد، له تكملة (سيرة النبي) لأستاذه في خمسة مجلدات كبار، تعتبر دائرة المعارف في

---

(١) مكاتيب شبلي رقم ١٠٢، وشبلي النعماني للمؤلف، ص٦٦ ـ ٦٧.

السيرة النبوية والعقيدة الإسلامية، و (خطبات مدراس) من خير ما كتب في السيرة النبوية، ونقل إلى العربية والإنكليزية، و(أرض القرآن) في مجلدين في جغرافية القرآن، و(سيرة عائشة) و(سيرة مالك) و(خيام) و(نقوش سليماني) في البحوث اللغوية والأدبية، و(حياة شبلي) في سيرة أستاذه، و(الصلات بين العرب والهند) و(الملاحة عند العرب) وله غير ذلك من البحوث العلمية والمقالات الكثيرة التي تحويها مجلدات (المعارف) الكثيرة، وسيأتي الحديث عن مؤلفاته بشيء من التفصيل في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

رئاسة قسم تصحيح التاريخ:

وكان من سياسة الإنكليز في الهند تشويه تاريخ الهند الإسلامي، حتى يخجل الطلاب المسلمون من تاريخهم، وتستحكم الفجوة بين الهندوس والمسلمين، فأنشأ شبلي قسماً في دار العلوم لتصحيح الأخطاء التاريخية، وعين السيد سليمان أميناً لهذا القسم، فاستشار المعلمين والأساتذة المسلمين في المدارس الرسمية والجامعات، حاول شبلي إقصاء الكتب التي تتجه هذا الاتجاه من المقررات الدراسية، ولكن لم تمض فترة حتى تدخل مؤتمر المسلمين التعليمي، واستولى على الفكرة دون أن يشير إلى مبادرة ندوة العلماء إليها.

رئاسة قسم الدعوة الإسلامية:

كان الآريون الدعاة الهندوس نشطين في رد الجهال من المسلمين

عن دينهم، فأهم شبلياً نشاطهم، وبذل مساعيه وجهوده في وقف هذه الفتنة من سنة ١٩٠٨م إلى سنة ١٩١٢م، وأسس قسماً خاصاً سماه (مجلس حماية الإسلام ونشره) سنة ١٩١٢م، وفوض مسؤوليته إلى السيد الندوي، ولم تمض إلا سنة حتى حدثت ثورة ندوة العلماء التي أدت إلى استقالة شبلي، ورحلة السيد سليمان إلى كلكتة.

نشاطه التعليمي:

وكان السيد سليمان يذهب مذهب شبلي في أن تقدم الشعوب يتوقف على تقدمها في العلوم والصناعات، ولن يحصل ذلك إلا بتوفير أحسن المناهج الدراسية وأفضل النظم التعليمية، فقام إلى جانب تطبيق فكرة شبلي في دار العلوم لندوة العلماء بصياغة المناهج لمختلف الجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية.

حاول بعض أعضاء الجامعة الإسلامية بعلي كره أن ينشئوا قسماً للعلوم الشرقية في الجامعة، وذلك لتحقيق وعودهم للشعب المسلم حين جمع التبرعات والمساعدات المالية، فأسسوا مجلساً مكوناً من السيد سليمان الندوي، والأمير حبيب الرحمن خان الشرواني، والشيخ سليمان أشرف رئيس قسم العلوم الشرقية بالجامعة، والأستاذ مناظر أحسن الجيلاني، والشيخ أمجد علي، والأستاذ عبد العزيز الميمني، اجتمع هذا المجلس في شباط ـ فبراير سنة ١٩٢٦م وعقد اجتماعات في ١١ ـ ١٧ شباط ـ فبراير، وقام بتقسيم العلوم الشرقية إلى ثلاثة أجزاء: العلوم

العقلية، والعلوم الدينية، والعلوم الأدبية، ووضع مقررات دراسية لها إلى مستوى الماجستير[1].

ودعاه الملك نادر خان ملك أفغانستان في رجب سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة وألف للهجرة الموافق لشهر تشرين الأول ـ أكتوبر سنة ١٩٣٣م ليستفيد من تجاربه ودراساته في سياسة البلاد التعليمية وتوجيه المعارف في أفغانستان، فرافق الدكتور محمد إقبال الشاعر والسيد رأس مسعود (حفيد السيد أحمد خان)، وزار كابل وغزنة، وأكرمه الملك واحتفلت به البلاد، وألف (رحلة أفغانستان).

وكان من توجيهاته لملك أفغانستان نادر شاه أن يتضمن المنهاج التعليمي للأقسام الدينية والعربية الإصلاحات الاجتماعية والسياسية للعصر الحديث مع التركيز على ناحية الورع والتدين[2].

واستدعاه في شهر حزيران ـ يونيو سنة ١٩٣٤م السيد عبد العزيز وزير الشؤون التعليمية لولاية بهار إلى رانتشي لصياغة المناهج التعليمية للمدارس العربية.

نشاطه الاجتماعي والسياسي:

شارك مع الشيخ عبد الباري الفرنكي محلي في الحركات السياسية لسنتي ١٩١٥م و١٩١٦م.

---

(١) انظر مجلة (المعارف) عدد شباط ـ فبراير سنة ١٩٢٦م.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٧.

وشارك في حركة (إحياء الخلافة) مسايراً لعواطف المسلمين مع الاحتفاظ بأشغاله العلمية وذوقه الأدبي، وطبعه الهادئ، فأحرز بذلك مكانة خاصة بين العلماء والمشتغلين بالسياسة.

وعقد أول اجتماع لحركة الخلافة سنة ١٩١٩م في لكنو، فكان السيد سليمان همزة الوصل بين العلماء والزعماء السياسيين، وألقى خطبة حزينة حولت الاجتماع كله إلى حفلة عزاء.

واختير عضواً في وفد (حركة الخلافة) الذي قرر إرساله إلى عاصمة الجزائر البريطانية سنة ثمان وثلاثين وألف للهجرة الموافق لسنة ١٩٢٠م ليبلغ أركان الدولة الإنكليزية وجهة نظر مسلمي الهند تجاه الخلافة العثمانية، وارتباطهم بقضيتها، فرافق الزعيم الشهير محمد علي جوهر، والسيد حسين البهاري وغيرهما، فقابل أركان الدولة وقادة الرأي في أوروبة ورجال السياسة في العالم الإسلامي، وزار لندن، وباريس، والقاهرة، واستفاد من الخزائن العلمية في المتحف البريطاني، وأوكسفورد وكيمبرج، وجمعت رسائله التي كتبها من أوروبة إلى أصحابه في الهند في مجموعة (بريد فرنك).

وبدأت حركة قطع التعاون مع الحكومة البريطانية سنة ١٩٢٠م فساهم فيها بكل نشاط واهتمام، وقام بالتجولات في داخل البلاد، وألقى المحاضرات وكتب المقالات في دعم هذه الحركة، وكانت هذه

الحركة تهدف كذلك إلى رد جميع المساعدات المالية التي تقوم بها الحكومة للمعاهد التعليمية، وكانت ندوة العلماء تتلقى نحو خمسمئة روبية شهرياً، وكان كثير من أعضائها معارضين لحركة قطع التعاون، ولكن هيئة الأمناء قررت بعد متابعة السيد سليمان رد المساعدات الحكومية. وكان هذا المبلغ خطيراً لندوة العلماء، وكادت تعرض حياتها للخطر برده.

وشارك في نهاية كانون الأول ـ ديسمبر سنة ١٩٢٠م في اجتماع المؤتمر الوطني بناكبور، وهذا هو الاجتماع التاريخي الذي قرر اقتراح قطع التعاون، فامتلأت الهند كلها بصوت حركة قطع التعاون، وأصبحت دار المصنفين من أهم مراكز هذه الحركة، وكان من نتيجة الجهود التي بذلها السيد سليمان الندوي أن أقيمت في مديرية أعظم كره فروع لحركة الخلافة ومحاكم أهلية للمسلمين، وترك الناس رفع قضاياهم إلى المحاكم الحكومية، وأغلقت الخمارات، وأسست مدرسة وطنية.

وعقد سنة ١٩٢١م اجتماع للمؤتمر الوطني في أحمدآباد، شارك فيه السيد سليمان، واختير عضواً للهيئة التنفيذية للمؤتمر الوطني، كتب في إحدى رسائله: «تم اختياري عضواً من بين الأعضاء العشرة للهيئة التنفيذية للمؤتمر الوطني، وكان كبار أدعياء السياسة والمتعممون يتسابقون للفوز بهذه الكرامة، ولكن هذه الكرامة وجهت إلي من دون أن أطمع إليها، وأنا أقر بأنها لم تسرني، وإنما هو موافقة على وصية محمد

علي، وامتثال لأوامر الحكيم أجمل خان والدكتور الأنصاري[1].

لما استتب الأمر للملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٢٤م أرسلت حركة الخلافة وفداً برئاسة السيد سليمان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة وألف للهجرة إلى الحجاز للإصلاح بين الملك عبد العزيز والشريف حسين ومحاولة إقامة حكومة شرعية.

ودعا الملك عبد العزيز بن سعود إلى عقد مؤتمر للعالم الإسلامي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة وألف للهجرة الموافق لسنة ١٩٢٦م، ودعا علماء المسلمين وزعماءهم ليقرروا مصير البلاد، وقرر المسلمون في الهند إرسال وفد، واختاروا السيد سليمان الندوي رئيساً للوفد، واختير نائب الرئيس لحفلات المؤتمر، وهو شرف لم ينله عالم هندي قبله، وألقى محاضرات علمية فيه أثرت في قلوب أعضائه تأثيراً بليغاً، وخضعوا للمجد العلمي والديني للمسلمين في الهند.

وترأس الاجتماع السنوي لجمعية علماء الهند المنعقد في كلكتة في آذار ـ مارس ١٩٢٦م وألقى فيه خطبة قوية عن وضع المسلمين في الهند ومشاكلهم ومتطلباتهم.

ووافقت الحكومة سنة ١٩٢٨م على مشروع الحظر على زواج الصغار، كان السيد سليمان يرى إصلاح زواج الصغار، ولكنه كان يرى

---

(١) حياة سليمان، ص٢٢٢.

أن المصالح تقتضي أحياناً مثل هذا الزواج، ومن ثم أباحه الإسلام، ولا يجوز لأحد أن يحرم ما أحله لله، فقام السيد سليمان الندوي بمعارضة هذا القانون معارضة شديدة.

وفي سنة ١٩٣٥م نشأت قضية الصراع بين اللغتين الأردية والهندية، وتألم قلبه من هذه المنازعات، وكتب في افتتاحيات مجلة (المعارف) أن اللغتين لهما طرق مفتوحة للتطور، فلا يمكن الهندية أن تقضي على الأردية، ولا الأردية بقاضية على الهندية.

وترأس في شهر تشرين الثاني - نوفمبر سنة ١٩٣٦م مؤتمر فلسطين لعموم الهند في دهلي، وألقى فيه محاضرة نالت قبولاً واسعاً، ونشرت صحف مصر والشام ترجمتها.

وكتب إليه غاندي في سنة ١٩٤٤م بيده رسالة باللغة الأردية يستدعيه للتشاور معه في قضية اللغة الوطنية، فألقى محاضرة في الاجتماع يؤكد على ضرورة لغة وطنية.

واستدعي بعد هجرته إلى باكستان وإقامته بها إلى رئاسة اجتماع مؤتمر التاريخ بداكة سنة ١٩٥٣م، وألقى فيه محاضرته العلمية والفكرية القيمة التي أشار فيها على المسلمين البنغاليين بأن يتحرروا من كتابة لغتهم بالخط السنسكريتي، وأن يعودوا إلى الخط العربي الذي كانوا يكتبون به قبل الاستعمار الإنكليزي، وأثبت أن التحول من الخط العربي إلى الخط السنسكريتي كان مؤامرة خطيرة هدفت إلى إقصاء المسلمين

البنغاليين عن الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وفعلاً حدثت فجوة كبيرة بين المسلمين البنغاليين والمسلمين من الهند وباكستان، فكانت مشورة السيد الندوي مشورة عاقلة تحمل فراسة المؤمن، ولكن البنغاليين طلاباً وأساتذة في الجامعات والكليات استقبلوا هذه النصيحة بالنيل منه، ورمي الحجارة عليه، حتى قام بعض زملائه بحمايته، وأثرت هذه الحادثة فيه تأثيراً سيئاً زاد صحته ضعفاً وانحلالاً.

حجاته ورحلاته:

وقد شرّفه الله تعالى بالحج وزيارة الأراضي المقدسة ثلاث مرات:

أولاها: سنة ١٩٢٤م حينما أرسلت حركة الخلافة وفداً تحت رئاسته إلى الحجاز للإصلاح بين الملك عبد العزيز والشريف حسين ومحاولة إقامة حكومة شرعية.

والثانية: حينما دعا الملك عبد العزيز آل سعود لعقد مؤتمر للعالم الإسلامي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة وألف للهجرة الموافق لسنة ١٩٢٦م، فحضره رئيساً للوفد الهندي، واختير نائب الرئيس لحفلات المؤتمر، وألقى محاضرات علمية فيه أثرت في قلوب أعضائه تأثيراً قوياً واعترفوا بالمجد العلمي والديني للمسلمين في الهند.

وأجازه في هذه الحجة محدِّث الحرمين المسند الشيخ عمر حمدان المحرسي إجازة عامة في الحديث النبوي الشريف وسائر العلوم الإسلامية.

وقام بالرحلة الثالثة للحج سنة ١٣٦٨هـ =١٩٤٩م مع أهله وولده السيد سلمان، واختير أميراً للحجيج، واستضافه الملك عبد العزيز آل سعود استضافة خاصة[١]، ورجع من هذه الرحلة في كانون الأول ـ ديسمبر سنة ١٩٤٩م.

وكانت له رحلات واسعة النطاق داخل الهند، فقد كان من المستحيل أن تنشأ مناسبة علمية أو تعليمية ولا يُنتدب إليها السيد الندوي.

ومن أهم رحلاته رحلته سنة ١٩٢٠م إلى لندن وغيرها من بلاد أوروبة في وفد حركة (الخلافة)، مر فيها ببعض بلاد المسلمين، فلما وصل الوفد إلى بور سعيد قصد السيد الندوي الجامع العباسي لصلاة المغرب، فرأى فيه شيخاً يدرس الفقه، وقابل السيد الندوي الشيخ الفقيه وأصحابه، وذكر لهم أهداف الوفد، ففرحوا فرحاً كبيراً ودعوا لنجاح الوفد، ولما خرج من الجامع التف الناس حوله يرحبون به ويقابلونه.

وزار الوفد إيطالية وفرنسة وإنكلترة، حيث دافعوا عن حقوق تركية بألسنتهم وأقلامهم، قابلوا في لندن رئيس وزراء إنكلترة جورج

---

(١) عرض عليه الملك عبد العزيز أن ينزل ضيفاً على المملكة، فرفض، وقال: قد حججت حجتين سياسيتين، وأريد أن تكون هذه الثالثة خالصة لله، وكانت له في هذه الحجة لقاءات مع مفتي فلسطين أمين الحسيني، كما نزل ليلة ضيفاً على عين أعيان جدة محمد حسين نصيف جد الدكتور عبد الله عمر نصيف.

وغيره من الزعماء السياسيين وأعضاء البرلمان، ووفوداً من الحجاز والشام ومصر، وكان وفد الحجاز والشام يقوده نوري سعيد باشا وحداد باشا، فتحدث معهم السيد الندوي عن قضايا الخلافة وجزيرة العرب، وشرح لهم عواطف مسلمي الهند ومشاعرهم، ومتطلباتهم الدينية، فأثر ذلك في نفوسهم تأثيراً بالغاً، ودمعت عيونهم. ولقي في لندن سعد

زغلول باشا، شرح له السيد الندوي وجهة نظر مسلمي الهند نحو قضية (الخلافة) فعجب منه سعد زغلول، وقال: «إن عربيتك أحسن من عربيتنا»، والتقى السيد الندوي في هذه الرحلة بأرنولد، وبراون، واستوري، ومرغليوث وغيرهم من المستشرقين، وناقش مرغليوث ومستشرقاً إيطالياً حول قضية (الخلافة)، وكتب السيد الندوي مقالاً علمياً مبرهناً عن (الخلافة) طبع في مجلة (فارن افيرز) أشاد به القائد محمد علي إشادة كبيرة، وخلال هذه الزيارة اطلع على الخزائن العلمية في المتحف البريطاني، وجامعتي أوكسفورد وكيمبرج، واستفاد منها.

إقامته في بوفال:

بدأت حالته الصحية تتدهور منذ سنة ١٩٤٥م، ولكن أشغاله العلمية ازدادت ازدياداً كبيراً، وتضاعفت رحلاته إلى مسافات بعيدة بناءً على إلحاح محبيه، فرأى أن يقيم في رحاب دار العلوم لندوة العلماء التي كان يتولى عمادة شؤونها التعليمية منذ أربعين سنة، حتى يعنى بإصلاح وضعها التعليمي والمالي، ولكن لم يتيسر له ذلك، واستقدمه

الأمير حميد الله خان والي بوفال ليتولى رئاسة القضاء في الإمارة ورئاسة الجامعة الأحمدية، والإشراف على التعليم الديني والأمور الدينية في بوفال، فأجابه إلى ذلك لميله إلى الاعتزال عن (دار المصنفين) لمدة، وقصد بوفال في رجب سنة خمس وستين وثلاثمئة وألف، وأقام فيها أكثر من ثلاث سنوات، واشتغل بالدرس والإفادة، ونصح المسلمين، وحج سنة ثمان وستين وثلاثمئة وألف الحجة الأخيرة التي سبق ذكرها، وألغيت إمارة بوفال، وضمت إلى الحكومة الهندية، واضطربت الأحوال، فاستقال من وظيفته في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمئة وألف.

هجرته إلى باكستان:

فلمّا استقال من بوفال سافر مع أهل بيته إلى أعظم كره حتى يقيم بدار المصنفين إقامة دائمة، ولكن وضعها لم يوافقه، ووجه بعض أركان حكومة باكستان وقادتها الذين يعرفون منزلته العلمية وتبصره في العلوم الدينية دعوة رسمية له إلى باكستان ليشارك في وضع الدستور الإسلامي للحكومة الوليدة، وألحوا على استدعائه، فأجابهم إلى ذلك في شعبان سنة تسع وستين وثلاثمئة وألف للهجرة الموافق لسنة ١٩٥٠م، وقرر الإقامة في باكستان واختير رئيساً للجنة التعليمات الإسلامية التي أنشئت لمساعدة مجلس باكستان التشريعي في صياغة قوانين الدولة ودستورها وفق الشريعة الإسلامية، وظل رئيساً لهذه اللجنة طول حياته، وعني خلال إقامته بباكستان بالإشراف على مجامعها العلمية، ومعاهدها

التعليمية، ورعاية حركاتها ومنظماتها الدينية، وإفادة البلاد حكومة وشعباً بخبراته العلميـة، وتجاربه التعليمية، وتوجيهاته الدينيـة، في عفاف وقنـاعة، وعزة نفس واشتغال بخاصة النفس، والمطالعة والبحوث العلمية.

واختاره مجمع اللغة العربية في مصر عضواً مراسلاً في سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة وألف، ورأس بعض الحفلات العلمية الكبيرة، وكتب بحوثاً علمية، وأشار على ولاة الأمر وعلماء البلاد بما يرى فيه الخير والسداد لسلامة البلاد ومستقبلها، وبقي مشغولاً بالذكر والعبادة والتربية إلى أن وافاه الأجل.

وفاته:

وافاه الأجل في غرة ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة وألف الموافق للثاني والعشرين من تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩٥٣م، وحضر جنازته كبار العلماء وأعيان البلاد، وسفراء الحكومات الإسلامية والعربية، ودفن بجوار الشيخ شبير أحمد العثماني[(١)].

أهله وأولاده:

تزوج السيد سليمان الندوي ثلاث نسوة، أولاهن ابنة عم له سنة

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٦.

١٩٠٤م، ماتت سنة ١٩١٧م، ولد له منها أولاد بقي منهم ابن، اسمه أبو سهيل، وبنت اسمها سيدة.

ثم تزوج سنة ١٩٢٠م من امرأة توفيت بعد سنة ونصف، ولم يولد له منها.

ثم تزوج من امرأة من بيوتات الأشراف في السابع من شهر كانون الثاني - يناير سنة ١٩٢٣م، وولد له منها أربع بنات: شميمة، وشكيلة، وشميسة، وثويبة، وابن: هو الدكتور السيد سلمان الندوي.

والدكتور السيد سلمان الندوي يشبه أباه في محيّاه، وحرصه على العلم، ولد في الرابع من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٣م وتعلم في دار العلوم لندوة العلماء، وقرأ بها على الأستاذ أبي العرفان الندوي، والأستاذ محبوب الرحمن الأزهري، والمفتي محمد سعيد، والشيخ المقرئ ودود الحي، وقرأ على والده، وعلى الشيخ إشفاق الرحمن الكاندهلوي، والشيخ يوسف البنوري، والأستاذ خليل عرب، ونال شهادة الماجستير من جامعة كراتشي في التاريخ الإسلامي سنة ١٩٥٩م، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٧٢م، وكان موضوع رسالته (عبد الله بن الزبير والخلافة). ثم قام بالتدريس بها في قسم الدراسات الشرق أوسطية، وقام بإنشاء قسم الدراسات الإسلامية بجامعة دربن، وظل رئيساً للقسم ومحرراً لمجلة الدراسات الإسلامية الصادرة في الجامعة المذكورة حتى تقاعده عام ٢٠٠٠م. وقام بالنشر العلمي على

صعيد واسع في مجلات أكاديمية مختلفة، وقدم أوراق عمل وبحوثاً في أكثر من خمسين مؤتمر دولياً. وقد قام أخيراً بجمع نكات والده القرآنية في ضوء تعليقاته على المصحف الشريف الذي كان يتلو منه.

* * *

الفصل الرابع

حليته وصفاته ومواهبه

كان السيد سليمان الندوي متوسط القامة، مائلاً إلى القصر، له وجه مشرق، تلوح عليه أمارات الهدوء والسكينة، ويعلوه الوقار والرزانة، له لحية كثة مستديرة، وجبهة واسعة زاهرة، ممتلئ الوجنتين، واسع العينين، تشفّان عن ذكاء وحياء، أزج الحاجبين، رقيق الشفتين، نقي اللون بين حمرة وبياض، نظيف الملابس دائماً، لا يرى الناس قط عليه شيئاً من أذى أو تبذل، معتجراً العمامة في الأسفار والمجامع، مقلاً من الكلام، كثير الصمت، دائم الفكرة، امتزج العلم بلحمه ودمه، فلا يعنى إلا به، ولا يبحث إلا عنه، مديم الاشتغال بالمطالعة والبحث، دائم المذاكرة للعلماء في العلم والدين، سلس القريحة، سائل القلم في التأليف والتصنيف، ليست الخطابة في المجامع العامة والخوض في السياسة من طبعه وذوقه، فلا يتقدم إلى ذلك إلا متكلفاً أو مضطراً، راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام، واسع الاطلاع، غزير المادة في التاريخ وعلم الاجتماع والمدنية.

وكان منشئاً صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية، كاتباً مترسلاً في اللغة العربيـة، وشاعراً مقلاً في اللغتين مع إحسـان وإجادة، حليماً صابراً يقهر النفس، ويتسامح مع الأعداء والمعارضين، ضعيف المقاومة في شؤونه الشخصية، يتحمل ما يرهقه ويشق عليه[١].

عقيدته:

وكان بتأثير من الإمام مالك ثم من الإمامين ابن تيمية وابن القيم يذهب في أصول الدين والعقيدة مذهب السلف، وكان يؤكد أن مذهب السلف الصالح أحق بالاتباع، أماالمتأخرون ممن يتسمون باسم أهل السنة والجماعة فلا يمتّون إلى السنة والجماعة إلا فيما وافقت مذاهبهم الكتاب والسنة، يقول في رسالته (أهل السنة والجماعة):

«في الإسـلام طوائف وفرق تنسـب نفسها إلى أهل السنة، وهي منهم براء، والسبب في ذلك أن الأصول التي قررها السلف الصالح في بـاب العقائد قام المتأخرون بإحداث التغييرات فيها خوفاً من مطاعن العقلانيين، ورغم ذلك فإنهم يرون أنفسهم أهل السنة، بل يلحّون على أنهم أحق بهذا الخطاب من غيرهم.

انقسـم أهل السنة منذ القرنين الثالث والرابع إلى ثلاثة مذاهب: الأشاعرة، والحنابلة، والماتريدية، أما الأشاعرة فينتسبون إلى الإمام

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٦ـ ١٦٧.

أبي الحسن الأشعري، ويعتبر شارحاً لعقائد الإمام الشافعي، ومن ثم ترى الشافعية أشاعرة، وأما الحنابلة فهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل، والماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي، الذي ينتسب إلى الإمام أبي حنيفة، فاتبعه الحنيفة في عقائدهم، وعلى كلٍّ فعقائدهم توافق مذهب السلف الصالح.

ولكن الخطأ الذي وقع فيه المتأخرون أن المسائل التي سكت عنها الشارع لم يفوضوها إلى علم الله، وأتوا بدعاوى ومزاعم في تأويلها على غرار الفرق والطوائف الأخرى، وأدخلوا كثيراً من الآراء الفلسفية التي لا تتصل بالشريعة في العقائد.

فتبين من هذه التصريحات أن الفرق بين التاركين للسنة والمتأخرين من أهل السنة الذين تأثروا بالمعتزلة وغيرهم من الطوائف العقلية، وأجروا تغييرات في أصول السلف من أهل السنة، وحاولوا التوفيق بين مذهبهم وبين العقل قليل جداً، والواقع أن مقالات هؤلاء المتأخرين لا تمت لعقائد أهل السنة والسلف الصالح بصلة ما، إلا قدر ما قاربت الكتاب والسنة»[١].

مذهبه في الفقه:

درس الفقه على مذهب أبي حنيفة، ولكنّه لم يتشدد في المذهب

---

(١) أهل السنة والجماعة، ص٥٤ـ٥٥.

تشدد المتأخرين، بل كان يتبع الدليل من الكتاب والسنة، ويرى الاجتهاد أمراً لازماً لحياة الأمة. يقول نجله الأستاذ سلمان الندوي وهو يتحدث عن استقلاله الفكري: «إنه نشأ في الفقه على مذهب أبي حنيفة، ولكنْ ظل ملازماً ما اختط لنفسه من التحرر الفكري في الفقه، وقد شاهدت بعيني عدداً من تلك المواقف[1].

يقول السيد الندوي: «وكان من منهجي في تحقيق المسائل الدينية أن لزمت مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى في باب العقائد، ولم أقلّد مجتهداً بعينه في الفقه، بل راجعتُ الدلائل، ونظرتُ فيها، ثم رجّحتُ ما ساقني الدليل إليه في مسائل الفقه، ولكن **لم أختر رأياً شاذاً لم يذهب إليه أحد من أئمة السلف**، وقد اعتمدت بصفة خاصة على تحقيقات الحافظ ابن تيمية، والحافظ ابن القيم، والشاه ولي الله الدهلوي رحمهم الله تعالى في شرح المسائل»[2].

كراهيته للبدع:

وكان حب السنة وأهلها راسخاً في قلبه، وكراهية البدعة وأهلها متأصلة في نفسه، وذلك منذ نشأته وقراءته لكتاب (تقوية الإيمان) للإمام محمد إسماعيل الشهيد. ولا يشوب فكرته عن البدعة شيء من الغموض، بل أمرها عنده واضح جداً، ويرى أن البدعة لا تكون إلا أمراً أُحدث في

---

(١) العلامة السيد سليمان الندوي للدكتور الصديقي الندوي، ص١٠.

(٢) مجلة (المعارف) عدد كانون الثاني-يناير ١٩٤٣م.

الدين، فإن لم يكن أمراً دينياً لم يعد بدعة[1].

حبه للعلم:

وأما حبه للعلم وهيامه به فيتحدَّث عنه العلامة أبو الحسن علي الندوي قائلاً: «كان العلم لحمه ودمه، وجارياً في عروقه، فكان العلم غذاءه ومتعته، وشعاره ودثاره، وما أكثر ما لوحظ أنه إذا دخلت عربته من بوابة دار العلوم سأل أول من لقيه أن يخبر الأساتذة بمقدمه أو يحضر بعض الكتب التي يسمّيها، فإذا نزل من العربة ودخل دار الضيافة خلع عباءته، وتوضأ، وجلس ينتظر الشاي حتى يصل إليه شيوخ الحديث والفقه، فيذاكرهم في المواضيع العلمية، أو تصل إليه الكتب فيطالعها، لا يخصص نفسه بموضوع واحد، فقد يتناول مسألة من مسائل الحديث، أو يعالج قضية من قضايا الفقه، وقد يناقش المواضيع التاريخية، أو السير والتراجم، ولم يتطرق إلى شيء آخر في مجالسه غير المناقشات العلمية والبحث والتحقيق[2].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وكان العلامة السيد سليمان الندوي يمتاز من بين أقرانه بهمة عالية، وولع شديد بتحقيق منجزات علمية، وكان يقبل على إكمال كتاب يبدأ تأليفه كأنه أحب وآخر عمل يقوم به في حياته، فكان يركز عليه جل عنايته، ويبذل فيه كل جهوده،

---

(١) انظر: رسالة أهل السنة والجماعة، ص١٣.
(٢) المصابيح القديمة: ١/ ٢٥.

ويطالع مئات بل وآلافاً من الصفحات لأجله، ويجمع المعلومات، ويحضر المواد، ثم يستخدمها، وينتفع بها في إخراج هذا الكتاب أو البحث، وما يكاد ينتهي من عمل حتى يبدأ بعمل آخر، بدلاً من أن يأخذ قسطاً من الراحة، ويروّح نفسه من التعب والعناء الذي لاقاه في البحث والتحقيق، وكان يشتغل به بنفس النشاط والرغبة، وقد أثر ذلك في صحته، فتعرض لأمراض مضنية، وضعف وإعياء شديدين، وهو لا يفتر ولا يستريح، ويبقى مشغول الخاطر بالموضوع الذي يبحث فيه أو يستعد له، شأن من استأسره العلم، وملك عليه مشاعره وتفكيره، وملأ منه كل فراغ[(١)].

ذاكرته:

وكانت ذاكرته قوية للغاية، وفكره منظماً للدرجة القصوى، فكانت المسائل العلمية والآراء منقحة وواضحة وتامة لديه، كان سريعاً في التقاط مواده من الكتب الضخمة والمباحث المعقدة، وكانت له ملكة خاصة في وضعها في محالها، كانت فهارس معلوماته واضحة وكاملة في ذهنه على غرار فهارس خزانة علمية رتبت على أحسن المناهج وأحدث الأساليب[(٢)].

يقول ابن عمه الأستاذ أبو ظفر الندوي صاحب (تاريخ كجرات):

---

(١) شخصيات وكتب، ص٧٦ ـ ٧٧.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٧.

«كان العلامة الندوي موصوفاً بالذكاء النادر والذاكرة القوية، رحلت من بيشاور إلى حدود الصين فلم أجد من بين من لقيت من العلماء والباحثين أحداً يشبه العلامة أنور شاه الكشميري، وأبا الكلام آزاد، والعلامة السيد سليمان الندوي»[1].

ويقول الأستاذ أبو ظفر: «كتبت مرة تاريخ مليبار مستنداً إلى رحلة ابن بطوطة، فلما أعاد السيد الندوي النظر في مقالي قال: أخطأت، فأتيته بالترجمة الأردية للرحلة، فنظر فيها وقال: أخطأ المترجم، إيت بالأصل العربي، فلما نظر فيه قال: انظر، أخطأ المترجم في تعيين مرجع الضمير، فلما نظرت رأيت أن السيد الندوي مصيب»[2].

جمعه بين القديم والحديث[3]:

وكان إلى جانب اضطلاعه بالعلوم والثقافات الإسلامية ملماً

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) إن ما دعت إليه ندوة العلماء من الجمع بين القديم والحديث لا يعني إلا أن يضطلع العلماء بالعلوم الإسلامية ويتعمقوا فيها، وأما الثقافة الحديثة فلا يراد منهم أن يتعمقوا فيها، فإن هذا غير مقدور عليه، والعمر لا يتسع، والطاقة لاتحتمل، والمعارف لا تنتهي، وإنما المراد أن يطالعوا بعض الكتب الميسرة منها، بعد أن يكونوا قد درسوا الأصول المهمة من هذه الثقافات في المرحلتين الإعدادية والثانوية دراسة تمكنهم من متابعة الفكر العلمي الحديث، ونقده، وأن لا يكونوا غرباء في مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

بالثقافات الحديثة، يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «تخرج السيد سليمان الندوي في دار العلوم لندوة العلماء التي نادت بضرورة الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وربط العلم الجديد بالعلم القديم، واختيار الأسلوب العلمي والأدبي البليغ، فتجلت في خصائص شخصيته طبيعة هذا الجمع وظهرت آثاره في أعماله العلمية والأدبية والاجتماعية، فلقد كان عالماً مسلماً على الطراز المحافظ القديم، وأديباً وباحثاً على المنهج المعاصر الجديد، وكان يجمع بين العمق العلمي القديم وسعة الاطلاع وحسن العرض الجديد، وكانت نظراته نظرات علمية رزينة، وكان أسلوبه أسلوباً واضحاً مفيداً، فلقد كان مثالاً رائعاً لما تريده وتتوخّاه دار العلوم ندوة العلماء لأبنائها»(١).

ويقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي أستاذ قسم اللغة الأردية بجامعة (علي كره) الإسلامية: «كان السيد الندوي مطلعاً على الأفكار الحديثة والمناهج المتطورة اطلاعاً جيداً، فلم يكن غريباً في أي دائرة من دوائر (علي كره) عن العلماء، ومجالس أهل السياسة، وتجمعات طلبة العلم، واجتماعات عامة الناس، والملمّين بالأفكار الحديثة والاتجاهات الجديدة»(٢).

ويقول الأستاذ الصديقي: «لقد رأيت الشبان المتسلحين بأحدث

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٨ ـ ٢٩.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٧.

الأفكار العلمية والمناهج الفكرية في جامعة (علي كره) لا يساوون السيد الندوي على المستويين العلمي والفكري، ورأيتهم دائماً مستفيدين منه»[1].

ويقول الأستاذ سعيد أحمد الأكبر أبادي: «كان السيد الندوي عالماً من علماء الدين في علمه وعمله، وصورته وسيرته، وظاهره وباطنه، إنه احتفظ بوقاره العلمي في كل مكان وفي كل مناسبة، فينبغي للعلماء أن يعترفوا بفضله ويشكروه على أن فرداً فريداً من جماعتهم تقدم حتى قام برئاسة المجالس العلمية للجامعات، واجتماعات المؤتمر التاريخي، وحفلات المعاهد الأدبية والتحقيقية، وتأليف الكتب العلمية والمقالات والبحوث حول موضوعات العلوم والآداب الإسلامية، والمسائل والبحوث العلمية والأدبية والتاريخية والسياسية، فلم يرفع بذلك نفسه وحدها، بل أثبت رسم السيادة العلمية والتحقيقية للعلماء والمدارس العربية على أصحاب الثقافة الحديثة»[2].

جامعيته:

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: كان من مزايا شخصية السيد سليمان الندوي **الجامعية والشمول في المعرفة والبحث**، فقد كان

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٥.

خبيراً بالعلوم القديمة والعصرية، وكان مؤرخاً وأديباً وناقداً ومحققاً، وبجانب ذلك كان فقيهاً ومحدّثاً في آن واحد، وبالإضافة إلى هذا الاشتغال والشغف بالبحث العلمي. كان من كبار القادة لحركة تحرير البلاد والانتفاضة السياسية للمسلمين، فكان يرأسُ اجتماعات وحفلات أدبية ولغوية، ويرأسُ مجالس فقهية ودينية تضمُّ العلماء. وكان أحد أعضاء وفد حركة الخلافة الذي توجه إلى إنكلترة برئاسة رئيس الأحرار مولانا محمد علي في عام ١٩٢٠م لشرح مشاعر المسلمين إزاء قضية الخلافة على المسؤولين البريطانيين والمثقفين وقادة الفكر في بريطانية. وترأس أيضاً وفد الخلافة الذي اشترك في المؤتمر الإسلامي الأول الذي دعا إليه الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٩٢٦م، وكان أحد الأعضاء الثلاثة للوفد الذي توجه إلى أفغانستان بناءاً على دعوة نادر خان ملك أفغانستان لإعداد خطة جديدة للتعليم في أفغانستان، وكان العضوان الآخران في الوفد هما الدكتور محمد إقبال والسير رأس مسعود نائب رئيس الجامعة الإسلامية بعلي كره(١).

ويقول الأستاذ سعيد أحمد الأكبر أبادي بعد ذكر مزايا السيد الندوي وخصائصه: «هذه خصائص ومزايا تفرد بها العلامة السيد سليمان الندوي، فأحرز النجاح حيث لم ينجح العلامة شبلي، وحاز بثقة عامة شاملة عجز عنها شيخه، وثق به العلماء ثقة تامة، فاختاروه رئيساً

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧١ ـ ٧٣.

لاجتماع جمعية العلماء السنوي المنعقد في كلكتة، وظل عضواً بارزاً لمجلسها التنفيذي مدة طويلة، واختير رئيساً لمؤتمر فلسطين لعموم الهند الذي عقدته جمعية العلماء في دهلي. كانت أرض ندوة العلماء ضاقت على شبلي، ولكنها فتحت ذراعيها للعلامة السيد سليمان الندوي ورحبت به في تكريم وتبجيل.

وكان العلماء من كل مذهب وفكر يحترمون السيد الندوي ويعظمونه، ويثنون عليه في العلم والفضل ثناءاً نابعاً من داخل القلوب، ويقدرون أخلاقه وفضائله، وفي جانب آخر قامت جامعة (علي كره) التي غادرها شبلي ساخطاً عليها بتقدير خدمات السيد الندوي العلمية والدينية، وأكرمته بشهادة الدكتوراه الفخرية، وظل عضواً بارزاً لهيئة جامعة (علي كره) الإدارية وعدة من مجالسها العلمية فترات طويلة.

وإن الولاء الذي كانت الطبقة المثقفة بالثقافة الإنكليزية تحملها تجاه السيد الندوي يتجلى في الرسائل التي وجهها الأستاذ محمد علي جوهر والدكتور إقبال إليه، أما رسائل محمد علي فهي عبارة عن محبة صادقة، وولاء عميق، بينما توحي رسائل الدكتور إقبال أنه كلما واجه مشكلة في دراسته للقضايا الإسلامية والمسائل الدينية رجع إلى السيد الندوي، كان الدكتور إقبال يوليه محبة كبيرة، وكان من مظاهر هذا الحب أنه طلب من السيد الندوي أن يوافق على رئاسة اجتماع هيئة المعارف الإسلامية المنعقد في لاهور، وتنمّ الكلمات التي ذكر بها السيد الندوي عن عواطف إقبال الحقيقية.

ومن الدليل البين على ثقة الطبقة المثقفة به أن السيد الندوي كان عضواً في وفد الخلافة الذي زار إنكلترة، وكان أميراً للوفد الذي مثّل الهند في مؤتمر الحجاز للعالم الإسلامي، وكان الوفد مكوناً من أمثال محمد علي وشوكت علي وشعيب القرشي من الطبقة المثقفة.

كما كانت الجامعات الهندية المختلفة ومجالسها العلمية والأدبية تستدعي السيد الندوي لتستفيد من منابع علومه وآدابه[1].

ويقول الأستاذ الأكبر أبادي: «وكان من نتيجة هذه الثقة أنَّ كُتُبَ السيد الندوي ومؤلفاته ومقالاته وخطبه ومحاضراته نالت قبولاً واسعاً بين طبقتي العلماء والمثقفين، فكان الجميع يعترفون بفضله، وينتفعون به، فحققت حركة شبلي نجاحاً باهراً في أهدافه»[2].

ويقول الأستاذ مجيب الله الندوي: «كانت شخصية السيد الندوي مجمعاً للعناصر الفكرية المختلفة من البلاد والشعب، تجتمع لديه التيارات المختلفة، ويعتمد عليه الناس من كل طبقة ودائرة وجماعة ويثقون به»[3].

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٦١ ـ ١٦٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٦٣.
(٣) المرجع السابق، ص٢٥٧.

وسطيته واعتداله:

وكان مع هذا الجمع بين العلوم والآداب ومختلف الثقافات متصفاً بالاعتدال والوسطية، فكان يضع كلَّ شيء في محله، من دون أن يطغى هذا على ذاك أو ذاك على هذا، يقول الأستاذ شمس تبريز خان:

«كان من مزايا السيد الندوي الكثيرة اتسامه بالتوازن والاعتدال، اتصفت به حياته العامة، وحياته العلمية والأدبية والكتابية، كانت أفكاره في غاية من الاتزان والاعتدال، وكان يكره الإعراض عن الكتاب والسنّة، والتولي عن مذهب أهل السنة أشد الكراهية، وكان يرى الثبات على المنهج الوسط للإسلام، والإذعان له، والاستقامة عليه أصل الإيمان، ومن ثَـمَّ كان يلوم بعض الحركات الإسلامية المستحدثة والنظريات التجديدية المتطرفة، ويمكن أن يقال: إن منهجه هذا أسوة حسنة للعلماء وعامة المسلمين، كانت الرزانة والوسطية منهجه في التفكير والنظر، ومذهبه في الحياة، وأسلوبه في الكتابة والتأليف»[1].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وكان مما ميزه الله به سعة النظر واتزان الفكر، وكان في ذلك نصيب للبيئة التي تلقى فيها تربيته العلمية والفكرية، وفضل لتوجيه الأساتذة والمربين الذين استفاد منهم، فلم يكن فيه تزمت فكري، أو عصبية مذهبية، أو جمود علمي

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٦٥.

شأن كثير من العلماء في عصره وقبل عصره، وكان بريئاً من الضحالة العلمية، والتسرع في الحكم، والانبهار بالحضارة الأوروبية، كالطبقة المثقفة الجديدة، بل كان واسع النظر، رحب الصدر، محباً للوسطية والاعتدال في كل شيء من آرائه العلمية إلى مذهبه الفقهي، ولو لم يكن كذلك لواجه حرجاً وعنتاً في كثير من المناسبات، وفي صحبة الزعيم الهندي الكبير مولانا محمد علي في وفد الخلافة إلى إنكلترة، وفي حضوره للمؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة، وسفره إلى أفغانستان، وصلاته بالجامعة الإسلامية في (علي كره)، والجامعة الملية الإسلامية في دهلي، والمجامع الأدبية واللغوية والعلمية في أنحاء الهند، التي كان فيها موضع احترام وإجلال وتقدير واعتراف»[(١)] .

نظافته:

كان السيد الندوي نظيف البدن والثياب، وكان يلبس الثياب الجياد من دون إسراف ولا تفاخر. يقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي : «كان السيد سليمان دائم النظافة في ظاهره وباطنه»[(٢)] .

أعماله اليومية:

كان يبدأ يومه بعد صلاة الفجر بتلاوة القرآن الكريم، ثم يجلس

---

(١) شخصيات وكتب، ص٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) حياة سليمان، ص٦٠٨ .

بعد الفطور للكتابة والتأليف في مكتبه في دار المصنفين منقطعاً عن هموم الدنيا إلى قبل وقت الظهر، ثم يتغدى مع أصحابه، ثم يروح إلى بيته يقيل فيه قليلاً، ثم يتوضأ ويصلي الظهر في المسجد، ويرجع إلى مكتبه، ويظل مشتغلاً بعمله إلى وقت العصر.

وكان يجلس بعد العصر في مظلة بيته، حيث يجتمع حوله أصحابه في دار المصنفين، فكان يتبسط لهم، ويتحدث معهم بمحبة وتواضع، ويستمع إليهم، وكان المجلس ينتهي قبيل المغرب فكان يتجول مع أصغر أولاده في فناء دار المصنفين، وكان يقضي وقته بعد المغرب في بيته ومع أولاده.

محاسن أخلاقه:

كان متحلياً بمحاسن الأخلاق من السهولة واللين، والعفو والحلم، والوقار والرزانة، والتواضع، يقول الشيخ معين الدين الندوي: «رغم صيته الذي انتشر في الآفاق، وشهرته التي طبقت كافة أنحاء الهند لم يتظاهر قط بعظمته، كان يقابل عامة الناس بوجه طلق وحسن خلق، ويتحدث إليهم حسب أذواقهم، وقد تشرَّفت بصحبته مدة طويلة، وانتفعت بمكارم أخلاقه، ولم أره في هذه المدة خرج عن نطاق حسن الخلق»[1].

---

(١) حياة سليمان، ص٦٠٩ ـ ٦١٠.

غنى النفس:

لم يتطلع قط إلى حب المال وجمعه، بل قضى معظم حياته في عفاف وقناعة وزهد يخدم العلم والدين، يقول صاحبه معين الدين أحمد الندوي: «لم يعن قط بكسب الدنيا، ولم يستغل الفرص التي توفرت له لجمع الأموال، فقد عرضت عليه في أوقات مختلفة رئاسة أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية، والجامعة العثمانية، وجامعة لاهور، ولكنه لم يلتفت إليها، وعاش حياته كلها في بساطة وقناعة»[1].

التربية وإصلاح النفس:

ولما بلغ ذروته في النبوغ والكمال في العلوم والآداب، وذيوع الصيت والشهرة في أنحاء الهند وأكناف العالم، وأصبح ملجأ العلماء والمثقفين، ومأوى الكتاب والباحثين، حملته نفسه الطامحة إلى أن يعنى بإصلاح باطنه، وتزكية نفسه، ويبلغ درجة الإحسان، فاختار أن يصحب العالم الرباني المرشد الديني الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي[2].

---

(١) حياة سليمان، ص٦١٩.

(٢) الشيخ العالم الفقيه أشرف علي بن عبد الحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأثر، ولد بقرية تهانة من أعمال مظفر نكر لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمانين ومئتين بعد الألف، وأخذ عن فتح محمد التهانوي، =

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «أعتقد أنه لم يكن في العلماء المعاصرين وعلى الأقل في خريجي المدارس الدينية في الهند من عاش معركة العقل والقلب، والقديم والجديد، والشرق والغرب، والدين والأدب، أو الدين والفلسفة مثل ما عاشها أستاذنا العلامة الذي كان من خريجي دار العلوم لندوة العلماء، ومؤلف (سيرة النبي)ﷺ، وسياسياً خبيراً، وأديباً بصيراً، تجول في أوروبة، وكان قد سقى شجرة العلم بنبعه الفياض، واستظل بظلها الظليل سنين طوالاً، وتناول موضوع التاريخ، وتحدث عن فلسفة مد العلم وجزره، وتطوره وانحطاطه، ولكن قلبه السليم وروحه الوثابة كانت تشهد (وإن كان

= ومحمود حسن الديوبندي، والسيد أحمد الدهلوي، ويعقوب بن مملوك العلي النانوتوي. وسافر إلى الحجاز وأخذ الطريقة عن الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي المهاجر إلى مكة المكرمة. ودرس في كانبور، ثم لزم موطنه يعلم الناس ويعظهم ويقوم بإصلاحهم وإرشادهم، وصار مرجعاً في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، تشد إليه الرحال، ويقصده الراغبون من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، وإرشاد الطالبين، والاطلاع على غوائل النفوس، ومداخل الشيطان، ومعالجة الأدواء الباطنة والأسقام النفسية. وكانت أوقاته مضبوطة منظمة. وله مؤلفات كثيرة نافعة انتفع بها الناس. توفي إلى رحمه الله تعالى لست عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمئة وألف. (انظر ترجمته في نزهة الخواطر: ٨/ ٥٦_٥٩).

تلاميذه والمعجبون بعلمه وكتاباته لا يقرون بأنه كان في حاجة إلى مزيد جديد) بأنه لم ينهل بعد من نميره الصافي الفياض، وكانت مؤلفاته وخاصة (محاضرات مدراس) و (سيرة النبي) و (سيرة عائشة) قد أذكت في قلوب آلاف من الناس شعلة الإيمان، فذاقوا حلاوته، ولكن همته البعيدة وعزمه وطموحه كان يحثه على البحث عن تلك المنزلة التي عبر عنها الحديث الشريف بالإحسان، والقرآن الكريم بالتزكية.

وكما أنه وجد مرشداً وموجهاً مثل العلامة شبلي النعماني في طريق العلم والأدب، والبحث والتحقيق، فطواها بنجاح وتوفيق، كذلك كان يبحث عن مرب حكيم وموجه بصير، يبصره بغوائل النفس ومواضع الضعف في طبقة العلماء والمنشغلين بالعلم والتأليف، ويسهِّل له الوصول إلى مرتبة الإحسان والتزكية، وإن قصته ومشاعره الداخلية في ذلك كانت ـ إلى حد كبير ـ كالتي نشاهدها في حياة الإمام حجة الإسلام الغزالي، فإنه لما بلغ ذروة الفضل والكمال والشهرة العلمية بدا له ما كان يشتغل به من اجتهاد علمي وفكري كسراب، وخرج من بغداد في البحث عن معين العلم الحقيقي واليقين والمعرفة، وعاد موفقاً قد نهل وعلَّ»[1].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وكان مع انقطاعه

---

(١) شخصيات وكتب، ص٧٥ ـ ٧٦.

إلى العلم والتحقيق وشهرته التي طبقت الآفاق يحنُّ إلى إكمال نفسه ونيل درجة الإحسان، ويشعر بحاجة إلى من يرشده إلى دقائق إصلاح النفس وكمال الإخلاص والتحقيق، وساقه التوفيق والمناسبة العلمية إلى مولانا أشرف علي التهانوي، وبايعه في رجب سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وألف، وأذعن له بالثقة والاعتماد والتفويض والانقياد، ونال عند شيخه الزلفى في أقل مدة، فأجازه، واستخلفه لعشر خلون من شوال إحدى وستين وثلاثمئة وألف»[1].

* * *

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٥.

الفصل الخامس

فضله وثناء النّاس عليه

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «العلامة السيد سليمان الندوي من أولئك الرجال العظام الذين لا يجود بهم التاريخ إلا قليلاً»[١].

وقال المحدث الشهير العلامة أنور شاه الكشميري: «إذا جُمع علمُ الغزاليّ والرازيّ إلى ورع جنيد وشبلي تكوّن منه سليمان ندوي»[٢].

ويقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال: «من ذا الذي يعتبر اليوم فرهاد نهر الحليب للعلوم الإسلامية غير السيد سليمان الندوي»[٣].

وقال إقبال: «يتبوأ السيد سليمان الندوي اليوم أعلى مدارج حياتنا

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٨.

(٢) مجلة بياد علامه سيد سليمان ندوي، ص٨.

(٣) إقبال نامه، ص١٦٦. يشبه فرهاد وشيرين عند الفرس قيساً وليلى عند العرب، وكان من قصة فرهاد أنه لما أحب شيرين وهام بها، اشترطت عليه أنها لن تتزوج به حتى يحفر الجبل، ويشق منه نهراً من حليب، فرضي بشرطها. =

العلمية، إنه ليس مجرد عالم بل هو أمير للعلماء، وليس بكاتب، بل إنه إمام الكتاب والمؤلفين، إن شخصه بحر للعلوم والمحاسن تخرج منه مئات من الأنهار، وتستقي منه ألوف من المزارع اليابسة»[1].

ولما طبعت مجموعة إقبال الشعرية (رسالة المشرق) قام السيد الندوي بدراسة وعرض لها في مجلة (المعارف)، فكتب الدكتور إقبال إليه: «إني شاكر لك على ملاحظاتك على (رسالة المشرق) في مجلة (المعارف)، وقد وصلتني رسالة من الأستاذ نكلسون، أعرب فيها عن إعجابه بها، وسيقوم بنقلها إلى الإنكليزية، ويقول: «إن هذا الكتاب حافل بالأفكار الجديدة الأصيلة، ورد جميل على الديوان الغربي لغوته. ولكن رأيك لدي آثر وأحب من رأي الأستاذ نكلسون»[2].

وكتب إقبال إليه مرة: «إن ما علمتني يكفيني لحياتي إذا امتد بي العمر»[3].

وكتب إقبال مرة أخرى: «إنك تتولى الأستاذية الكاملة بعد العلامة شبلي، وسيستفيد إقبال من نقدك»[4].

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٨.
(٢) إقبال نامه، ص١٢٢.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) موج كوثر، ص٢٤٧.

وقال المربي الجليل أشرف علي التهانوي: «يتشابه شبلي وسليمان تشابه ابن تيمية وصاحبه ابن القيم»[1].

ويقول الأستاذ معين الدين أحمد الندوي: «لا يظهر الأعلام الجامعون للصفات النابغة من أمثال حضرة الأستاذ العلامة السيد سليمان الندوي إلا في قرون، كان تذكاراً للأئمة السلف في فضائله، وكانت نظرته في عامة العلوم الإسلامية واسعة وعميقة، وكان يحتل مكانة الاجتهاد والإمامة في بعض العلوم، وخلف فيها آثاراً من بصيرته العلمية والدينية، وبحثه وتحقيقه تبقى منارة لدنيا العلم والمعرفة إلى آماد بعيدة»[2].

وسمعت شيخنا الإمام أبا الحسن الندوي غير مرة يقول: «قارب السيد سليمان الندوي شيخه شبلياً في الاضطلاع من العلوم والتقدم في الكتابة والتأليف، وفاقه في البحث والتحقيق».

وقال الشيخ محمد إكرام: «ينبغي لإدراك المكانة التي تبوأها السيد سليمان الندوي في حياتنا العلمية بعد أن وقف نفسه لخدمة العلم والأدب، دراسة الرسائل التي كتبها العلامة إقبال والأستاذ محمد علي

---

(١) مجلة بياد علامه سيد سليمان ندوي، ص١٨.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٧٣.

جوهر إلى السيد الندوي، يظهر منها أن المغرمين بالعلوم الإسلامية لما رأوا الظلام المطبق في البلاد هرعوا إلى المصباح المستنير في أعظم كره، وترى عدة رسائل من إقبال كأنها من تلميذ إلى شيخه»[١].

يقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي: «يحتل السيد الندوي مكانة مرموقة معترفاً بها في حسبه ونسبه، وعلمه وفضله، وأخلاقه وشمائله، وخدمته للشعب والبلاد»[٢].

* * *

(١) موج كوثر، ص٢٤٧.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندويّ، ص١١٧.

الباب الثاني

مكانته في العلوم والآداب

- تمهيد
- الفصل الأول: القرآن الكريم وعلومه
- الفصل الثاني: الحديث النبوي الشريف
- الفصل الثالث: الفقه
- الفصل الرابع: التاريخ
- الفصل الخامس: الفلسفة وعلم الكلام
- الفصل السادس: اللغات والآداب

تمهيد

كان له كعب عال وقدم راسخة في علوم القرآن والسنة، والفقه، والتاريخ، والفلسفة وعلم الكلام، وآداب اللغة العربية والفارسية والأردية، ولم يكن في علماء عصره ومثقفي زمانه من يضاهيه في هذه العلوم والآداب، يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي:

«أرى جميع علماء هذا العصر ومفكريه ماثلين بين عيني لا من الهند وحدها بل من غيرها من البلدان الإسلامية، فلا أجد من يقارب السيد الندوي في جمعه للعلوم والآداب»[١].

ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «لقد كان الأستاذ الكبير العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى صاحب دراسات علمية واسعة، ونظرة علمية فاحصة، ومعرفة باللغة العربية الأصيلة وآدابها، وذلك لإمعانه في الدراسة العلمية، واطلاعه على الآداب العربية، فكان يستخدم مؤهلاته الحاصلة من ذلك لفهم أسرار كتاب الله المجيد وحديث رسوله الكريم ﷺ، ولاستنتاج المفاهيم الدقيقة

---

(١) العلامة السيد سليمان الندوي للدكتور محمد نعيم الصديقي الندوي، ص ١٠.

والمضامين النافعة للعلوم الإسلامية، ونجد مصداق ذلك في المعارف التي استنتجها من السيرة النبوية الشريفة في كتابه الموسوعي الكبير (سيرة النبي) على صاحبها ألف ألف سلام وتحية، الذي هو في ستة مجلدات كبار، وفيما أوضحه واستعرضه من معان ومعارف في بحوثه الأدبية والفكرية، ومؤلفاته التاريخية»(١).

ورغم سعة دراساته واهتماماته العلمية، وتنوع الموضوعات التي عني بها لم ينس قط أن الواجب عليه هو تسخير جميع كفاءاته وقدراته العلمية لخدمة الدين، والدعوة إلى القرآن والسنة، يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «لقد كتب السيد الندوي كثيراً، وكان يتمتع بالسيادة العلمية في موضوعات الأدب، والتاريخ، والفقه، والسيرة، والفلسفة، والجغرافية، ولكنه لم ينس قط هدفه الحقيقي، كان تعليم مقاصد الكتاب والسنة والكشف عن حقائقهما هو الغرض الذي يرمي إليه»(٢).

يقول صاحبه الأستاذ غلام محمد: «دع المقالات والرسائل والكتب التي ألفها السيد الندوي في الموضوعات القرآنية والحديثية، حتى إن المقالات والكتب التي ألفها في الموضوعات التاريخية والجغرافية فإنه لم ينو بها إلا تعريف المسلمين بالقرآن الكريم ودين الإسلام، فقد

---

(١) من رسالة لشيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، كتبها إلي من لكنو في التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ.

(٢) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٦٣.

سمعته يقول: ما حملت القلم قط إلا لأقرب المسلمين من الإسلام والقرآن الكريم، وإن كانت عناوين كتاباتي مختلفة من التاريخ والجغرافية والسيرة، والحمد لله على أن التجارب أثبتت أن هذا المنهج جليل المنفعة وعظيم التأثير، فإذا درس قارئ (الملاحة عند العرب) و(الصلات بين الهند والعرب) عرف أنه جلس لقراءة التاريخ والجغرافية، فلما انتهى من القراءة أصبح وله أنس بالقرآن الكريم، وتعطش لفهم معانيه وإدراك مراميه»[1].

وسأستعرض الآن بشيء من التفصيل العلوم والآداب التي برز فيها العلامة الندوي، وتجلى فيه تفوقه، وسبق فيها الأقران:

(١) تذكرة سليمان، ص٦٣.

الفصل الأول

القرآن الكريم وعلومه

كان السيد سليمان الندوي دائم التدبر لكتاب الله تعالى إيماناً منه بأن ثمرة التلاوة التدبر والتذكر، كما قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة صٓ: ٢٩]. ولم يتعامل مع القرآن بعقله وحده، بل بعقله وقلبه معاً، فتلاوته لم تكن تلاوة محترف ولا غافل، بل تلاوة عقل يقظ، وقلب مشرق، ووجدان حي. وهذه المعايشة الدائمة للقرآن جعلت معانيه ومعارفه بين يديه كأنها جنة دانية القطوف، يقطف من ثمارها ما شاء الله.

يقول الأستاذ محمد أويس النجرامي: «كان السيد الندوي حقيقةً معنياً بالقرآن الكريم من بين سائر العلوم الإسلامية، وكان له اهتمام كبير باستنباط المسائل الكلامية والفقهية والخلقية والسياسية من آي القرآن الكريم، وشرح لطائفه الأدبية، وتحقيق مباحثه التاريخية، يشهد على ذوقه هذا كتابه (أرض القرآن) والمجلدات الضخمة لـ(سيرة النبي)»[1].

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٥.

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «يعرف العلامة السيد سليمان الندوي عادة في الأوساط العلمية كمؤرخ وأديب، ولكني أعتقد أن موضوع اختصاصه الذي يتجلى فيه ذوقه الطبيعي هو القرآن الكريم وعلم الكلام، ويدل على هذا الاتجاه المجلدان الرابع والخامس من (سيرة النبي) ﷺ اللذان يعالجان منصب النبوة والعقائد والعبادات والأخلاق من زاوية جديدة ودراسة مقارنة»[1].

كان اهتمام السيد الندوي بالقرآن الكريم نتيجة لتربية شبلي ومجالس الإمام حميد الدين الفراهي، يقول: «يرجع اهتمامي بالقرآن الكريم إلى تعليم شبلي، وألهبت مجالس العلامة حميد الدين الفراهي الممتعة نار هذا الشوق، حتى نما هذا الاهتمام نمواً، واشتد اشتداداً»[2].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن الندوي: «لم أتشرف بزيارة الشيخ حميد الدين الفراهي المعروف والمسلم له في تعمقه في دراسة القرآن الكريم، ولا أرى بعده من يماثل السيد الندوي في تدبر كتاب الله تعالى، والاطلاع على الدقائق والنكات البلاغية والأدبية والكلامية للقرآن الكريم، والخوض في بحار معانيه، ليس تصريحي هذا قائماً على عصبية حزبية أو موالاة محضة، فقد استمعت مراراً لدروسه القرآنية

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧٠.
(٢) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٨.

وحضرت أحاديثه حول الآيات والسور القرآنية المختلفة»[1].

ويقول السيد أبو الحسن: «قد توفَّرت لي فرصة الاستفادة من العلامة السيد سليمان الندوي في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، والاستماع إلى خطبه حول بعض الآيات القرآنية، إني أعترف بأني لم أرَ أحداً يقارب السيد سليمان الندوي في التعمق في فهم القرآن الكريم، هذا اكتشاف تاريخي، يعرف الناس السيد سليمان كمؤرخ ومؤلف للسير ومتكلِّم، لكني أرى أنه كان يحظى في فهم القرآن الكريم بمكانة رفيعة لم أجد أحداً في الهند بل وفي شبه القارة من يشابهه في دراسة القرآن الكريم توسعاً وتعمقاً.

وسبب ذلك أن دراسته للغة العربية وآدابها والبلاغة والمعاني وإعجاز القرآن الكريم كانت واسعة وعميقة، ثم إنه صحب الشيخ حميد الدين الفراهي (وكان إماماً لهذا العلم) واستفاد من أحاديثه، وتحقيقاته، ودراسته للقرآن الكريم. إني أتذكر أننا كنا في زيارة لدار المصنفين، فخطب السيد سليمان الندوي حول سورة الجمعة، ولم أكن سمعت خطبة مثلها في العلم والبحث والتحقيق والكشف عن النكات والدقائق، يا ليتها كانت قد حفظت»[2].

---

(١) المصابيح القديمة: ٢/ ٢٥٣.
(٢) قرآني إفادات ومولانا أبو الحسن علي ندوي، ص٣٠ ـ ٣١.

ويقول الشيخ المفسر محمد أويس النجرامي الندوي: «كانت عامة أحاديثه مليئة بالدقائق والنكات القرآنية»[1].

ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي وهو يتحدث عن مكانة السيد سليمان الندوي في فهم القرآن الكريم: «إن الآيات القرآنية الشريفة التي استشهد بها في بحوثه ودراساته الإسلامية إنما جاء بها مراعياً لموافقة مضمونها المناسبة والمحل وطبق الأصل لما استعمله العرب قديماً، وموافقة معاني كلماتها لما يستعمله العرب، وذلك أمر يظهر فيه الضعف لدى كثير من الناس، لأن الكلمات في كلّ لغة إنما تكون استعمالاتها مع مواقعها الحقيقية ومع مواقع مجازية، ولا يطلع على ذلك ممن يعمل في مجال اللغة العربية إلا من درس اللغة العربية في نصوصها المعاصرة لظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم، وكان العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى قد بذل جهداً لا بأس به في معرفة مواضع استعمال الكلمات الواردة في القرآن الكريم في العهد الذي نزل فيه، وفهمها وفق هذه الموضوعات المحددة، وقد تتلمذ عليه في ذلك عديد من تلامذته، واختار هذا المنهج سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى أيضاً، وكان يذكر استفادته منه، فرأينا استشهاداته بالآيات القرآنية في الموضوعات التي توافقها فكرياً

---

(١) مجلة بياد علامة سيد سليمان ندوي، ص١٩.

ونفسياً وواقعياً، نجد ذلك منتشراً في بحوثه ومحاضراته، ولقد سمعنا منه امتياز العلامة السيد سليمان الندوي في ذلك، وقد شغل سماحة الشيخ أبو الحسن منصب أستاذ تفسير القرآن الكريم وعلومه في دار العلوم لندوة العلماء عشر سنوات، وانتفع به في ذلك تلاميذه.

ومن تلاميذ العلامة السيد سليمان الندوي في ذلك الأستاذ محمد أويس الندوي الذي شغل منصب أستاذ التفسير وعلوم القرآن في ندوة العلماء بعد الأستاذ أبي الحسن، وله كتاب جمع فيه تفسير الآيات القرآنية للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى»[1].

دروسه في التفسير:

وكانت للسيد الندوي دروس منتظمة في التفسير في دار المصنفين، وكان الطلاب يقصدونه للأخذ منه في التفسير والاستفادة منه، وواصل دروسه في بوفال، وفي كراتشي لما هاجر إلى باكستان.

ترتيب القرآن الكريم:

كانت للسيد الندوي خطة لتدوين المسائل القرآنية وترتيبها وفق الأسلوب العصري، وكان يرغب في دراسة الآيات القرآنية والنظر فيها

---

(١) من رسالة لشيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، كتبها إلي من لكنو في التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ.

مع تطبيق المبادئ، والتدين وسلامة العقل والفكر، وأن تفرد الآيات القرآنية المتعلقة بالقضايا والشؤون الكلامية، والفقهية، والخلقية، والاقتصادية، والاجتماعية والسياسية، ثم تفسر هذه المسائل المستنبطة من القرآن الكريم في ضوء الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين والسلف الصالح[١].

يقول الأستاذ محمد أويس النجرامي: «يبدو كأن هذا اقتراح عادي، ولكن تطبيقه يتطلب استخدام مؤسسة بكاملها، وبذلك يمكن أن تتوفر كتب نافعة قيمة في العلوم الإسلامية، ومواد صالحة لفهم النظريات الإسلامية»[٢].

ويقول الأستاذ النجرامي: «كان السيد الندوي قد بدأ بعض الأعمال نحو تطبيق هذه الخطة تحت عنوان(عقائد القرآن) و(فقه القرآن) وكان كلّف كاتب هذه السطور بجمع آيات الأحكام، وهي عندي محفوظة»[٣].

الحديث النبوي شرح للقرآن الكريم:

كان السيد الندوي يرى على غرار غيره من المحققين أن الآيات

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٦.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) المرجع السابق نفسه.

القرآنية تقدم أصولاً كلية، وأن أحاديث النبيِّ ﷺ ليست إلا شرحاً لها، وكان يرى أن يولي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عناية تامة بالدراسة والنظر الدقيق، وأن تجمع الأحاديث النبوية تحت هذه الكليات، وكان السيد الندوي قد وضع عنوانين لهذا الموضوع في مذكراته، أولهما:

(الآيات التي استدل بها النبي ﷺ على ما قاله)، وكان قد جمع تحت هذا العنوان ثمانية وخمسين حديثاً، مثل:

١ - «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم تلا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨][(1)].

٢ - فلما قضى الصلاة قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ٢٠]»[(2)].

٣ - نهانا عن الاختصاء ثم قرأ علينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧][(3)].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، إلا قوله ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

(٢) وهو جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها في كتاب التفسير، =

٤ ـ «إن الله عزَّ وجلّ يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

والعنوان الثاني: (القسم الثاني من الأحاديث التي تفسر القرآن بغير ذكر القرآن).

وكان قد جمع تحت هذا العنوان ثمانية وعشرين حديثاً، مثل:

١ ـ «إياكم والظن»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٢ ـ إنما هي أعمالكم ترد عليكم، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يسٓ: ٥٤].

٣ ـ «أنفق ينفق عليك»[(٣)]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩][(٤)].

= باب لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب وكان عرشه على الماء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلّ: أنفق أُنفق عليك».

(٤) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

ويقول السيد الندوي وهو يتحدث عن اهتمامه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: «كان من فضل الله أني بنيت كل مبحث من مباحث (سيرة النبي) على أساس القرآن الكريم، ورسمته وزينته بالحديث النبوي الشريف، وهما رأس مالي، وزادي إلى الآخرة، أحدهما أصل، والآخر ظل، أحدهما وحي جلي، والآخر وحي خفي، أحدهما دليل، والآخر نتيجة فمن رآهما اثنين فهو أحول»[1].

جمع الآيات الإلـٰهية:

قـدم القرآن بعض نواميس الكون كآيات من عند الله تعالى، كان السـيد الندوي يرى أن تجمع هذه الأمكنة المختلفة تحت عناوينها، ويستدل عليها من المصادر القديمة والجديدة حتى يتجلى كونها آيات، كان السيد الندوي قد جمع هذه الآيات وأفرد لها العناوين، ولكنه لم يتمكن من شرحها[2].

لطائف القرآن الأدبية:

كان السيد الندوي يرى أن كتب البلاغة والمعاني وغيرها تشير إلى اللطائف الأدبية والنكات البيانية للقرآن الكريم ضمن شـرح المسـائل

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٨.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٨.

المختلفة، فإن جمعت هذه الآيات وفق ترتيب سورها في القرآن الكريم فإنه سيكون عملاً نافعاً لمن يهتم بدراسة القرآن الكريم من الناحية الأدبية، والحمد لله على أن هذا العمل الجليل تم في جزئين[1].

تاريخ دراسات إعجاز القرآن الكريم:

إن إعجاز القرآن الكريم أحد الموضوعات الهامة في علومه، وقد عني به العلماء في كل زمان في مناهج مختلفة وأساليب متنوعة، فأمر السيد الندوي بجمع الدراسات الإعجازية كلها على الترتيب التاريخي، فبلغت المجموعة مجلداً، الأمر الذي يشير إلى اختلاف الناس في نظرهم نحو إعجاز القرآن الكريم في العهود المختلفة[2].

ومن أهم مؤلفات السيد الندوي في مجال الدراسات القرآنية كتابه (أرض القرآن) و(حواشيه على المصحف الشريف)، وسيأتي التعريف بهما في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٨.
(٢) المرجع السابق، ص٢٤٩.

الفصل الثاني

الحديث النبوي الشريف

الذي دفع العلامة سليمان الندوي إلى الاشتغال بالحديث النبوي الشريف ـ إلى جانب أخذه أمهات كتب الحديث عن شيوخه في دار العلوم ـ اطّلاعه على (العجالة النافعة) للإمام عبد العزيز بن أحمد الدهلوي ثم (بستان المحدثين) له، ثم أولع بكتاب (الموطأ) للإمام مالك، كما زاد من رغبته في الحديث الشريف مطالعاته لكتاب (تذكرة الحفاظ) للإمام الذهبي، و(فتح الباري) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وكان قد درس كنوز السنة بدقة تامة لا سيما خلال تأليفه لكتاب (سيرة النبي) و(سيرة عائشة)، فقد استند في تأليفها إلى الصحاح الستة، و(موطأ) الإمام مالك بروايتي يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن الحسن الشيباني، و(مسند أحمد بن حنبل)، و(مصنف عبد الرزاق)، و(مسند البزار)، و(مسند ابن الجارود)، و(الأدب المفرد)، و(سنن الدارقطني)، و(صحيح ابن خزيمة)، و(معاجم الطبراني)، و(صحيح ابن حبان)، و(سنن الدارمي)، و(سنن البيهقي)، و(مشكاة المصابيح)، و(كنز العمال)، و(نيل الأوطار).

وكان من حبه للسنن والآثار واشتغاله بها أنه كان دائم الحرص على اقتناء كتب السنة والحديث في دار المصنفين، حتى أصبحت خزانة دار المصنفين حافلة بكتب الحديث ورجاله.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «وظهر امتياز العلامة السيد سليمان الندوي في شرح أحاديث الرسول ﷺ كذلك، فقد كان معنياً بأن يكون فهم الحديث الشريف في إطار العمل النبوي الشريف المشتمل على إدراك الجو الذي جاء فيه، ليكون تطبيقه على الحياة أوفق وأجدر»(١).

أسانيده لكتب الحديث:

قرأ السيد الندوي الجوامع والسنن في دار العلوم لندوة العلماء على عدة شيوخ لهم أسانيد عالية، ثم أجازه الشيخ عمر حمدان المحرسي محدث الحرمين الشريفين المعروف بكثرة شيوخه وأسانيده العالية المتقنة، ويروي السيد الندوي عن طريقه جميع كتب الحديث والأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات، ويطول الأمر لو ذهبت أسرد أسانيده لها، وليس هذا الكتاب بموضع لها، ولكن أقتصر هنا على أسانيده للأصول الستة:

---

(١) من رسالة لشيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، كتبها إلي من لكنو في التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ.

أما (الجامع الصحيح) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، رحمه الله تعالى، فيرويه عن الشيخ عمر حمدان المحرسي، عن السيد محمد علي بن ظاهر الوتري، عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، عن الشيخ محمد إسحاق الدهلوي، عن الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي، عن والده الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، عن أبي طاهر الكوراني، عن أحمد بن محمد النخلي وعبد الله بن سالم البصري، كلاهما عن محمد بن العلاء البابلي، عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري، عن نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن البرهان إبراهيم بن أحمد التنوخي، أنا أبو العباس أحمد ابن أبي طالب الحجار، أنا أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي سماعاً، أنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي، ثنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، ثنا الحافظ أبو محمد عبد الله ابن حمويه السرخسي، ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، قال: حدثنا به الحافظ أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري.

وأما (الجامع الصحيح) للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري فبالإسناد إلى الحافظ ابن حجر قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن عقيل، أنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، أنا أبو العباس أحمد بن عبد الدائم، أنا محمد بن علي بن صدقة، أنا

أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان[1] عن مؤلفه الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى.

وأما (سنن الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني) رحمه الله تعالى فيرويه بالإسناد السابق إلى القاضي زكريا الأنصاري عن الشرف محمد بن الكويك، عن زينب بنت الكمال المقدسية، عن عبد الرحمن بن مكي الطرابلسي، عن جده لأمه أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، عن أبي طاهر جعفر العباداني، قال: أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، أنا الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى.

وأما (جامع الإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي) رحمه الله تعالى فيرويه بإسناده إلى القاضي زكريا الأنصاري، عن العز عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن الفرات، عن أبي حفص عمر بن الحسن المراغي، عن الفخر ابن البخاري، عن أبي حفص عمر بن طبرزد البغدادي، أنا

---

(١) قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح: «اعلم أن لإبراهيم بن سفيان في الكتاب فائتاً لم يسمعه من مسلم، يقال فيه: أخبرنا إبراهيم عن مسلم، ولا يقال فيه أخبرنا مسلم ولا حدثنا مسلم، وروايته لذلك عن مسلم إما بطريق الإجازة وإما بطريق الوجادة» (مقدمة شرح مسلم للإمام النووي: ١/ ١٩).

أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل الكروخي، أنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد ابن عبد الله الجراحي المروزي، أنا الشيخ الثقة الأمين محمد بن أحمد ابن محبوب المحبوبي المروزي، أنا الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله تعالى.

وأما (سنن الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي) رحمه الله تعالى فيرويه بإسناده إلى الفخر أبي الحسن ابن البخاري، عن الشيخ أبي المكارم أحمد بن محمد اللبان، عن الشيخ أبي علي حسن بن أحمد الحداد، أنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني، ثنا الحافظ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي رحمه الله تعالى.

وأما (سنن الحافظ الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني) رحمه الله تعالى فيرويه بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، عن ابن صديق الرسام، أنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، أنا الأنجب ابن أبي السعادات الحمامي، أنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، أنا الفقيه أبو المنصور محمد بن الحسين بن أحمد المقومي القزويني، أنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب، أنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، قال: حدثنا به الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني رحمه الله تعالى.

دفاعه عن السنة:

تصدى العلامة السيد سليمان الندوي لمنكري السنة وفنّد شبهاتهم في مقالات قيّمة بالعربية وبالأوردية نذكر منها رسالته المشهورة (تحقيق معنى السنة، وبيان الحاجة إليها) وقد أعجب بها السيد محمد رشيد رضا وأثنى عليها[١].

تقديم السنن على الآراء:

كان السيد الندوي متبعاً لمذهب السلف في أن المرجعية العليا هي للقرآن والسنة، وأن رأي الناس يرد عليهم إذا عارض نصاً من القرآن أو السنة، فلم يذهب قط إلى تأويل النصوص وفق هذا المذهب أو ذاك الرأي كما هو عادة عامة العلماء والفقهاء في الهند، بل كان يتبع الدليل حيث ساقه.

يقول السيد الندوي: «كنت في العام الدراسي الأخير في دار العلوم، وكان (الجامع الصحيح) للإمام البخاري مقرراً تدريسه في هذا العام، وكان زملائي منقسمين إلى غلاة الحنفية، وأتباع الحديث، وكنت ممن أطلق عليه الوصف الثاني، وكان طلاب الاتجاهين يتناقشون كل يوم في الفصل، يوردون الأسئلة والأجوبة، فإذا خرجوا من الفصل

---

(١) وقد أُعيد نشرها حديثاً مع ضميمة أبحاث في دار الفجر بدمشق بعناية حسن السماحي سويدان. (الناشر)

لجؤوا إلى المصادر التي يستخرجون منها ما يقوي حججهم، فكان النوع الأول يستند إلى الإمام الطحاوي والحافظ بدر الدين العيني، وكنت ألوذ بفتح البـاري للحافظ ابن حجـر، ووفقني الله إلى دراسـة مقدمـة فتح الباري، فكتبت مقالاً عن (الإمام البخاري) صدر في مجلة (الندوة) سنة ١٩٠٦م»[1].

وقد جـرت العادة في كثير من المعاهد الإسلامية في الهند أنها تتعصب للمذهب الحنفي، فتؤول الأحاديث والآثار لتوافقه، وهو اتجاه كان السـيد الندوي يكرهه أشد الكراهية، وقال مرة لبعض الفقهاء في حديث له معه في دار المصنفين:

«إنكم لا تدرسون الأحاديث بل تلعبون بها»[2].

* * *

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٧.

(٢) أبو علي الأثري: سيد سليمان ندوي، ص١٩٧.

الفصل الثالث

الفقه

لم يعن السيد سليمان الندوي بفقه الفروع والمسائل الجزئية، ولم يؤلف فيه كتاباً، ولكن أقضيته في بوفال وردوده على أسئلة الناس وكتاباته في جوانب الثقافة الإسلامية المتنوعة تنم عن ملكته في الفقه، واختياراته في المذهب، وأما فقه مقاصد الشريعة فقد وقف عليه جزءاً كبيراً من (سيرة النبي) ﷺ، ويتجلى ذلك جلياً في كتابه (حياة مالك) و(سيرة عائشة).

كانت للسيد الندوي بصيرة فقهية تامة، وتوفرت له وسائل تحقيق المذاهب والاجتهاد لما آتاه الله من التقدم في معرفة اللغة العربية وآدابها، والعلم الواسع الدقيق بالقرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوي الشريف، والناسخ والمنسوخ، والاطلاع القريب على مصادر الفقه وأصوله وقواعده، ومذاهب الأئمة وآراء الفقهاء، مع معرفته بعصره الذي عاشه وقضاياه ومشاكله.

التحرر من العصبة المذهبية:

نشأ على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وكانت دراسته

الرسمية عليه، ولكن مما أنعم الله به عليه أنه تحرر منذ وقت مبكر من ربقة التمذهب والتقليد والتعصب لقول عالم بعينه، ويرجع الفضل في ذلك لعدة عوامل أهمها بيئة ندوة العلماء التي كان يعيش في رحابها، وصحبة شبلي النعماني الذي كان يدعو إلى التحرر من العصبية، ووزن أقوال الفقهاء والمتكلِّمين بميزان الكتاب والسنة.

يقول نجله الأستاذ سلمان الندوي وهو يتحدَّث عن استقلاله الفكري: «إنه نشأ في الفقه على مذهب أبي حنيفة، ولكن ظل ملازماً لما اختط لنفسه من التحرر الفكري في الفقه، وقد شاهدت بعيني عدداً من تلك المواقف»[١].

التحقيق:

ومما يمتاز به بين علماء عصره في الهند أنه لم ينطلق في فقهه من رأي محض، أو هوى متَّبَع، أو تقليد أعمى، وإنما انطلق من مرتكزات يعتمد عليها، وأصول يستند إليها، وأهمها الرجوع المباشر إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي: «حضرت السيد الندوي مرة في رباط بوفال بمكة المكرمة فسألته عن مسألة من مسائل الطواف كانت قد أقلقتني منذ أسابيع، وكان الحديث لا يؤيد فيها المذهب الحنفي،

(١) العلامة السيد سليمان الندوي، للدكتور محمد نعيم الصديقي الندوي، ص١٠.

ففكر السيد الندوي ساعة، ثم أشار علي بمراجعة بعض الكتب، وأمرني أن أسأل الشيخ عبد الوهاب الدهلوي، فقال لي أحد الحضور: إنك حنفي، فما الذي حملك على هذا البحث والتحقيق بعد ما علمت مذهب الفقهاء الحنفية، فساءني ذلك جداً، وقلت: عفواً، أنا لست حنفياً، فتبسم السيد الندوي، وأشاد بردي»[١].

موقفه من الاجتهاد:

وكان متبعاً للدليل من القرآن والسنة، وكان يرى باب الاجتهاد مفتوحاً لمن تأهل له وقدر عليه، يقول في مقدمة كتاب (تراجم علماء أهل الحديث): «إني متبع للسنة، وملتزم للتوحيد الخالص، أرى السنة دليلي، وباب الاجتهاد مفتوحاً دائماً للعلماء، ولا أرى الحق منحصراً في أحد من أئمة السلف».

وكان يرى الواجب على العلماء أن يقوموا بتوجيه المسلمين في الظروف الراهنة، ومعالجة مشاكلهم، وحل قضاياهم بالرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة، يقول وهو يخاطب أعضاء الدولة: «يقول أعضاء دولتنا الشبان: إننا نواجه اليوم متطلبات جديدة، ومشاكل مستحدثة، وقضايا متطورة، لا نجد لها حلولاً في الشريعة الإسلامية، نرد عليهم بأنكم لم توفروا الوسائل الكافية لإنتاج العلماء المجتهدين على غرار

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٥٠.

دولنا الماضية، من يزعم أن مقتضيات حكومة عمر الفاروق كانت تماثل مقتضيات دولة هارون الرشيد؟ تتطور شؤون الناس مع تطور العصور، لكن هارون الرشيد كان معه أبو يوسف القاضي»[1].

عدم التقيد بآراء المتأخرين:

قال وهو يخاطب العلماء: «من مفاسد هذا العصر الجمود المشين على آراء الفقهاء المتأخرين وفتاواهم، كأنهم معصومون من الخطأ، ومرتفعون عن المزلات، وعدم الرجوع إلى المرجعين الأصيلين القرآن والسنة واجتهادات الأئمة السلف في البحث عن الحلول للمشاكل المدنية والقضايا الدينية، والإيقان بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد»[2].

كتب إلى شيخه العالم الرباني أشرف علي التهانوي: «لا أقلد المتأخرين في الفقه، ولست من أهل الحديث بالمعنى الذي تعارف عليه الناس، أحترم الأئمة رحمهم الله تعالى من صميم قلبي، ولا أرى من الحق مخالفتهم جميعاً»[3].

فكتب إليه التهانوي: «لقد زادني إعرابك الحر عن مذهبك حباً

---

(١) مجلة (بحث ومنظر) الصادرة في دهلي عدد جمادى الأولى ـ شوال سنة ١٤١٨هـ، ص٢٠١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

لك، وذلك من سببين: أحدهما لما كشف لي عن صدقك وإخلاصك، والثاني لصفاء هذا المذهب ونقائه، هذا هو مذهب أهل الحق جميعاً»[1].

تيسيره على الناس:

وساعده الرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة على الحفاظ على روح الشريعة من التيسير والتخفيف، والبعد عن الحرج والتعسير. على خلاف الرجوع إلى الفقه المذهبي الذي حمل على طول العصور كثيراً من التشددات، نتيجة الاتجاه إلى الأخذ بالأحوط غالباً. وإذا صار الدين مجموع (أحوطيات) فقد روح اليسر، وحمل طابع الحرج والمشقة، مع أن الله تعالى نفى الحرج عنه نفياً باتاً حين قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ومما يؤسف له أنَّه نشأ في عصرنا هذا من يرى التعسير والتشديد في الفتوى ورعاً وتقوى، ويرى التيسير والتخفيف ضعفاً في الدين وقلة في اليقين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، ويقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]. وقد وردت عدة آيات تؤكد هذا المعنى، يقول الإمام أبو بكر الجصاص: «لما كان الحرج هو الضيق، ونفى الله عن

---

(١) مجلة (بحث ومنظر) الصادرة في دهلي عدد جمادى الأولى ـ شوال سنة ١٤١٨هـ، ص٢٠٠.

نفسه إرادة الحرج بنا، ساغ الاستدلال بظاهره على نفي الضيق، وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات فيكون القائل بما يوجب الحرج والضيق، محجوجاً بظاهر هذه الآية»[1]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متضافرة.

وقال معمر وسفيان الثوري: «إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد»[2].

وقال إبراهيم النخعي:

«إذا تخالجك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما»[3].

وكان من فقهه لروح هذا الدين وتيسيره على الناس أنه لم يكن يتقيد في فتاواه بمذهب معين، بل كان يختار ما هو أوفق للشريعة وأيسر على الناس، وفتاواه خير دليل على ذلك.

ومن أمثلته ما ذكر لي نجله الأستاذ سلمان الندوي أن أحد الأوروبيين اعتنق الإسلام، وتزوج من مسلمة باكستانية، ثم طلقها ثلاثاً في مجلس واحد، فندم وأراد الرجوع، فاستفتى العلماء فأفتى بعض كبار فقهاء الحنفية بأن الطلاق بائن لا يصح الرجوع، فأشار بعض الناس على

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٣٩١.
(٢) جامع بيان العلم وفضله، ص٢٨٥.
(٣) الآثار للإمام أبي يوسف، ص١٩٦.

هذا المسلم الأوروبي أن يوجه السؤال إلى السيد الندوي، فاستشار أعضاء لجنة التعليمات الإسلامية من العلماء، فقالوا: أما على مذهب أبي حنيفة فلا نرى له الرجوع، فقال السيد الندوي، هذا رجل حديث عهد بالإسلام، فكيف تقيدونه بالمذهب الحنفي، ثم أفتى له بصحة الرجوع، وقال: إن هذا الرجل حديث عهد بالإسلام، والتيسير عليه يؤلف قلبه، فسكتت الجماعة ورضوا بفتواه، وقالوا: هذا أمر لم يكن ليوفَّقَ إليه غيرُك.

تدوين جديد للفقه:

كان السيد الندوي يرى - نظراً إلى تطور الأوضاع وتجدد القضايا والمشاكل - الحاجة ماسة إلى تدوين جديد للفقه الإسلامي، وأن يعنى العلماء المحققون بتدوين الفقه الإسلامي من جديد، وتطبيق مسائله في العالم المعاصر، فإن الفقه الإسلامي شريعة حية متحركة تصلح لمعالجة مسائل البشر وقضاياهم في جميع مراحل التاريخ.

سألت إمارةُ حيدرأباد دار المصنفين سنة ١٩٣٣م أن تقوم بتقنين أحكام الجنايات على المذهب الحنفي، فقام السيد الندوي مع بعض زملائه بتقنين أحكام الجنايات على البنود على غرار (المجلة) في الخلافة العثمانية، وقدَّم مسودته إلى إمارة حيدر أباد[1].

---

(١) انظر: مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٦.

أنشأت دولة باكستان سنة ١٩٥٢م لجنة للشريعة لإعادة النظر في قوانين البلاد وصياغتها وفق الشريعة الإسلامية، واختير السيد الندوي عضواً لها، واعترفت اللجنة بقيمة ما قام به السيد الندوي تجاه هذه الصياغة الجديدة لقوانين البلاد، فلما توفي السيد الندوي قال رئيس اللجنة أبو صالح محمد إكرام يعرب عن أسفه البالغ وحزنه الشديد: «كان السيد الندوي عضواً للجنة الشريعة التي أقامتها دولة باكستان لتطبيق الشريعة الإسلامية في محاكم البلاد، وقد سببت وفاته خسارة لا تستدرك»[1].

تدوين الفقه باللغة الأردية:

يقول الأستاذ محمد أويس النجرامي: «أمرني السيد الندوي خلال الإقامة بدار المصنفين بجمع مسائل الزراعة والسقاية من كتب الفقه باللغة الأردية، فبدأت بالعمل، وسافر السيد الندوي إلى تانه بهون، وذاكر الموضوع مع الشيخ أشرف علي التهانوي، وقررا أن يدون الفقه كله باللغة الأردية حتى تتوفر للناطقين مجموعة تكفيهم في حاجاتهم اليومية، فلما رجع السيد الندوي من تانه بهون ذكر لي هذا القرار وسألني أن أبدأ بكتاب الطهارة، فبدأت العمل، ولكن خلال هذه الفترة انتقلت

---

(١) مجلة (بحث ومنظر) الصادرة في دهلي عدد جمادى الأولى ـ شوال سنة ١٤١٨هـ، ص٢٠٣.

إلى دار العلوم لندوة العلماء، انتقل السيد الندوي إلى بوفال كقاضي القضاة بها، وأحسَّ هنا بشدة الحاجة إلى إتمام هذه السلسلة، فأوصاني بها في رسائله إلي، وأعادها مراراً، فأتممت كتاب الطهارة في مجلد، وأرسلته إلى بوفال، فقرظه له بعض علماء بوفال، ثم رده إلي، وأمرني بإتمام الأجزاء الأخرى، ولكن يا للأسف لم أتجاوز الجزء الأول. وكان للسيد الندوي اهتمام به كبير، فلما قدم الهند قدمته الأخيرة كرر أننا نواجه اليوم مسائل متجددة، ونحتاج إلى علماء يعالجونها علاجاً شافياً، فمن ثَمَّ ينبغي أن تركز العناية على الفقه، وأكد على هذه الحاجة في خطابه لطلاب دار العلوم، وبالجملة فإن تدوين الفقه الإسلامي باللغة الأردية أمر خطير للغاية يسترعي الانتباه»[1].

* * *

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

الفصل الرابع

التاريخ

حملته الدراسات الحديثية إلى مطالعة كتب أسماء الرجال، والتي نمّت فيه التشوق إلى التاريخ، فقرأ (الفهرست) للنديم، و(كشف الظنون) لحاجي خليفة، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، يقول السيد سليمان: «قرأت (وفيات الأعيان) حتى امتلأت صفحاتها بتعليقاتي وملاحظاتي»(١)

يقول السيد الندوي: «قدم العلامة شبلي من حيدر آباد سنة ١٩٠٨م وأعطاني دراسة لوفيات الأعيان كتبها مترجم فرنسي أو إنكليزي، وأثنى عليها قائلاً: «انظر إلى التحقيق الدقيق الذي يطالع به الأوروبيون كتاباً، فأثار ذلك في نفسي ألماً، فقدمت إليه دراسة أحسن منها لكتاب (وفيات الأعيان)، طبعت في مجلة (الندوة)»(٢).

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: لم يكن العلامة

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٧.

(٢) المرجع السابق نفسه.

السـيد سليمان الندوي من كبار المؤلفين في السيرة النبويـة في عصره فحسـب، بل كان من أبرز المؤلفين في السيرة وفي التاريخ الإسـلامي بكامله[1].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «إن السيد سليمان الندوي يستحق بدون مراء أن يعد أكبر مؤرخ وباحث في عصره، وإن كتبه (خيام) و(الصلات بين الهند والعرب) و(الملاحة عند العرب) و(الإمام مالك رحمه الله) و(سـيرة عائشـة رضي الله عنها) خيـر نموذج للكتابة في التـاريخ والبحث العلمي، وكتابه (أرض القرآن) لا يزال كتاباً فريداً لم ينسـج على منواله في موضوعه، وهو ثروة غنية في المواد العلمية»[2].

ويقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي: «كان السيد الندوي يشبه شبلياً في عنايته الكبيرة بالتاريخ، مهما كانت من قضية فإنّه لم يألُ جهداً في نقدها، والبحثِ عن أصلها، وربطِ حاضرها بماضيها، ولا تخلو كتابة من كتاباته من الفوائد التاريخية»[3].

ويقول الأستاذ الصديقي: «كان السيد الندوي يولي عناية تامـة للصدق والأمانة التاريخيـة، فقلما تـراه يتَّبع الأسـلوب الشـعري فـي

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٦٩.
(٢) المرجع السابق، ص٧٠ ـ ٧١.
(٣) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٦.

مؤلفاته، وكان يحذر من إثارة مشاعر القارئ واللعب بعواطفه مثلما كان يبذل من الجهد والحذر في البحث والتحقيق والنقد»[1].

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «يؤمن الزمان بأن السيد الندوي علم فريد، وبحاثة منقطع النظير، ويخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفرده في كتابة السيرة»[2].

السيد الندوي مرجعاً لأساتذة التاريخ:

وكان السيد الندوي مرجعاً لأساتذة التاريخ والمهتمين به في الهند، يزورونه، ويراسلونه، ويجتمعون به، ويطالعون كتبه ومقالاته، ويرجعون إلى آرائه وتحقيقاته، يقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي: «زارنا السيد الندوي مرة لحضور اجتماع لجنة أو قسم في جامعة (علي كره)، فالتمس منه أعضاء نادي أساتذة الجامعة وأعضائها أن يلقي محاضرة في النادي، وقلّما يوجه النادي مثل ذا الطلب إلى أحدٍ، ولعل الموضوع كان (فضل المسلمين على علم التاريخ) أو شبيهاً به، فخطب السيد الندوي نحو ساعة ونصف، فذكر المتخصصون في هذا الموضوع والمهتمون بدراسته أنه من الصعب أن يماثل أحد السيد الندوي في سعة اطلاعه على هذا الموضوع ووضوحه، وتمكنه من مصادره المتنوعة

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٠.

والموثوق بها، ورأيتهم مجتمعين على السيد الندوي لأخذ أسماء المصادر والمراجع اجتماع الصغار على أخذ التوقيعات من مشاهير الرجال»[1].

اهتمامه بإخراج المصادر:

وكان له اهتمام كبير بإخراج مصادر كتب التاريخ والتراجم إلى الناس، فقد كانت في خزانة الأمير صديق حسن خان مسودات باللغة الفارسية في تراجم علماء الهند، فأحضرها السيد الندوي إلى دار المصنفين، وأمر بتبييضها، ثم كلف الأستاذ محمد أويس النجرامي بمقابلتها مع الأصل، ولكن هذه المجموعة لم تر الضوء بعد.

كتاباته التاريخية:

من أهم مؤلفاته في التاريخ: كتاباه (الملاحة عند العرب)، و(الصلات بين الهند والعرب)، والبحوث القيمة عن (الخيام)، و(محاضرات مدراس)، و(حياة شبلي)، و(نقوش سليماني)، ومقالاته التاريخية: (كيف انتشر الإسلام في الهند)، و(علم الجغرافية والعرب)، وغيرها من الكتب والمقالات.

والواقع أن كل كتابة من كتابات السيد الندوي تحمل بحوثاً

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١١٨ ـ ١١٩.

وتحقيقات تاريخية نادرة وقيمة، اعترف بها العلماء والمتخصصون في علم التاريخ، وخضعوا له بالإمامة والتقدم في هذا الشأن.

نموذج من كتاباته التاريخية:

أنقل هنا نموذجاً من كتاباته التاريخية التي تدل على مدى توسعه وتعمقه في البحث التاريخي، يقول في مقدمة بحثه القيم (علم الجغرافية والعرب):

«نرى قبل أن نخوض غمار هذا البحث أن نكشف عن الأسباب التي استحثت همم العرب على جوب الأرض، وعلى التبريز في علم تقويم البلدان ومسالك الممالك. فمنها ما حمل الأمم القديمة مثل الفينيقيين واليونانيين والروم على التوسع في معرفة الأرض، والتنقل في البلدان لأجل التجارة والاستيلاء على البلاد، والسياحة في الأمصار كما فصلناه في مقام آخر، ومنها ما اختص بالعرب، ولم يوجد لغيرهم، فإنهم كانوا يتلون آناء الليل وأطراف النهار كتاباً كان يحثهم على السير في الأرض، والاعتبار بآثارها الدائرة، وأممها الغابرة، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام ١١] فلم يلبثوا بعد ذلك أن فتحوا البلدان صلحاً أو عنوة، وتوغلوا فيها،

وانتشروا في القارات الثلاث آسية وأفريقية، وأوروبة، وساعدهم على ذلك أمور يأتي بيانها:

الأول: هو رغبتهم في الاستيلاء على البلاد وافتتاح الممالك، وبذلك عرفوا أكثر أصقاع الأرض.

الثاني: التجارة ومد أسبابها في أنحاء المعمورة، ولذلك نبغ في الجغرافية كثير من تجار المسلمين مثل سليمان البصري، وابن حوقل الموصلي، والبشاري المقدسي، وياقوت الحموي، وقد أكثر الرحالة العرب من نقل كلام التجار ومشاهداتهم.

الثالث: السياحة في أكناف الأرض والتنزه في البلدان، وأكثر جغرافيي العرب هم من السائحين مثل أبي إسحاق الإصطخري، والشريف الإدريسي، ومحمد بن علي الموصلي، وأبي عبد الله بن شداد، وأبي محمد العبدري، وأبي الحسن المسعودي، ومحمد بن جبير الكناني، وابن بطوطة المغربي وغيرهم.

الرابع: الأمور السياسية مثل معرفة خراج البلدان، وبلدان الخراج، **وبعث الرسل إلى ملوك البلاد القاصية الأطراف،** ووضع البريد في أنحاء المملكة ليسرع أبناؤها إلى الملوك، فالذين كانوا يتولون هذه الأمور كانوا مفتقرين إلى معرفة مسالك الممالك وجهات البلدان، فاضطرهم ذلك إلى تأليف الكتب في الجغرافية. ومنهم أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب (الخراج) وابن فضلان رسول المقتدر إلى

ملك البلغار، وعبد الله بن خردازبه صاحب البريد.

الخامس: حب الاطلاع على معرفة ما جهلوا من الأرض، مثل البعثات التي بعثها الواثق لاكتشاف سواحل بحر الخزر، وسد يأجوج ومأجوج، ومدينة الرقيم، وقيام الملاحين المدعوين بالمغرورين من البرتغال لاكتشاف ما وراء بحر الظلمات، والبعثة التي بعثها الشاه شجاع من أبناء ملوك الهند لاكتشاف البلاد.

السادس: شدة رغبتهم في معرفة ما أودع الله في الأرض والبحار والجبال من مدهشات العجائب ومكنونات الغرائب. كتب في ذلك كثير من أدباء العرب، منهم شمس الدين الدمشقي، وزكريا القزويني، وعمر ابن الوردي، وأبو دلف مسعر، وأحمد القرماني الدمشقي، وابن الجزار صاحب عجائب البلدان وغيرهم.

السابع: معرفة ما جاء ذكره في القرآن المجيد وكتب الحديث وأشعار العرب وأخبارهم من الأماكن والجبال والمياه والقفار والرمال والبلاد، ومعرفة أنساب العلماء إلى البلاد، وقد صنف فيها كثير من الأدباء، وقد ذكرنا أكثرهم في الكلام على جغرافيي جزيرة العرب، ومنهم من لم نذكرهم، وهم أبو عبيد البكري، والزمخشري، والسمعاني، وابن عمر الأصفهاني، وصفي الدين عبد المؤمن، وياقوت الحموي.

الثامن: الحج وقصد الأماكن المقدسة، وأكثر أهل الأندلس من

هذا النوع، مثل الكناني، والعبدري، والبلدي، وغيرهم. وتفصيل ذلك كما قال ياقوت في مقدمته: «ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها وضبط أصقاعها، وتنقيحها، والناس في الافتقار إلى علمها سواسية، وسر دورانها على الألسن في المحافل علانية، لأن من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين، ومعالم للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ومشاهد للأولياء والصالحين، ومواطن غزوات وسرايا سيد المرسلين ﷺ.

التاسع: الحاجة الفقهية إلى معرفة الأماكن والبلاد، وهل فتحت صلحاً أو عنوة؟ ليعرف الفقهاء حكمها في الجزية والخراج والفيء، كما قال ياقوت: «ومن هذه الأماكن ما هي... فتوحات الأئمة من الخلفاء الراشدين، وقد فتحت هذه الأماكن صلحاً وعنوة، وأماناً وقوة، ولكلٍّ من ذلك حكمٌ في الشريعة في قسمة الفيء، وأخذ الجزية، وتناول الخراج، واجتناء المقاطعات والمصالحات، وإنالة التسويفات والإقطاعات لا يسع الفقهاء جهلها، ولا تعذر الأئمة والأمراء إذا فاتهم في طريق العلم حزنها وسهلها، لأنها من لوازم فتيا الدين، وضوابط قواعد الإسلام والمسلمين».

العاشر: شدة افتقارهم في الأسفار البعيدة والرحلات النائية إلى تخطيط الطرق والمسالك، وتقدير أبعاد البلاد بالفراسخ والأميال، كما فعل الذين ألفوا في علم المسالك مثل ابن خردازبه، وصاعد بن علي

الجرجاني، وأبي زيد البلخي، وأبي العباس السرخسي، وأبي عبد الله الجيهاني وغيرهم.

الحادي عشر: التنقل في البلدان لطلب العلم، والأخذ عن الشيوخ، ولقاء جهابذة العلماء، فقلما نجد من العلماء الصالحين الأوائل من لم تحملهم شدة شغفهم بالعلم إلى الموامي البعيدة، والمرامي القاصية، ومنهم الحافظ ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة سبع وخمسمئة، الذي طلب العلم في بغداد، ومكة، والمدينة، وجزيرة التنيس، ودمشق الشام، وحلب الشهباء، والجزيرة، وإصفهان، ونيسابور، وهراة، وجرجان، وآمد، وأستراباد، وبوشنج، والبصرة، ودينور، والري، وسرخس، وشيراز، وقزوين، والكوفة، والموصل، ومرو، ومرو الروذ، والرحبة، ونوقان، ونهاوند، وهمذان، وواسط، وساوة، وأسدأباد، والأنبار، وإسفرايين، وآمل، والأهواز، وبسطام، وخسروجرد، وغيرها من البلاد. وأبو ريحان البيروني الذي دخل الهند قبل أن يفتحها المسلمون تماماً، وأخذ من البراهمة علومهم، وبرع فيها ودونها في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).

هذا وعلى ذلك فقد كان للعرب في الظعن والترحال همة عالية وعزيمة ماضية، لايجاريهم فيها أحد، فإنها كانت أمة بادية لا يستقر بها المقام، وكان من سجاياهم التطواف في البلاد، والتقحم في المفاوز والموامي، وكان ذلك لهم ـ كما يدل عليه شعرهم ـ من آيات الفخر

ومعالم البسالة، فلمّا أسلمت وحسن إسلامها جابت البلاد في القرن الأول إلى الصين، ثم لما انتشر فيها العلم والحضارة استيسرت الأسفار وأسهلت حزونها، فضرب علماؤها أكباد الإبل لطلب العلم إلى كل بلدة، وشدوا رحالهم إلى كل مدينة.

فمنهم من جاب البسيطة، ومنهم من جاز أكثرها، ومنهم من أزجى أكثر عمره في الرحلة والاغتراب.

هذا ابن حوقل قد بقي في رحلته أكثر من ثلاثين سنة.

وكذلك يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي المتوفى سنة سبع وسبعين ومئتين صاحب (المعرفة والتاريخ) قضى عمره في الرحلة ثلاثين حجة.

ونضر بن شميل حجة الأدب قضى في التنقل في بوادي العرب أربعين سنة، والبشاري بقي في رحلاته وأسفاره عشرين عاماً، والمسعودي الذي لم يلق عصاه خمسة وعشرين عاماً، وابن بطوطة الذي شرق وغرب في أكثر من خمسين حجة.

وهذا حافظ الحديث أبو حاتم الرازي الذي بقي في الرحلة زماناً طويلاً، ومشى على قدمه زيادة على ألف فرسخ، ثم ترك العد.

ومحمد بن المفرح الأموي، سمع بقرطبة في أوروبة، وبمصر في إفريقية، وبدمشق وصنعاء وزبيد في آسية.

وهذا الوليد السرقسطي قال فيه الذهبي: «إنه رحل من أقصى الأندلس إلى خراسان»[1]، ولد الوليد بسرقسطة في الأندلس، وثوى بعد موته بدينور ببلاد الفرس.

وكم من علماء ولدوا في الأندلس وبلاد المغرب، وارتحلوا في طلب العلم إلى أرض المشرق. وجمع المقري نبذة من أخبارهم في الجزء الأول من كتابه (نفح الطيب).

ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن أبي حبيب الأندلسي من بيت علم ووزارة، طلب العلم في الأندلس، ثم دخل الإسكندرية ومصر، وجاور بمكة المشرفة، ثم قدم العراق، وأقام ببغداد مدة، ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ وغيرهما، كانت ولادته ببلاد الأندلس، وتوفي بالهراة سنة ٥٤٨هـ.

وهناك عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأندلسي خرج من وطنه مغاضباً، ودخل الشرق، وقطع مسافات، وجاب الآفاق، وتغلغل في الأقطار من أفريقية، ومصر، والشام، والعراق، وبلاد العجم إلى بخارى، وبعث منها إلى أهله في الأندلس برسالة وصف فيها غربته وما لاقى فيها (نقل المقري قطعة منها في كتابه نفح الطيب)، قتله ـ رحمه الله ـ التتر في بخارى حين دخلوها.

وأبو الحسن البهراني ولد بالأندلس، وطلب فيها العلم، ثم خرج

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٣/ ١٠٨٠.

إلى المشرق، فسمع بمصر، ودمشق، وبغداد، والأهواز، وسرخس، وهراة، ونيسابور، ولما دخل نيسابور وجد فيها عالماً مغربياً يدرس فيها[1].

وحسين بن أحمد صاحب الزيج، ولد بقرطبة، وأرسل إلى بغداد رسولاً، وتوفي باليمن سنة ٤٥٦هـ.

ثم كم من خراساني، وبخاري، وبغدادي، ودمشقي، ومصري خرج من بلده يطلب العلم، أو يسير في البلاد، أو يتجر في الأموال، حتى ألقى عصاه في أقصى المغرب والأندلس كتاج الدين السرخسي، ولد بسرخس من أعمال خراسان سنة ٥٧٣هـ، ونشأ في الشام، وجال في البلاد، فوصل إلى مراكش سنة ٥٩٤هـ، ومات بالأندلس.

وأبو علي القالي صاحب (الأمالي والنوادر) ولد بديار بكر فطاف البلاد، وسافر من بغداد سنة ٣٠٣هـ، وأقام بالموصل وسمع، وخرج من بغداد إلى الأندلس، ودخل قرطبة سنة ٣٣٠هـ، وتوفي بها سنة ٣٦٥هـ.

ومحمد بن موسى الرازي من الري كان تاجراً ومتفنناً في العلوم، كان يفد على ملوك بني مروان.

والنباتي الشهير بابن البيطار كان مالقياً، فذهب به حب العلم ومؤونة النباتات إلى شواطئ البحار، فسار إلى بلاد الأفارقة وأقصى بلاد

---

(١) نفح الطيب.

الروم والمغرب، وعاين منابتها وتحققها، وعاد بعد أسفاره، وسكن مصر، وتوفي بدمشق.

ومن أعجب ما سمعت أن الجغرافيّ ابن بطوطة المغربيّ اجتمع في الإسكندرية بالشيخ برهان الدين الأعرج، فذكر له الشيخ ثلاثة إخوة له: أحدهم فريد الدين في الهند، وثانيهم زين الدين في السند، وثالثهم برهان الدين في الصين، وكلفه أن يبلغهم منه السلام إذا بلغهم، ففعل ذلك.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الأصفهاني الرحالة، قال الذهبي: سمى يوماً بلاداً طلب فيها العلم فقال: «دخلت لطلب الحديث طوس، وهراة، وبلخ، وبخارى، وسمرقند، وكرمان، وجرجان، ونيسابور، فما زال يعد حتى سمى مئة وعشرين مكاناً»[١].

وكم نجد من علماء العرب من اعرورى ظهور المهالك لفائدة يكسبها، أو صحيفة يطلبها، قال ابن حجر في مقدمته: «بلغ جابر بن عبد الله أحد أجلة الصحابة أن عبد الله بن أُنيس يروي عن رسول الله ﷺ حديثاً لم يبلغه، فاشترى جملاً، وركب من المدينة إلى الشام، وأخذه عنه، والشام على مسافة شهر من المدينة.

وقد رحل أبو أيوب الأنصاري إلى مصر ليسمع حديثاً يرويه عقبة ابن عامر الجهني.

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٥٦.

وسافر عبيد الله بن عدي إلى العراق ليأخذ حديثاً يرويه علي أمير المؤمنين رضي الله عنه في الكوفة.

وهذا ابن المقري محمد بن إبراهيم محدث إصبهان سمع بإصبهان وبغداد، والموصل وحران، وعسقلان والكوفة، وتستر ومكة، والقدس ودمشق، وصيدا وبيروت، وعكا والرملة، وأذنة وواسط، وعسكر مكرم وحمص، والرقة ومصر، وغير ذلك، وطاف في الشرق والغرب أربع مرات، ودخل بيت المقدس عشر مرات، وحج أربعاً، قال الذهبي: «قال ابن المقري: مشيت بسبب نسخة ابن فضالة سبعين مرحلة، ولو عُرِضَتْ على خبّاز برغيفٍ لم يقبلها»[1]. فيا لهذه الهمة الشماء والعزيمة العلياء، أنت تقضي العجب اليوم إذا رأيت في مدارس أوروبة أبناء أقطار الأرض في حائط واحد، فما تقول إذا رأيت حلقات العلم بالمدينة، والبصرة، والكوفة أيام كان الإسلام مدنيته زاهرة وحضارته ناضرة، فالذين أخذوا من مالك إمام دار الهجرة، وجلسوا في حلقته لا يحصرهم سور، ولا يجمعهم وطن، فترى الوافدين عليه من أكناف الأرض كلها، وقد عددت هذه البلاد في كتابي (حياة مالك). فضرب الناس أكباد الإبل كما جاء في الحديث من كلّ جانب، فمن بلاد العرب مكة وصنعاء والشام والعراق وعدن والطائف واليمامة وهجر وحضرموت، وزبيد، وفدك، والبلقاء.

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٣/ ٩٧٤.

ومن **الشام** أيلة ودمشق، وعسقلان، وخلاط، ومصيصة، وبيروت، وحمص، وطرطوس، ورملة، ونصيبين، وحلب، وبيت المقدس، والأردن، وصور، وأنطاكية، وبغداد، والبصرة، والكوفة، وحران، والموصل، والجزيرة، وواسط، والأنبار، والرقة، والرها.

ومن **ممالك العجم** جرجان، وكرمان، وهمذان، والري، وطالقان، ونيسابور، وطبرستان، والطوس، والمدائن، وقزوين، وقومستان، وصغان، وآمد، وكردستان، ودينور، وسجستان، وهراة، وبخارى، وسمرقند، وخوارزم، ومرو، وسرخس، وترمذ، وبلخ، ونسا.

ومن **بلاد مصر**: القاهرة والإسكندرية، والفيوم وأسوان، وتنيس.

ومن **بلاد المغرب والأندلس**: أفريقية، وتونس، وسبتة والقيروان، وبرقة، وطرابلس، ومراكش، وطليطلة، وبسطة، وباجة، وقرطبة، وسرقسطة من صقلية في إيطالية، ومن أزمير في آسية الصغرى.

فانظر واعجب كيف جاب الناس هذه المسافات البعيدة وبلغوا الغاية ورجعوا إلى أوطانهم؟ وكم بلد من بلاد الله وطئته أرجلهم وشاهدته أعينهم.

وألـق طرفـك إلى حلقـة علم في الكوفـة في مجلـس أبي حنيفة النعمان الإمام تلق فيه الخلق من مكة والمدينة، ودمشق والبصرة، وواسط والموصل، والجزيرة والرقة، ونصيبين والرملة، ومصر واليمن، واليمامة والبحرين، وبغداد والأهواز، وكرمان وأصفهان، وحلوان وأسترأباد، وهمذان ونهاوند، والري وقومس، ودامغان وطبرستان، وجرجـان ونيسـابور، وسرخس ونسا، وبخارى وسـمرقند، وكش وصغان، وترمذ وهراة، وقهستان وخوارزم، وسجستان والمدائن، ومصيصة، وحمص.

وإذا بلغت ههنا أيها القارئ فليكن منك على ذكر ما كان في الأزمنة الغابرة في الرحلة والأسفار من الشدائد والأخطار وشقة الأنفس، فلم يكن لهم سكك حديد تجوب فيافي الأرض في أقرب وقت، ولا مراكب بخارية تشق عباب البحر في أسرع زمان، ولا أسلاك برق تخبرهم عن أنباء أهلهم قبل أن يرتد إليك طرفك، ولا فنادق المسافرين التي تذخر لهم أسباب الراحة وأدوات المعيشة، ولا إدارة البريد التي تخبرهم بما جرى وراءهم في بلادهم، وتحمل إليهم أموالهم ونقودهم من أوطانهم. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»[1].

* * *

---

(١) مجلة الضياء عدد جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ، ص٢ـ٨.

الفصل الخامس

الفلسفة وعلم الكلام

يدين السيد سليمان الندوي في اضطلاعه بالفلسفة وعلم الكلام للعلامة شبلي النعماني، فدرس (الملل والنحل) للشهرستاني، و(الفصل في الملل والنحل) لابن حزم، و(كشف الأدلة) لابن رشد، و(حجة الله البالغة)، للشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم. وكان ضليعاً بالفلسفة وعلم الكلام، وخير دليل على ذلك كتاب (سيرة النبي)، يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: وكان من منجزاته أيضاً أنه حقق بالسيرة والتاريخ أهدافاً لا تحقق إلا بعلم الكلام، فأسس علم كلام جديد يفوق علم الكلام القديم في التأثير على الذهن الجديد وإقناعه، وفي توثيق الثقة بالشخصية النبوية والشريعة الإسلامية، وهو أكثر سداداً للحياة العلمية المعاصرة[١].

فلاسفة الإسلام:

يقول السيد الندوي في حديثه عن تاريخ الفلسفة في الإسلام:

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٦٩.

«الفلسفة التي نقلت كتبها إلى العربية، كان أكثرها للمشائين أتباع أرسطاطاليس، وكانت مختلطة بشروح أفلوطين الإسكندراني، فنسبت آراؤهم إلى أرسطو صاحب الكتاب، فتطرق الخلل إليها من جانبين:

أولهما: أن انحصرت الفلسفة وآراؤها عند المسلمين في كتب أرسطو، وأعرضوا صفحاً عن المشارب المتعددة المختلفة في الفلسفة، وحسبوا المعلم الأول إماماً فذّاً، لا يدرك شأوه، ولا يشق غباره، غير كلمات لشيخه أفلاطون، ثم التبس عليهم أفلاطونان: أفلاطون اليوناني شيخ أرسطو، وأفلوطين الإسكندراني المعروف بالإلـهي، فعزوا إلى الأول ما كان للآخر.

وثانيها: أن أخذوا أقوال الشرح لكتب أرسطو عن الإسكندرانيين، واعتبروها كالنصوص لأرسطو، وآمنوا بها إيماناً لا يزيد ولا ينقص.

وأول من قام يجمع بين رأيي الحكيمين أرسطو وأفلاطون المعلم الثاني الحكيم محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي المتوفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة، له كتاب في أغراض أفلاطون وأرسطاطاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة، والكتاب طبع في آخر هوامش (شرح حكمة الإشراق) الذي طبع بإيران سنة ١٣١٣ ـ ١٣١٥هـ.

ويرى الناظر في هذه الرسالة أن الفارابي نسب إلى الحكيمين من الآراء ما هما بريئان عنه، وما ذلك إلا لأنه اعتمد في النقل على الناقلين

من الشرّاح الإسكندرانيين والالتباس بين أفلاطونين: أفلاطون اليوناني شيخ أرسطو، وأفلوطين الإلـٰهي الإسكندراني الذي مزج الدين بالفلسفة، وأتى بآراء كلامية مرة وصوفية أخرى، وهو الذي أبدع فلسفة الإشراق الإلـٰهي، وظنها الناس أنها لأفلاطون شيخ أرسطو، وشتان ما بينهما.

وعلى كلٍّ حال فالفلسفة التي تلقاها المسلمون على أيدي الناقلين من يهود ونصارى لم تكن صافية محضة، بل كانت مشوبة بآرائهم، وأوهن بيوت الفلسفة فلكياتها وإلاهياتها، فليست أولاهما (الفلكيات) إلا تأويل ما كان يعتقده اليونان من تأليه الكواكب وأساطيرها، فجعلوها فلسفة، وعبروا عنها بكلمات فلسفية، ولم يجدوا لها سلطاناً من البرهان غير نزر يسير من الأوهام، كالقول بالأفلاك وحركاتها وطبائعها ونفوسها وتأثيرها في القوى.

أما الإلـٰهيات فليست إلا من عقائد الإسكندرانيين، أو كلام المتكلمين من فلاسفة اليهود والنصارى، فكتاب (آثولوجيا) الذي قبله الناس كأنه نص أرسطو في المسائل الإلـٰهية ليس إلا كلام الإشراقيين من الإسكندرانيين(١)، وهو الأس المرصوص للتصوف الفلسفي، انخدع به العلماء حتى العالم النحرير الشاه ولي الله الدهلوي في (تفهيماته).

وهي الآراء التي دونها الفارابي في فصوصه، وجعلها ديناً جديداً

---

(١) انظر كتاب (أفلوطين عند العرب) للدكتور عبد الرحمن بدوي. (الناشر)

أو قل كلاماً بنى عليه ما باح به فلاسفة الإسلام، وهي البذرة الصغيرة التي نبتت ونمت فصارت فرعين لشجرة واحدة وهما التصوف الفلسفي وإلاهيات فلاسفة الإسلام، وليست آراء إخوان الصفا إلا السعي الحثيث المتين للجمع بينها وبين نصوص الدين.

ولما ضعفت دولة العباسيين، وقام الفرس بملك الديلم، وتستروا بالتشيع، صار في عهدهم لهذه الفلسفة سوق قائمة، وانتهض لها الحكماء ينصرون، فجاء السلاجقة ومحوا آثار الديلم ظاهراً وباطناً، وديناً وسياسة، فاختفى من اختفى منهم في الجبال، وزوّروا فلسفة دينية باح بها الحكيم ناصر خسرو في (زاد المسافر) وكتبه الأخرى.

والشيخ الرئيس أبو علي الحسين ابن سينا البخاري قد كان أبوه ممن أجاب داعي المصريين، ويعد من الإسماعيلية كما حكاه هو عن نفسه، وكما تراه في (طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه، وكذلك أخوه، وكانوا ربما تذاكروا بينهم وهو يسمع، وكان يجري على ألسنتهم ذكر الفلسفة، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي، وكان يدعى المتفلسف، ولعله كان من دعاة الإسماعيلية، فأخذ أبو علي منه ما أخذ من علوم الفلسفة والرياضة، ثم صرح بأنه قرأ ما بعد الطبيعة، وهو الإلـٰهيات فلم يفهمه حتى دفع إليه كتاباً لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة، فانفتح به عليه أبواب العلم الإلـٰهي، وهو الذي أبدع الإلـٰهيات،

وأودعها عقائد القوم وآراء المتكلمين من الإسماعيلية ممزوجةً.

هذه فذلكة وجيزة قدمتها لينجلي ما أظلم علينا من تاريخ الفلسفة في الإسلام»[1].

عطاء المسلمين في الفلسفة:

يقول السيد الندوي وهو يرد على المستشرقين غمطهم معطيات المسلمين في الفلسفة: «قد نقم نقاد تاريخ الفلسفة من الإفرنج على فلاسفة المسلمين أنهم لم يأتوا بشيء بديع، بل قضوا أعمارهم في اتباع آثار أرسطو، وتصفح كتبه، ونقل شروحه، وشرح إيجازه، حتى قال بعض الظرفاء من مؤرخي الإفرنج: ليس فلاسفة المسلمين إلا خدم المركب الأرسطاطاليسي، وإني رددت هذه الفرية عليهم بمقالة كتبتها في مجلة (الثقافة الإسلامية) قبل ذلك بسنين.

والحق الصريح أن للمسلمين في الفلسفة دورتين متميزتين:

أولاهما: من القرن الثاني للهجرة إلى أيام نبوغ ابن سينا في أواخر القرن الرابع.

وأخراهما من ذلك الحين إلى القرن الثاني عشر، أي القرن الذي أفل فيه نجم العقل في المسلمين، وتغير الزمان بتغير الحدثان، فصار

---

(١) مقدمة الكتاب المعتبر في الحكمة الإلـٰهية: ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢.

فلاسفة المسلمين بعده لا في العير ولا في النفير.

الدورة الزاهرة للفلسفة في الإسلام عندنا هي الدورة الأولى قبل ابن سينا، فكان الفلاسفة في الإسلام يعرفون مشارب الفلسفة بأجمعها، وما تفرقوا فيها وما أجمعوا عليها، ولم يحسبوها جامدة لا تتحرك، وقاصرة لا تزيد ولا تنقص، وشريعة لا تتغير ولا تنسخ، فكان كلٌّ يرى رأيه، ويتبنى أفكاره، وينتقي من أقوال القوم، وينتقد آراء الرجال، ولكنهم لقبوا بالمتكلمين الأوائل أو متكلمي المعتزلة، لأنهم مزجوا أفكارهم الفلسفية بشيء من آرائهم الدينية، فغلب عليهم اسم المتكلمين، مثل العلاف والنظَّام والجاحظ وغيرهم من جهابذة العلم وأساتذة الفضل، غير أنَّ آراءهم ذهبت أدراج الرياح، وأناخ الدهر على كتبهم بكلاكله، فلا يعرف منها خبر ولا أثر، وما بقي منها في كتب المقالات والملل والنحل نزر يسير مختل النظام، مبعثر القوام، لعبت به أقلام خصمائهم فصوروا كيف شاؤوا، وركبوا كيف أرادوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

فلما جاء أبو علي جمع الأشتات، وهذب الأصول، ونقح الفصول، ورتب الكتب والأبواب، وجمع كل ما تفرق من علومهم في سفر حافل، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كان القدماء من نقلة الإسلام وفلاسفة المسلمين ينقلونها رسالة رسالة وباباً باباً في كل فن، فنقلوا وكتبوا رسائل في السماع الطبيعي، وأخرى في الكون والفساد،

وثالثة في السماء والعالم، ورابعة في الطبائع والأحداثيات، حتى إنهم كانـوا يفرقون المنطق باباً باباً في رسـائل مختلفـة في إيسـاغوجي، وقاطيغورياس، وريطوريقا، وطوبيقا، وغيره من أنواعه، وهذا ظاهر لمن نظر في (فهرست) النديم وغيره من مؤرخي القدماء، أو كتب سلف الحكماء.

فمن مزايا أبي علي التي فاق بها الذين سبقوه بالعلم أنه جمع هذه الفنون في كتاب جامع، وحشد هذه العساكر في نظام واحد، فوضع كتابه (الشـفاء) واحتدى فيه حذو أرسـطو في كتبه، فجمع وأوعى، وأثبت ونفى، فجاء كتابه كأنه دائرة لمعارف الفلسفة، ودع ما عزا إلى أرسطو ما لم يقله، وما أبدع من عند نفسه، ولم يرد أن يميز ما ملكت يداه، مما استعار من غيره، فقد لامه عدوُّه الألد القاضي ابن رشـد في كتبـه على صنيعه هذا، لينجي أرسطو من عدو الفلسفة متكلم الإسلام الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي.

على كل حال هذا أول كتاب جمع أنواع الفلسفة بين دفتين، ولم يـزد عليـه من جاء بعده إلا إيجازاً أو اقتضابـاً مرة، وتـأويلاً وتعديلاً أخرى، فكأنه صار كتاباً لا تنسخ آياته، ولا ينسج على منواله.

فجاء بعده أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في وسط المئة السادسة، فانتقد فلسفة المشائين، واعتبر مسائل أرسطو، واستدرك على ما كتبه، ونظر في آرائه، ودون ما رأى وارتأى في سفر

عظيم سماه (المعتبر في الحكمة الإلـٰهية)»[١].

قال السيد الندوي مرة وهو يدرس كتاب الميبذي في الفلسفة: «لو جمعت التجارب العملية للطبيعيات التي ذكرها الفلاسفة المسلمون في مؤلفاتهم لكشف لنا ذلك عن خدماتهم في هذا المجال»[٢].

وكان يرى السيد الندوي أن يفرد كتاب في جمع ما أضافه المسلمون إلى علم المنطق[٣].

تطور فكره في علم الكلام:

كان العلماء في الهند بصفة عامة متبعين لمذهب الأشاعرة في علم الكلام، فجاء شبلي، وصرف عنايتهم نحو الماتريدية، وظل طول حياته متردداً بين المذهبين، واطلع شبلي في آخر حياته على بعض مؤلفات الإمام ابن تيمية، ففضله على الإمامين الغزالي والرازي، وورث السيد الندوي هذا الاتجاه من شيخه، وكان أسعد منه حظاً، فقد توفرت له مؤلفات ابن تيمية وابن القيم، فأعجب بهما، فكان في العقائد متبعاً لمذهب السلف، وفي الفقه أميل إلى مذهب المحدثين.

---

(١) مقدمة الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية: ٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص ٢٥٠.
(٣) المرجع السابق نفسه.

يقول السيد الندوي: «أدين في اهتمامي بعلم الكلام لتربية العلامة شبلي، فقرأت مؤلفاته، وراجعت مصادرها، وطالعت (الملل والنحل) للشهرستاني، و(الفصل في الملل والنحل) لابن حزم، و(كشف الأدلة) لابن رشد، و(حجة الله البالغة) للشاه ولي الله، وأثر كل منها في نفسي، وأخيراً درست مؤلفات العلامة ابن تيمية والحافظ ابن القيم، فاندرس كل رسم، وانمحى كل أثر»[1].

ويقول العلامة أبو الحسن علي الندوي: «وكان من منجزاته أيضاً أنه حقق بالسيرة والتاريخ أهدافاً لا تحقق إلا بعلم الكلام، فأسس علم كلام جديد يفوق علم الكلام القديم في التأثير على الذهن الجديد وإقناعه، وفي توثيق الثقة بالشخصية النبوية والشريعة الإسلامية، وهو أكثر سداداً للحياة العملية المعاصرة»[2].

* * *

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٨.

(٢) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٦٩.

الفصل السّادس

اللّغات والآداب

وكان متضلعاً باللغات الأُردية، والعربية، والفارسية، كما تعلم اللغة الإنكليزية، فكان يستفيد من مصادرها، ويتابع صحفها ومجلاتها، وتعلم اللغة العبرية[1]، وشيئاً من اللغة التركية واللغة الفرنسية.

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «يؤمن الزمان بأن السيد الندوي عالم فريد، وبحّاثة منقطع النظير، ويخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفرده في كتابة السيرة، ولكن قلما عرف الناس مكانته في الأدب والشعر والنقد، وقلما علمه الناس كأديب منشئ وشاعر قدير»[2].

وسأعرض فيما يلي تمكنه من اللغات وآدابها:

---

(١) تعلمها من بعض اليهود خلال تأليفه لكتاب (أرض القرآن).

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٣٠.

١ ـ اللغة العربية وآدابها:

مما يعاب على التعليم العربي في الهند أنه لم تكن له عناية بتعليم اللغة العربية كلغة حية، حتى يتدرب الطلاب على النطق والكتابة بها، فلا نرى في العهود الأخيرة بعد الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي من كان يحسن ويجيد الكتابة بها غير العلامة الشريف عبد الحي الحسني صاحب (نزهة الخواطر) ورئيس ندوة العلماء الأسبق، والعلامة شبلي النعماني الذي ألف (الانتقاد) في الرد على الأستاذ جرجي زيدان باللغة العربية الفصحى، وبرزت دار العلوم لندوة العلماء كأول معهد تعليمي للعناية باللغة العربية وآدابها، وحظيت هذه الدار بهذين العلمين الكبيرين العلامة شبلي النعماني والعلامة الشريف عبد الحي الحسني منذ إنشائها.

بداية صلة السيد الندوي بالأدب العربي:

يقول السيد الندوي: «رأيت في صغري كتاب (مغني الصبيان) عند الشيخ وحيد الحق شيخ العلامة محمد سجّاد أمير الشريعة، وهو يحتوي على ترجمة كثير من الكلمات والمصطلحات العربية، فنسخته بيدي، وحفظته، وكانت هذه أول خطوة مني نحو الأدب العربي، فلما نشأ في فكري أن أكتب عن الأدب العربي، ألفت (دروس الأدب) (على المنهاج نفسه)»[1].

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٧.

تطور صلته بالأدب العربي:

كان من سعادة حظ السيد سليمان التحاقه بدار العلوم، فانفسح له المجال - إلى جانب التدرب على اللغة الأردية الفصحى - أن يتدرب على اللغة العربية الفصحى نطقاً وكتابة، وساعده على ذلك جو ندوة العلماء العلمي والأدبي، ولكن نمَّى هذا الذوق لديه وجود العلامة شبلي في رحاب دار العلوم كعميد لها، فقد كان شبلي تصل إليه المجلات والصحف العربية وأحدث المطبوعات العربية من بلاد مصر والشام، فكان يحرِّض الطلاب على مطالعتها والاستفادة منها لتنمية ملكة اللغة العربية، واغتنم السيد سليمان هذه الفرصة الذهبية، فقرأ عليه (دلائل الإعجاز) للجرجاني كما درس تحت توجيهه (ديوان الحماسة) و(نقد الشعر)، فنشأت عنده ملكة الكتابة بهذه اللغة نثراً وشعراً، حتى عد من أدباء هذه اللغة.

يقول السيد الندوي: «تعلمت الأدب العربي على العلامة فاروق الجرياكوتي، والعلامة السيد عبد الحي الحسني، وكانا متبعين لأساليب المتأخرين، وكان من فضل العلامة شبلي أن قرأت عليه (دلائل الإعجاز) للجرجاني، فاطلعت على الكتابات الأدبية للمتقدمين، وقرأته بكل رغبة وشوق، وقلدته، واتجهت إلى الكتابة والخطابة بالعربية، وألهب كتابا (ديوان الحماسة) و(نقد الشعر) هذا الذوق عندي، وبدأت أقرض الشعر»[1].

---

(١) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام، ص١٨.

وكان حريصاً على أن تكـون لغته معاصرة، فكـان يواظب على متابعة (المؤيد) و(اللواء) وغيرهما من المجلات العربية.

وطبعت مقالاته باللغة العربية في مجلة (البيان) الصادرة في لكنو تحت إدارة الشيخ عبد الله العمادي، ومجلة (المنار) للعلامة محمد رشيد رضا، ومجلة (الضياء) الصادرة في دار العلوم لندوة العلماء بلكنو.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «وبرع العلامة الندوي في لغات عصره، وبخاصة اللغة الأردية، وهي لغة بلاده العلمية والأدبية، وفي اللغة العربية وهي لغة العلوم الإسلامية، وكان يجيد التعبير ويحسن الأداء بهما جميعاً، وكان يختلف في ذلك عن غالبية العلماء المعاصرين له، بحيث إنهم لم يكونوا يختارون العربية كأداة تعبير لهم، وقلما كان يسعهم ذلك، بل إنما كانوا يكتفون بالتعبير باللغة الأردية، وذلك أيضاً بأسلوب علمي متزمت»[١].

ويقول الأستاذ محمد الرابع: «ولكنه لم يترك اللغة العربية أيضاً، بل اختارها لعدد من أعماله بكفاءة وإحسان، ولم يخل عمله فيها من الوضوح والروعة والاتزان، فقد ظهر فيها أيضاً كرجل كفء قدير، قلما كان يظهر مثله من أعلام العلم والفكر في زمنه»[٢].

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

تقديره لدور اللغة العربية:

وكان السيد سليمان مقدراً لدور اللغة العربية في توحيد المسلمين، يقول في كتابته بمناسبة افتتاح مجلة (الضياء): «وبعد فللإسلام مزايا تفوت الإحصاء دررها، وتستغني عن الإنباء غررها، إحداها أنه دين وحدة الشعوب والأمم، ودين مواخاة البشر، والنصيحة لعامة المسلمين، ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه أن جعل للمؤمنين بقرآنه، والخاضعين لسلطانه، على اختلاف ألسنتهم وبلدانهم، وجنسياتهم وألوانهم لغة خاصة، وهي لغة كتابه المنزل من السماء، يتفاهمون بها معاني القلوب، ويتعارفون بها هواجس الأفكار، ويخطب بعضهم بها مودة بعض، فهي على تقلب من الأحوال لغة عصبة الأمم الإسلامية منذ قرون وأجيال.

قد رأى الآن رجال من نصارى الإفرنج في حلمهم أن يدعوا أممهم إلى الوحدة الإنسانية والمودة البشرية، فأحدثوا لغة واحدة يسهل عليهم أخذها، ليحادثوا بها الأقوام، وينادوا بها إلى الالتحام، ولكن أولي النهى ممن يرون العواقب رأي العين يفتون أن لا بقاء للغة إلا إذا كانت لها دعائم من الدين والسياسة، يتعصب لها ذووها، ويسعى لها بنوها، وإن الإسلام قد قضى وطره منها منذ خلق، فجعل لأممه المنتشرة في أكناف الأرض مشارقها ومغاربها لغة تعم أطرافها وتضم أشتاتها، وهي لغة نبيها المصطفى، ودينها المرتضى، وكتابها المنتقى، وهي لغة

علومها وآدابها، وحضارتها، ولها أهل يحمون حوضها، ويذبون عن حماها، فهي تبقى معهم مهما بقوا، وترحل معهم أينما رحلوا، وتحل معهم بأي أرض حلوا، وهي تجمع بين دفتيها دفاتر أربعة عشر قرناً، فيها الدين والشرع، والرواية والأثر، والتاريخ والخبر، والشعر والأدب، والجد واللعب، تلم بين طرفيها شعث ما تركه سلفهم، وكسبه خلفهم، وما جادت به طبائعهم، وفاضت به ينابيعهم، وفاهت به مجامعهم، وزرعته أفهامهم، وحصدته أقلامهم، وما أبدعوا من أنواع الطرف، وما أودعوا أوراق الصحف، فلغتهم هذه كنز خيرٍ لهم لا يفنى، وثوب فخر لهم لا يبلى»[1].

ويقول وهو يتحدث عن انتشار اللغة العربية بين المسلمين حتى في بلاد العجم: «لا تكاد تجد قرية احتلها المسلمون من بلاد الأرض إلا وفيها رجال ينطقون بالضاد، ويتغنون بالقرآن، ويفهمون لغة قريش، ويتدارسون آداب العرب، وإن كانت في لسانهم عقدة، وفي بيانهم عجمة، هذه بلادنا الهند، فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين، وفيها نحو مليـون من يفهم لغة القرآن ويعرفها، وإن لم تكن لهم قـدرة على التكلّم بها، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها، وطلبة العربية فيها نحو مئة ألف أو يزيدون، فإن صقعاً واحداً من أصقاع الهند ويعرف ببلاد بنغال يضم بين جناحيه ستة آلاف طالب من طلاب العلوم

(١) مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١ هـ، ص٣ـ٤ .

العربيـة وتلامذتها، ونجد في مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة، أثراها مدرسة جامع فتحبوري، وأعمرها المدرسـة الأمينية، وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العاليـة في ديوبند أكثر من خمسمئة طالب، تدر على أكثرهم رواتب شـهرية تفي بمآكلهم وملابسـهم، ودع عنك دار علومنـا التي قـامت بتأسيسها ندوة العلماء بلكنو، فهي أحدثها عمراً، ولكل منها من المزايا ما لا يخفى على ذي عينين»[1].

نماذج من كتاباته:

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني: «ولم يكن العلامة الندوي متقيداً بموضوع واحد في كتاباته العربية، بل إنه كان يطرق موضوعات مختلفة، فكان حيناً محرر مقالات، وحيناً آخر كاتب مقدمات للكتب، وقد كتب تعريفاً ببعض الشخصيات الكبيرة وذكر صفاته بدقة ووضوح وبلاغة»[2].

ومن نماذج كتاباتـه مقدمته لكتاب العلامـة المفسر عبد الحميد الفراهي (الإمعان في أقسام القرآن) يقول في هذه المقدمة:

«الدنيا دار العجائب، ومن أعجب عجائبها وقوع ما كنت تحذر

---

(١) مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١ هـ، ص٤ ـ ٥.

(٢) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٣١.

منه، وحدوث ما لم يخطر ببالك».

بعثنا هذه الرسالة للطبع وصاحبها حي يرزق فلم يمض شهر حتى فوجئنا بموته وفجعنا بانخرام حياته، وكان ـ رحمه الله ـ آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة الله تعالى.

هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفراهي، ولد رحمه الله سنة ١٢٨١هـ في قرية فريها من قرى مديرية (أعظم كره) في الولايات المتحدة بالهند، وكان ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام الشيخ شبلي النعماني، وتغمده الله برحمته، واشتغل بعد ما ترعرع في طلب العلم فحفظ القرآن الكريم، وقرأ كدأب أبناء العائلات الشريفة في الهند اللغة الفارسية، وبرع فيها، فنسج قصيدة فارسية صعبة الرديف بارى فيها شاعر الفارسية الطائر الصيت خاقاني الشرواني، فأتى فيها بما أعجب الشعراء.

واشتغل بعد ذلك بطلب العربية، فاستظل بعطف أخيه الشيخ شبلي النعماني، وكان أكبر منه بست سنين. فأخذ عنه العلوم العربية كلها من صرفها ونحوها، ولغتها وأدبها، ومنطقها وفلسفتها، ثم سافر إلى لكنو مدينة علم الولايات المتحدة وجلس في حلقة الفقيه المحدث الإمام الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي صاحب التصانيف المشهورة.

ثم ارتحل إلى لاهور وأخذ الأدب العربي من إمام اللغة العربية وشاعرها المفلق في ذلك العصر الشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفوري شارح (الحماسة) أستاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية بلاهور[1].

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني في تحليله الأدبي لهذه القطعة: «قد يبدو في ظاهر الأمر أن هذا الأسلوب السهل في بيان ترجمة شخصية من الشخصيات العلمية لا يتصف بصفة الإبداع، مع أن هذه السهولة في البيان سبب كبير من أسباب الإجادة والإحسان، بحيث إنه يمكن به استعراض صفات المترجَم له استعراضاً دقيقاً حسناً. فلا تلتوي فيها حقيقة من الحقائق، ولا تخفيها المبالغة والمجاز. كما أن المعاني المتعلقة بالموضوع تلقي ضوءاً أيضاً على أمور وأحوال أخرى تتصل بالشخصية اتصالاً.

ومثال ذلك أننا علمنا من خلال ذكر نشأته وحياته، مكانة مدينة لكنو كمركز للعلم والتعليم، ومكانة الشيخ عبد الحي اللكنوي من علمي الحديث والفقه، كما عرفنا أديب العربية وأستاذها الكبير الشيخ فيض الحسن السهارنفوري شارح الحماسة، وعرفنا أن العائلات الشريفة في الهند كان من دأبها في بداية تعليم الطفل تعليم القرآن الكريم، ثم

---

(١) مقدمة إمعان للفراهي، ص١٥ ـ ١٦، طبع دار القلم بدمشق.

الفارسية، ثم تعليم العلوم الأخرى، هذا أسلوب مفيد ومغن في كتابة التراجم، وقليلاً ما نجده في كتابات المتأخرين، بيد أننا نجد نموذجاً رائعاً في هذا الموضوع في كتاب (نزهة الخواطر) للشيخ السيد عبد الحي الحسني، الذي ألفه في ثمان مجلدات كبار. ولقد تتلمذ العلامة السيد سليمان الندوي عليه أيضاً، فقد ذكر في بعض حديثه أنه تعلم منه (مقامات الحريري)، فلا عجب أن يتشابه مسلكاهما في هذا الموضوع»[1].

شعره باللغة العربية:

للسيد سليمان الندوي شعر رائع في اللغات العربية والأردية والفارسية، فيه رقة وعذوبة، ولكنه لم يكثر منه.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «ووجدنا من اعتناء العلامة السيد سليمان الندوي بالأدب العربي اعتناءه بالشعر العربي، فقد نظم الشعر في موضوعات مختلفة. ويدل هذا الشعر على إرهاف حسه، وحسن خياله، وحبه للفضائل والحكمة، وقد تجلت في شعره القوة والإجادة والتعبير الطبيعي الجميل، مع أن نظم الشعر العربي بأسلوب يتصف بالتعبير الطبعي الجميل قلما يتأتى لرجل لم ينشأ في جو عربي، ولم يطل أو يتكرر اختلاطه برجال اللغة الأقحاح، ولكن الاهتمام

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٣٢.

بدراسة النصوص الأدبية البليغة مما أنتجتها أقلام العرب الفصحاء قد يصبح بديلاً من ذلك. وذلك الذي كان في سليقة العلامة الندوي الأدبية.

على كلٍّ فإننا نجد نماذج من هذا الشعر الجميل نشرها في مجلة (الضياء) في حلقات، وسماها (درر غرر) فمنها رباعيات وهي تسمى بالمصطلح العربي الدوبيت. ومنها قصائد حكمة واعتبار، وقصائد وصف وتصوير. وذلك كله دليل على ما بلغته قريحة العلامة الأدبية في اللغة العربية، ولم يكن العلامة شاعراً يشغل الشعر حياته، بل إنما كان ينظم بمناسبات كانت قريحته تجود فيها، ولم ينشر شعره لمدة من الزمن، ولما اطلع تلاميذه وأصدقاؤه على شعره ألحوا عليه بنشره، فنشره في مجلة (الضياء)[(1)].

ومن شعره الرقيق الرائق وهو يصف الشمس عند مغيبها:

كأنَّما الشَّفقُ المُمتدُّ في الأفُقِ ... خمرٌ معتَّقةٌ شَجَّتْ[(2)] لمُغْتَبِقِ
خَمْرٌ لعتقها في أعلى همالية[(3)] ... شُجَّتْ[(4)] بماءِ غمامٍ هامرٍ غَدَقِ
كفُّ الطبيعةِ تَسْقي النَّاس أكؤسها ... ويلٌ لمَنْ هذه الصَّهباءُ لَم يَذُقِ

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٣٣.
(٢) شجَّت: سارت، ومنه: تشجُّ بيَ العوجاءُ كلَّ تنوفةٍ. (الناشر)
(٣) همالية: هي جبال هيملايا المشهورة. (الناشر)
(٤) شُجَّتْ: مُزجت، ومنه قول كعب: شُجَّت بذي شَبَمٍ من ماء مَحْنيةٍ. (الناشر)

تَحسُو القُلوبُ حُميّاها إذا نَظرَتْ إلى السَّماءِ بأقداحٍ مِنَ الحَدَقِ
والطَّيرُ تَشرَبُها حِيْنَ تَروحُ إلى أوكَارِها صَافراتُ السَّجْعِ في حَلقِ
والرِّيحُ سَائرةٌ في رَوضَةٍ أُنُفٍ تَهدي السُّرورَ إلى حَوباءَ مُنتشقِ
دنٌّ من القَهوةِ الصَّهباءِ في الأُفُقِ والكَأسُ تطفُو بهِ لا الشَّمسُ في الشَّفَقِ
بَل إنَّه بُرْقُعٌ قَانٍ لَهُ شِيَةٌ والشَّمسُ وَجهُ حبيبٍ بالحِجَاب يَقي
بَلْ إنَّما الشَّمسُ للصُّوَّاغِ بوتقةٌ قَدْ ذابَ عَسْجَدُها وانثجَّ في طُرُق
بَلْ إنّما الشَّمسُ مِنْ أعْمارِنَا قَتَلَتْ يَوماً فَسَالَ دَمٌ جارٍ مِنَ العُنُقِ
فَذلك الشَّفَقُ المُحْمَرُّ مِنْ دَمِهِ وقَبْرُه لَيلُهُ المَسْتُورُ بالغَسَقِ(١)

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني في تحليله لهذه الأبيات:
«ترى المعاني الطريفة في هذه القصيدة كيف يشبه صوراً عديدة لمنظر الشمس عند غروبها بأشياء وأحوال تحمل مشاعر طبيعية وخواطر رائعة من الإحساس الرقيق.

يشبه الشفق الممتد في الأفق بالخمر المعتقة في أعلى جبال همالية التي كان الشفق قد امتد عليها.

ويذكر شرب الخمر بأقداح من الحدق، لأن شرب خمر الشفق لا يمكن إلا بالنظر من خلال حدق العيون. ويشبه الشفق في بيت آخر من الشعر ببرقع أحمر يختفي فيه وجه الحبيب وهو وجه الشمس.

---

(١) مجلة (الضياء) عدد صفر ١٣٥١هـ، ص٣٠.

ثم يشبه غيبة الشمس في الأفق تاركة منها شفقاً ممتداً كأن الشمس قتلت من أعمار الإنسان يوماً واحداً، فخرجت الدماء من عنق هذا اليوم وانتشرت، فكان منها الشفق، وغابت الشمس بعده في القبر، وقبرها هو الليل الذي أتى بعد غروب الشفق.

وصف جميل، وتصوير رائع، وابتكار للمعاني، وتشبيهات طريفة، فلا شك في أن كل ذلك يدل على قريحة العلامة الشعرية الوقادة، وإحساسه الشعري المرهف، مما يدخله في مصاف شعراء الطبيعة البارعين، ولو لبرهة من الزمن»[1].

ومن شعره في الحكمة والنصيحة قصيدة له يذكر فيها حديقة المسرّة في هذه الحياة يقول فيها:

هَبْ أنَّنِي سُلْطانُ ... هارونُ أو سَاسَانُ
خَضَعَتْ مُلُوكُ الدَّهْرِ لي ... كِسْرَاهُ والخَاقَانُ
فالسُّودُ تَحْتَ أَوامِرِي ... والحُمْرُ لي قَدْ دَانُوا
وَلِيَ الزَّمانُ مُساعِدٌ ... لي الأمرُ والإيوَان
رَبَضٌ ينافي الفرقدَيْـ ... ـنِ وبينه بُسْتانُ
آجُرُّهُ مِنْ عَسْجَدٍ ... بُنِيَتْ بِهِ الجُدْرَان

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٣٣ ـ ٣٤.

ويقول:

وطنـــافِــسٌ ونَمَــارِقٌ غَلَـــتْ بهـــا الأثمـــانُ
وأرائــــكٌ ذهبيَّـــــةٌ فُقِـــدَتْ لهـــا الأقْـــرَانُ
وبيبــتُ لـــي رَشَــأٌ تخــا لِـــفُ جِنسَـــهُ الغِـــزْلانُ
فـــي عَيْنِهـــا سِحْـــرٌ وَفَـــي أَصْـــدَاغِهـــا ثُعْبَـــانُ
حَسْنَـــاءُ آنســـةُ الحَـــدِيـ ـــثِ كـــلامُهـــا قُـــرْآن
بَيْضـــاءُ سحنَتُهـــا وأَسْـ ـــودُ فـــرعِهـــا قِنْـــوَانُ

إلى أن يقول:

فـــإذا الصبـــاحُ لنـــا بـــدا نَعقَـــتْ بِـــهِ الغُـــربـــانُ
فتقلَّبَـــتْ أحْـــوالُنـــا حَـــالَـــتْ بِهَـــا الأزْمَـــانُ
أَتَـــتِ الحَـــوَادِثُ بَغْتَـــةً وتهـــدَّمَ البنيـــانُ
أيـــنَ الأســـرَّةُ والمســـرْ رَةُ والـــدُّمَـــى والشـــانُ؟
فـــالـــدَّهْـــرُ أَفْسَـــدَ مـــا بِنَـــا تَشتَّـــتَ الخِـــلاَّنُ
وأبـــادهُـــمْ حَـــدَثُ الـــزَّمـــا نِ كـــأنَّهـــم مـــا كـــانُـــوا
فَتحيَّـــرَتْ نَفْسِـــي وقَـــا لَـــتْ غَـــرَّنِـــي الحَـــدَثـــانُ
أَأَرى أنَـــا فـــي النَّـــومِ هـ ـــذا أمْ أنَـــا يَقظَـــانُ
فسمعـــتُ هَتْفـــاً مـــن منـــا دٍ أيّهـــا الحَيْـــرَانُ
إنَّ السّـــرورَ تَخَيُّـــلٌ يَتَخَيَّـــلُ الإنســـانُ

يقول الأستاذ محمد الرابع في تحليله لهذه الأبيات:

«يذكر الشاعر في هذا الشعر الرقيق السلس كيف أن المسرة تأتي إلى الإنسان، فيظن نفسه في سعادة وبحبوحة من العيش كأنه في جنة الخلد حوله الحور والغلمان، وفيها أرائك ذهبية ما لها نظير في العالم، ولكن الأحوال تتغير وتزول هذه الراحة والرفاهية، ويأتي الشقاء والحرمان، فلا يعرف هل كان حلماً رآه قبل هذا أم حقيقة، ويأتي النداء من هاتف يقول: إن السرور خيال، وليس أمراً ثابتاً باقياً»[١].

واختيار السيد سليمان الدوبيت أيضاً للإعراب عن مشاعره وإبداء قريحته، ولم يكتف بالشعر، بل اختط لنفسه خطاً مبتكراً جديداً، وقدم فيه معاني الحكمة والنصيحة، فجعله بذلك حاملاً للنفع الخلقي، وزاد بذلك من ثروة هذا النوع من الشعر، إنه ذكر الخط الذي خطه لنفسه في هذا النوع من الشعر في مقالة له نشرها في مجلة (الضياء) بقوله: «مضى أكثر من عشرين سنة مذ تفكرت بنظم معان حكيمة وأخلاقية مضاهاة لبعض الشعراء الفرس مثل الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير والشيخ عبد الله الأنصاري وعمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري وسحابي النجفي وأمثالهم، وقد سموا زنة شعرهم هذه دوبيتاً ورباعياً، وقد اقتفى أثرهم شعراء العربية في الدولة السلجوقية في القرن الخامس وبعده. وأبقوا الوزن في العربية كما هو بالفارسية. وخصصوه لمعاني اللهو والشرب

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٣٤ـ٣٥.

والخمر، أي أخـذوا منهم جانب الشر، وتركوا جانبه الآخر الذي هو الخير.

ولما كان الوزن الذي أختاره من ضروب الهزج ذات زحافـات كثيرة. و(مفاعيلن، مفاعلن، فعولن، فعلن) غير ملائم عندي للذوق العربي فاستبدلت به (مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن) وأعرضت فيها عن الهزل إلى الجد، وأخذت في نسج الرباعيات على هذا المنوال.

وهذه نماذج من شعره الرباعي:

لا يعرفُ الفضلَ بينَ النّاسِ في الرُّتَبِ — وإنْ عـلا بعضُهم بالمالِ والنَّسَـبِ
حتّى الشَّـدائدُ تَبْلوهُم وتُعْجِمُهُم — فالنَّارُ تفرُقُ بَيْنَ العُودِ والخَشَبِ

ويقول:

إنَّ الأنـامَ نِيـامٌ، عيشُهُـم طَيْـفُ — وكلُّ ما هم رَأوْا في نَوْمِهِم كَيْف
لَيْسَتْ حقيقةُ هذا الدَّهْرِ إلا (لا) — فـلا رَبِيـعٌ ولا بَـرْدٌ ولا صَيْـفُ

ويقول:

قَـدْ كنتُ في الدَّهْـرِ قَبْلَ الأمْـسِ ذَا وَلَدا
وأَمْـسُ صِـرْتُ فتًـى، زَهْـرُ الشَّبـابِ بَـدا
واليـومَ شِبْـتُ ورَيْـبُ الـدَّهْـرِ أَدْرَكَنـي
وَلَيْـتَ شِعْـرِيَ مَـاذا بـي يَكُـونُ غـدا

ومن شعره وهو يذكر الرضا بالقضاء:

يـا أيُّهـا النَّـاسُ مَـا دُمْتُـمْ علَـى الأرْضِ
لا تَخْلُصُـوْنَ مِـنَ الإبْـرَامِ والنَّقْـضِ
فـإِنَّ مـا قَـدَّرَ الـرَّحْمٰـنُ قـاضِيكُـم
مِـنْ شِـدَّةٍ ورخَـاءٍ كُلُّـهُ يَمْضـي[(١)]

ويقول وهو يحث على الصبر على المكاره:

لا تَغْتَـرِرْ بِسُـرُورٍ ذَاهِـبٍ فـانِ ... ولا تُهَـمُّ بِهَـمٍّ نَفْـسُ إنْسـانِ
فبعْـدَ مـا أَكَـلَ الإنْسَـانُ أَكْلَتَـهُ ... حُلْوُ الضَّرِيْبِ وَمُرُّ الصَّبْرِ سِيّانِ[(٢)]

ويذكر معنى الموت فيقول:

إنَّ الحيـاةَ كِتَـابٌ وَهُـوَ مُتَّسِـقُ ... وكُـلُّ يَـوْمِـكَ مِـنْ أيَّـامِهـا وَرَقُ
لا المَـوْتُ مَعْنَـاهُ إلا أنْ تُفَـرِّقَـهُ ... الرِّيْحُ، فَتَنْتَشِرُ الأوْرَاقُ تَفْتَرِقُ[(٣)]

وينكرُ على من يخشى الموت فيقول:

حتَّامَ تَخْشَـى المَنَـايَـا فَهِـيَ آتِيَـةٌ ... وَيُنْفِدُ الموتُ أَعْدَاداً مِن النَّفْسِ

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٨.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.

إنَّ الحَيـاةَ ثيـابٌ والـرَّدَى دَنَـسٌ حتَّى متى تَتَّقِي الأثوابُ من دَنَسٍ[1]

ويقول:

يَـا لَهْفَ مَنْ كَنَـزُوا فِي الأرْضِ مَا كَنَزُوا
أَيَحْسَبُـــونَ بِهَـــا يَفْـــدُون إذَا عَجِـــزُوا
عَـنْ دَفْـعِ مَـا فـي بُطـونِ الأرضِ مِـنْ أَلَـمٍ
سَيَعْلَمـــونَ غَـــداً مِنْهـــا إذَا بَـــرَزُوا

أسلوبه في الكتابات العربية:

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني: «أما أسلوبه في كتاباته العربية فقد اتسم بالسلاسة الأدبية والرزانة العلمية وغزارة المعرفة، جمع بذلك بين السمات المختلفة، وكان يتخذ أسلوباً وعبارة واضحة متناسبة مع الموضوع. وهو من خصائص البلاغـة في كتابات الأدباء، وذلـك أن يكـون الكلام وفقاً للمراد، ومقتضى الحال، وأن يكون سـهلاً سـائغاً للقراء، وهي صفات تفوت كثيراً من المشتغلين بالكتابة.

ومما يلفت النظر في هذا الصدد هو أن الكتابة العربية بعد القرن الرابع الهجري إلى بداية العصر الحديث قد مرت بأدوار من غلبة الصناعة اللفظية وصعوبة الأسلوب، والتكلف في التعبير، ولم يتغلب على هذه

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٦٨.

النزعة في الأدب إلا آحاد من الكتاب والأدباء في فترة التخلف هذه، وممن سلم من هذا التكلف عبد الرحمن ابن خلدون صاحب التاريخ والمقدمة المشهورة، فإنه راعى إحسان اللفظ وإحسان المعنى جميعاً.

وأما في الهند فقد اختار هذا المنهج العالم الجليل الشيخ ولي الله الدهلوي وعدد قليل جداً ممن سلك هذا المسلك.

وكان اختيار الكتابة العربية صعباً في الهند، لأن لغة الكتابة والمخاطبة في هذه البلاد لم تكن اللغة العربية، وقلما يتمكن الرجل من سهولة التعبير إلا إذا كان على مران للعمل فيها، بحكم أن تكون العربية لغته الأم، أو لكون اطلاعه ومطالعته للأساليب البليغة السهلة واسعاً. وقد كان السيد الندوي من هذا القبيل، فقد اختار ذلك أولاً كفكرة أساسية للمنهج التعليمي في الهند اتباعاً لما قرره مؤسسو ندوة العلماء في لكنو، فقد كان مهتماً بتعليم اللغة العربية، ويرى ضرورة شديدة لنشرها وخدمتها، ويعدها أساساً لوحدة المسلمين. ولقد وضع كتباً لتسهيل تعليم اللغة العربية والتعريف بالأساليب الجديدة منها»(١).

٢ ـ اللغة الأردية:

ذهب مؤرخو اللغة الأردية ونقادها إلى أنها تقوم على خمس دعائم: السيد أحمد خان، والأستاذ محمد حسين آزاد، والأستاذ نذير

---

(١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٩ ـ ٣٠.

أحمد، والأستاذ ألطاف حسين حالي، والعلامة شبلي النعماني، ويمتاز شبلي بينهم بتبحره الواسع العميق في العلوم الإسلامية واللغة العربية.

ومضى هؤلاء الأعلام، ولم يَخلُفْهم أحدٌ في مكانتهم العلمية والأدبية والأسلوب الكتابي الذي أنشؤوه، إلا العلامة شبلي النعماني، الذي قام بتربية عدد كبير من التلاميذ خلفوه في أعماله العلمية والأدبية، وعلى رأسهم العلامة السيد سليمان الندوي، الذي اتفق الناس على أنه خليفة شبلي في علومه وأساليبه الأدبية، ومنهجه في البحث والتحقيق، وكان من علو مكانة السيد الندوي في الأدب الأردي أنه قام بتمثيل العلماء في عامة المحافل العلمية والأدبية في الهند، ونالت كتاباته القبول بين الطبقتين القديمة والحديثة.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: ومن مآثره الأخرى أنه أحرز قدم السبق، ونال الاعتراف به في ميدان لغة البلاد وأدبها، وصدرت بقلمه السيال وفكره الغزير مقالات وخطب وبحوث علمية أشاد بها النقاد وأساتذة اللغة الأردية والأدب الأردي لغزارتها العلمية وسعة المطالعة، وعمق النظر، ويعتبر كتاب (نقوش سليماني) خير نموذج لها، وبذلك ردَّ ردّاً علمياً على التهمة الشائعة بأن علماء الدين لا يستطيعون أن يسايروا ركب اللغة والأدب السيار، وأنهم لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم إلا باللغة القديمة، وبذلك فإنه أنقذ الدعوة الإسلامية والتعبير الديني من خطر التخلف والجمود، وغض البصر عن العهد

الجديد والطبقة المثقفة العصرية[1].

ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي: «اختار السيد الندوي اللغة الأردية بصورة عامة مجالاً لأعماله العلمية والأدبية، لأن أصناف عمله كان أغلبها في الهند، وأبدى براعته فيها»[2].

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «ولكن له - إلى جانب موسوعة (سيرة النبي) - جيشاً من المؤلفات، هل يستطيع أحد ممن يقرأ اللغة الأردية أن ينسى مؤلف (رحمة العالم) و(أرض القرآن) و(سيرة عائشة) و(محاضرات مدراس) و(نقوش سليماني) و(الخيام) و(الصلات بين العرب والهند) و(حياة شبلي) و(اللغات الجديدة) و(الملاحة عند العرب) وغيرها من الكتب والكتيبات، القديمة والجديدة، والعلمية والأدبية، والمقالات التي تفوق الإحصاء؟.

من الذي أثرى اللغة الأردية بالأدب الصالح مثل ما فعله هذا الراحل خلال حياته التأليفية الممتدة إلى أربعين عاماً؟!!»[3].

شعره باللغة الأردية:

كانت لديه ثروة كبيرة من المحفوظات الشعرية، ومعرفة تامة

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧٢ - ٧٣.

(٢) ملحق الرائد للأدب الإسلامي، ص٢٩.

(٣) وفيات ماجدي، ص٧١.

بالحركات والاتجاهات الشعرية باللغة الأردية، ولما التحق بدار العلوم لندوة العلماء كانت أجواء لكنو مليئة بالشعر والحفلات الشعرية، وذكر الشعراء، فنشأ السيد الندوي على تذوق الشعر وقوله.

لم يجعل السيد الندوي الشعر جزءاً من حياته، وإنما كان يلتجئ إليه أحياناً للإعراب عن بعض الأفكار والعواطف والمشاعر.

لما أسس شبلي منهجاً جديداً في الشعر باللغة الأردية تبعه السيد الندوي، وصنع منظومات شعرية لحوادث تاريخية وقومية، ولما توفي شبلي رثاه السيد الندوي بشعر يهيِّج الأحزان باسم (المناحة على الشيخ)، وتلمس الأدباء فيها رائحة أسلوب شبلي، كتب إليه الأمير عماد الملك:

«إن منظوماتك الشعرية تذكر بشبلي»[1].

وطبعت مجموعته الشعرية باسم (أرمغان سليمان) في كراتشي في تموز-يوليو سنة ١٩٦٦م. ولكنها لم تستوعب منظوماته الشعرية.

أسلوبه:

مما تمتاز به مدرسة شبلي هو اختيارها للأسلوب العلمي الأدبي الذي يجمع بين الوضوح والمتعة، وبين البلاغة والتفهيم، وبين أداء الرسالة والتأثير في القلوب، وبين الإيحاء بالمعاني والنفوذ في النفوس،

---

(١) علامة سيد سليمان ندوي شخصيت وأدبي خدمات، ص٢٦١.

ولا ترى أهل هذه المدرسة يخاطبون الناس بالأسلوب المدرسي الجاف الذي تعود عليه أكثر العلماء في ذلك الوقت.

فترى السيد سليمان الندوي يخاطب الناس بلغة عصرهم التي يفهمون، متجنباً وعورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخياً وضوح العبارة، وأداء الرسالة مع فصاحة الكلمات، وبلاغة الجمل، وعذوبة الألفاظ، ورصانة الأسلوب.

نقده:

إن تاريخ النقد في الحياة الأدبية للغة الأردية ليس بقديم، عني به العلامة الشاعر ألطاف حسين حالي (ت١٩١٤م) عناية خاصة، ولكن أول من قام بتطويره وتنميته وإقامته على أسس علمية متينة، وذوق أدبي رفيع، وملكة شعرية خاصة هو العلامة شبلي النعماني في كتابيه (شعر العجم) خمسة أجزاء، و(الموازنة بين أنيس ودبير).

ويعتبر شبلي مؤسس مدرسة خاصة في النقد، من أبرز أتباعها: العلامة الشريف عبد الحي الحسني، والأمير حبيب الرحمن خان الشرواني، والعلامة السيد سليمان الندوي، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي، والأستاذ الشاعر إقبال سهيل، والأستاذ معين الدين أحمد الندوي، والأستاذ صباح الدين عبد الرحمن.

ورث السيد الندوي من شيخه شبلي ذوق النقد في الأدب والشعر،

ومما يتميز به نقده هو عنايته التامة بالدراسة والتحقيق، يقول الأستاذ محمد نعيم الصديقي الندوي: «من مآثره التي تميز بها أنه جمع بين النقد والتحقيق، ولا يوجد لهذا التوفيق الناجح والمتكامل والمتلائم نظير قبله إلا عند شيخه شبلي»[1].

من مآثر السيد الندوي في مجال النقد كتابه (الخيام)، يغلب على هذا الكتاب لون التاريخ والبحث والتحقيق، ولكنه أسهب كذلك في مناقشة شعر عمر الخيام ونقده، يقول الأستاذ عبد الشكور: «إن كتاب (الخيام) مشاركة تذكارية في الأدب النقدي للأدب الأردي، ولا يمكن لأحدٍ أن ينكر أن هذا الكتاب النقدي الرفيع قلما يوجد له نظير في تاريخ النقد الأردي»[2].

ومن أعماله النقدية كتابه (نقوش سليماني)، الذي يشتمل على دراسة نقدية للشعراء والأدباء في أسلوب أدبي، ومنهج للبحث والتحقيق يذكران بمنهج شبلي.

٣ ـ اللغة الفارسية

تعلم اللغة الفارسية وهو صغير، فأتقنها إتقاناً كبيراً، حتى تمكن من النطق والكتابة بها، وإنشاء الشعر فيها، ومن شعره الرائق قصيدته

---

(١) علامة سيد سليمان ندوي شخصيت وأدبي خدمات، ص٣٠٤.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠٥.

التي أنشدها بمناسبة استقبال العلامة شبلي النعماني في دار العلوم لندوة العلماء عند نزوله بها عميداً لشؤونها التعليمية، وله قصائد فارسية أخرى في مناسبات مختلفة.

وكان من مقدرته على اللغة الفارسية وآدابها أن استفاد من مؤلفات الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي وابنه عبد العزيز استفادة وافية.

وكتابه (الخيام) الذي قام فيه بعرض رباعيات الخيام ونقدها خير شاهد على اضطلاعه بهذه اللغة، وله كذلك دراسة لشعر إقبال، وغيره من الشعراء باللغة الفارسية.

٤ ـ البحث والتحقيق

وأختتم هذا الباب بكلمة موجزة عما امتاز به من البحث والتحقيق، والبعد عن التقليد، يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وكان العلامة السيد سليمان الندوي يمتاز من بين أقرانه بهمة عالية وولع شديد بتحقيق منجزات علمية، وكان يقبل على إكمال كتاب يبدأ تأليفه كأنه أحب وآخر عمل يقوم به في حياته، فكان يركز عليه جُلَّ عنايته، ويبذل فيه كل جهوده، ويطالع مئات بل وآلافاً من الصفحات لأجله، ويجمع المعلومات، ويحضر المواد، ثم يستخدمها، وينتفع بها في إخراج هذا الكتاب أو البحث.

وما يكاد ينتهي من عمل حتى يبدأ بعمل آخر بدلاً من أن يأخذ

قسطاً من الراحة، ويروِّح نفسه من التعب والعناء الذي لاقاه في البحث والتحقيق، وكان يشتغل به بنفس النشاط والرغبة، وقد أثّر ذلك في صحته، فتعرض لأمراض مضنية، وضعف وإعياء شديدين، وهو لا يفتر ولا يستريح، ويبقى مشغول الخاطر بالموضوع الذي يبحث فيه، أو يستعد له، شأن من استأسره العلم، وملك عليه مشاعره وتفكيره، وملأ منه كل فراغ»[1].

ويقول نجله الأستاذ سلمان الندوي: «كان من مزايا السيد الندوي ـ إلى جانب جمعه للعلوم والآداب ـ ما امتاز به من البحث والتحقيق واستقلاله الفكري في دنيا العلم والمعرفة، وكان البحث العلمي والحرية العلمية مما تعود عليه منذ أيام طلبه، وتطورت عادته للبحث والتحقيق مع تقدمه في السن إلى منهج فكري يعرف به، فلم يتبنَّ قط التقليد في معناه المعروف، ولازمه هذا الاستقلال العلمي والفكري إلى آخر أيام حياته، وهذا المنهج الفكري هو الذي قاد السيد الندوي إلى الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، وكان السيد الندوي نفسه يعترف بأنه كان شديد الإعجاب بهؤلاء الأعلام الثلاثة»[2].

* * *

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧٦ ـ ٧٧.

(٢) العلامة السيد سليمان الندوي، للدكتور محمد نعيم الصديقي الندوي، ص١٠.

الباب الثالث

مآثره الخالدة

- تمهيد
- الفصل الأول : تطويره لمجمع دار المصنفين
- الفصل الثاني: عمادته لشؤون ندوة العلماء التعليمية
- الفصل الثالث: رده على الاستشراق
- الفصل الرابع : تلاميذه

تمهيد

إن التراث العلمي القيم الذي خلفه السيد الندوي لينوء بالأكاديميات الكبرى والمجامع العلمية الفخمة، فقد كان يملك كفاءة كبيرة وقدرة فائقة على البحث والتحقيق، والكتابة والتأليف إلى جانب تربيته للطلاب والناشئين، وقيادته للبلاد وتوجيه الشعب، وإرشاد المجتمعات، ورئاسة الجمعيات والمحافل العلمية والأدبية، ويصعب علي هنا استقصاء جميع مآثره البنائية والإصلاحية والدعوية، وآثاره العلمية والأدبية ولكن سألقي الضوء هنا على أبرز مآثره التي وقف حياته في سبيلها، وهي: تطوير مجمع شبلي العلمي دار المصنفين، وعمادته لشؤون دار العلوم لندوة العلماء التعليمية وقيادتها في أعصب مراحل تاريخها، ومتابعته لحركة الاستشراق والمستشرقين والرد عليها رداً علمياً مقنعاً، وأشهر تلاميذه وأصحابه الذين ساعدوه في أداء رسالته، وخلفوه في توجيه الشعب والبلاد.

الفصل الأوّل

تطويره لمجمع دار المصنّفين

بدرت فكرة دار المصنفين في ذهن العلامة شبلي النعماني سنة ١٩١٠م، فقد كانت له رغبة شديدة في أن يكون لدى المسلمين مجمع علمي على غرار المجامع العلمية في أوروبة. وكان يحرص على تدريب المتخرجين في دار العلوم لندوة العلماء حتى ينشؤوا أكفاء في مجال الكتابة والتأليف.

إن تقرير دار العلوم الذي قدمه شبلي في اجتماع ندوة العلماء المنعقد في دهلي ورد فيه بشأن حاجة ندوة العلماء إلى خزانة للكتب: «إن كنا حريصين على الحفاظ على دين المسلمين وعلومهم، وتاريخهم القومي، فإنه من الواجب إذاً أن ننشئ خزانة للكتب تتوفر فيها مصادر العلوم الدينية القيمة النادرة، وثروات العلوم والفنون الإسلامية، وكتب كل صنف من أصناف العلم وتطوراته، وآثار المتقدمين وذكرياتهم، وأن لا تكون هذه الخزانة ملكاً لأحد، بل تكون وقفاً على المسلمين في الهند، ولا سيماالكتاب والمؤلفين.

إن اقتراح تأسيس دار للتأليف في دار العلوم لندوة العلماء، والتي لا يُعنى أعضاؤها إلا بدراسة الكتب والتأليف على غرار المجامع العلمية في أوروبة لن يتحقق إلا إذا أنشئت خزانة للكتب كبيرة»[1].

وكان شبلي أعطى تلميذه الناشئ سليمان موضوع (الحاجة إلى خزانة كبرى في دار العلوم لندوة العلماء) للحديث في هذا الاجتماع، وسأله أن يقترح في محاضرته إنشاء دار المصنفين، وطبعت محاضرة السيد سليمان هذه في مجلة (الندوة)، وورد في آخرها:

«إن نوع العلماء الذين تنوي ندوة العلماء تخريجهم يظهر من مشروعها أن يشتغل طلابها بالكتابة والتأليف بعد العالمية أو التكميل، وأن تؤسس هيئة للكتابة والتأليف على مستوى عالٍ، تبعث الحياة في العلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ولا خفاء في أن هذا الهدف الجليل لن يتحقق حتى تتوفَّر في رحاب دار العلوم خزانة فخمة تحتوي على جميع الكتب القيمة النادرة.

إن كتاب (الفاروق) يعتبر أفضل ما ألف باللغة الأردية عن سير الأعلام، لكن كما تعلمون إن هذا الكتاب الممتد إلى خمسمئة صفحة لم يؤلف إلا بعد استنفاد الخزائن العلمية في الهند، ومصر، وإسطنبول، لا يقدر كل كاتب أو مؤلف أن يطوي الأرض لتأليف كتاب، الأمر الذي

---

(١) حياة شبلي، ص٦٨٨ ـ ٦٨٩.

يشرح سـبب قلة صدور المؤلفات القيمة في بلادنا، فإن أنشأ الشـعب خزانـة تحتوي على جميع الكتب والمؤلفات الإسلامية اللازمة فإننـا سنتأكد من توفر كنوز الكتب القيمة في اللغة الأردية، وسيتجسد مشروع تخصيص عدد من طلاب دار العلوم البارزين للكتابة والتأليف، الأمر الذي يحتاج إليه شعبنا احتياجاً شديداً، أن يشيّد في الموقع الجديد لدار العلوم مبنى فخم لخزانة كبرى تخصص فيه قاعة كبيرة للكتّاب والمؤلفين، وأن تطور اللغة الأم التي مهدها دهلي بهذه المؤلفات، وأرى من المناسب أن يساهم جميع كتاب الهند ومؤلفيها في الإنفاق عليها، وأن تسمّى هذه المؤسسة دار المصنفين»[١].

كتب الأمير مزمل الله خان في آب ـ أغسطس سنة ١٩١٠م بمناسبة إكرامه بالخطاب الرسمي، إلى العلامة شبلي أنه سيقوم ببناء غرفة في دار العلوم في ذكرى مؤلفات شبلي، فكتب شبلي في عدد آب ـ أغسطس ١٩١٠م من مجلة (الندوة):

«قد كتب الأمير إلي أنه يريد أن يبني غرفة في دار العلوم في ذكرى مؤلفاتي، أي قيمة لمؤلفاتي؟ إنَّ الأمير محب للعلم، فوجد حيلة لرعاية العلم. لكني أريد أن يشيد في دار العلوم مبنى باسم (دار المصنفين) يخصص للكتابة والتأليف، ويقصده الكتَّاب من الخارج، ويقيمون به إن شاؤوا، توفر لهم فيه جميع التسهيلات، وتهيـأ لهم الكتب من العلـوم

---

(١) حياة شبلي، ص٦٨٩ ـ ٦٩٠.

والفنون كلها، لما كانت خزانة ندوة العلماء متجهة إلى تطور سريع، والمتخرجون من نـدوة العلماء ناشـئون على ذوق خاص من الكتابـة والتأليف، فإني أرى اقتراح (دار المصنفين) لائقاً مناسباً، إننا نلتمس من الأمير مزمل الله خان أن يحوِّل مبلغه إلى هذه الجهة، وبشرط أن يتشجع كذلك غيره من أثرياء البلاد ومحبي العلم والعلماء، ويدعموا هذا المشروع، فإن تشييد المبنى وتجهيزه يتطلب عشرة آلاف روبية»[١].

ولكن ظهرت خلافات في ندوة العلماء، ولم تتطور هذه الفكرة، واستقال شبلي من عمادة شؤون دار العلوم التعليمية في تموز ـ يوليو سنة ١٩١٣م، وعادت إليه فكرة (دار المصنفين) مرة أخرى، وقدمها إلى الشعب الهندي عن طريق صحيفة (الهلال) في سنة ١٩١٤م، وكان شبلي يريد إنشاءها في رحاب دار العلوم لندوة العلماء، ولم يرض المسؤولون عنها بذلك، ولكن الله تعالى قضى أمـراً كان مقدوراً، فقد توفي أخوه الأصغر محمد إسحاق في آب ـ أغسطس سنة ١٩١٤م، واضطر شبلي إلى الإقامة في أعظم كره، فقرر أن يجعلها مركزاً لجميع أنشطته العلمية والتعليمية، فكتب إلى الأستاذ مسعود عالم في ٤ أيلول ـ سبتمبر ١٩١٤م: «إني سأفتتح هنا فصل التكميل، فأخبرني بأسماء الطلاب، وسلهم أن يكاتبوني»[٢].

---

(١) حياة شبلي، ص٦٩٠ ـ ٦٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٩٦.

وبعد ذلك وقف شبلي قصره وحديقته لدار المصنفين، وقام بالتنسيقات اللازمة واختيار الطلاب الأكفاء.

كان شبلي يعاني من المرض، وكان قد يئس من حياته، فأراد أن يبحث عن رجال أكفاء يخلفونه في أعماله، فكتب إلى العلامة حميد الدين الفراهي ـ رحمه الله في ١٦ تشرين الأول ـ أكتوبر سنة ١٩١٤م قبل وفاته بشهر واحد:

«إذا صححت يومين مرضت أربعة أيام، لكن لست عاجزاً عن الحديث، يظنون أن لا داء بي ولا مرض، قد اختل جهاز الجسم، وأصابني الآن برد شديد، يا للأسف البالغ على أني لم أتمكن من إنجاز تأليف (سيرة النبي) ولا أرى أحداً يقوم بهذا العبء، وإذا أسست (دار المصنفين) فمن يديرها غيرك؟ سيعودني اليوم السيد سليمان، وبعد يوم أو أيام سيزورني بعض طلاب التكميل، لكن المرض يحبط جميع المشروعات»[١].

كان العلامة قد يئس من حياته، فلف جميع مسودات (سيرة النبي) في ثوب وأقفل عليها في رف، وأوصى أقاربه أن يسلموها إلى العلامة حميد الدين الفراهي والعلامة السيد سليمان الندوي، ولا يسلمونها إلى غيرهما أبداً، وأرسل في ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩١٤م قبل

---

(١) حياة شبلي، ص٧٢٢ـ٧٢٣.

وفاته بأيام برقيات إلى الإمام حميد الدين الفراهي بحيدر آباد، ومولانا أبو الكلام آزاد بكلكتة، والسيد سليمان الندوي ببونة، ولكن العلامة السيد سليمان الندوي خرج بدافع من نفسه إلى زيارة أستاذه في اليوم نفسه قبل أن يتلقى البرقية، فلما وصل إليه في ١٠ تشرين الثاني-نوفمبر، كان العلامة قد فقد قوته، يقول السيد سليمان الندوي:

«وقفت على رأسه وعيناي تفيضان دمعاً، ففتح عينيه ونظر إلي في حسرة ويأس، وأشار بيديه ماذا الآن؟ ثم كرر هذه الكلمة بلسانه، فناولوه بعض الأدوية حتى جرت قوة في جسمه، فضم يدي بيديه وقال: إن (سيرة النبي) عصارة حياتي، اعكف على إتمامها، وانقطع إليها، فقلت في صوت نشيج: إي والله، إي والله»[١].

ووصل مولانا حميد الدين الفراهي مساء السادس عشر من تشرين الثاني-نوفمبر فدعاه والسيد سليمان الندوي صباح السابع عشر، ونطق لسانه ثلاث مرات: السيرة... السيرة... السيرة، وأشار بإصبعه إلى تأليف موسوعة (سيرة النبي)ﷺ والاشتغال بها عن جميع الشؤون، كانت هذه هي وصيته الأخيرة، ثم توفي هذا الإمام العلم ضحوة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة وألف ببلدة أعظم كره عن سبع وخمسين سنة، ودفن بناحية من منزل شبلي

---

(١) حياة شبلي، ص٧٢٤.

حيث كانت رجله دفنت قبل ذلك بثمانية أعوام[1].

فخلف السيد سليمان شيخه شبلياً في تأليف (سيرة النبي)، وتطوير مجمع شبلي (دار المصنفين) تطويراً علمياً، كما قام الأستاذ مسعود علي الندوي بالإشراف على شؤونه الإدارية. واستقال السيد سليمان من كلية بونة، ووقف حياته على بناء هذا المجمع العلمي.

إن ما قام به السيد الندوي مثال رفيع للتضحية بالمصالح والطموحات الشخصية في سبيل العلم والمعرفة، فقد كان أستاذاً في بونة، يتقاضى راتباً محترماً، ووصل إلى أعظم كره حيث المستقبل مجهول، ولكن الله تعالى بارك فيه وفي أعماله، فأصبح هذه المجمع أكبر مركز علمي في شبه القارة الهندية في وقت قصير، وأصبح السيد سليمان مرجعاً للعلماء والباحثين، وموئلاً للكتاب والمثقفين، وملاذاً للقادة السياسيين.

عقد أول احتفال لدار المصنفين في ٢٥ أيار ـ مايو سنة ١٩١٥م تحت إشراف العلامة حميد الدين الفراهي، والعلامة السيد سليمان الندوي، والأستاذ مسعود علي الندوي، وتم اختيار الأعضاء المؤسسين لها، وهم:

---

(١) انظر كتاب (شبلي النعماني: علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد) ص٥٩ و٦٥، للمؤلف، وهو من سلسلة أعلام المسلمين رقم ٨٣. (الناشر)

١ ـ العلامة حميد الدين الفراهي رئيس دار المصنفين .

٢ ـ العلامة السيد سليمان الندوي أمينها العام .

٣ ـ الأستاذ مسعود علي الندوي مدير دار المصنفين .

٤ ـ الأستاذ حامد النعماني نجل العلامة شبلي النعماني .

٥ ـ الأمير الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني .

٦ ـ الأمير السيد علي حسن خان، من لكنو .

٧ ـ الأستاذ الشيخ عبد القادر من بونة .

٨ ـ الدكتور محمد إقبال الشاعر من لاهور .

٩ ـ الأمير عماد الملك السيد حسين البلكرامي من حيدر آباد .

١٠ ـ الشيخ عبد الله العمادي .

١١ ـ الأستاذ عبد الماجد الدريابادي .

وقام هذا المجلس بصياغة منهج دار المصنفين وبنوده، وابتدأ المجمع في أيار ـ مايو سنة ١٩١٥م. وكان من الرجال الذين أعدَّهم شبلي للكتابة والتأليف الأستاذ عبد السلام الندوي، فاستدعي إلى دار المصنفين، وهكذا اجتمع أصحاب شبلي لتحقيق الحلم الذي رآه شيخهم. وبدؤوا بنشر مؤلفات شبلي. ثم نشر (سير الصحابة) و(أرض القرآن) و(مكاتيب شبلي).

طبع الجزء الأول لسيرة النبي في آب - أغسطس سنة ١٩١٨م، وتلقته الهند كلها بشوق كبير، وكانت سلطان جهان بيكم أميرة بوفال هي التي تولت دعم هذا المشروع تأليفاً وطباعةً، وأحضر لها السيد سليمان نفسه هذه الهدية القيمة.

كتب في افتتاحية (المعارف) عدد أيلول - سبتمبر سنة١٩١٨م: «وصل الجزء الأول من (سيرة النبي) إلى المتطلعين إليه بعد انتظار شديد لأربع سنوات ووفرة المصاعب والمشاكل... وأحضرت في ١٦ آب - أغسطس سنة ١٩١٨م نسختين من (سيرة النبي) إلى ذلك الجناب الذي كانت العيون فيه أشد شوقاً إليه، أي الأميرة سلطان جهان بيكم أميرة بوفال خلد الله ملكها، فتشرفت بزيارتها حسب الموعد، وكانت هذه مناسبة ثانية لزيارتها، فأخذت النسختين بيديها الميمونتين، وقالت: الحمد لله على إنجاز هذا العمل الجليل، ثم ألقت نظرة على فهرس الموضوعات، وقالت: «إذا كان الفهرس طويلاً إلى هذه الغاية فكيف بالكتاب، فقلت: هذا الجزء ليس إلا سدس الكتاب، ثم تحدثتْ عن القضايا القوميـة والتعليمية والدينية طويلاً».

كانت طباعة الأجزاء الأخرى تتطلب مطبعة مستقلة، وكان السيد الندوي قد وجه نداء لجمع مبلغ ثلاثة آلاف روبية من أجل المطبعة، فتكرمت الأميرة في هذه الرحلة بثلاثة آلاف روبية للمطبعة.

كان إمارة حيدرآباد قد أجرت ثلاثة آلاف روبية شـهرياً لشبلي

النعماني، فلما توفي صرف نظام الدكن هذا المبلغ إلى دار المصنفين، فقدمت إليه كذلك نسخة من (سيرة النبي) وتقبلها بكل محبة وتقدير، وقال: «إنني لن أشتغل بشيء حتى أنتهي من مطالعة هذا الكتاب».

وبلغ صيت دار المصنفين ذروته إلى سنة ١٩٢٢م، فقد قامت بنشر (سيرة النبي) للعلامة شبلي، وبعض مؤلفات السيد سليمان الندوي، والأستاذ عبد السلام الندوي، والأستاذ عبد الباري الندوي، والأستاذ محمد يونس الفرنكي محلي، والشيخ عبد الماجد الدريابادي، وأصبحت دار المصنفين محط آمال العلماء والباحثين.

كان العلامة شبلي قد ألف الجزء الثاني من (سيرة النبي)، ولكنه لم يتمه، فقام السيد سليمان بإتمامه، ونشر هذا الجزء سنة ١٩٢٠م. وفي سنة ١٩٢٤م تمت طباعة الجزء الثالث من (سيرة النبي)، و(سيرة عائشة).

يقـول الأستاذ شمـس تبريز خان: «قويت أسس دار المصنفين بطباعة (سيرة النبي) ونشرها، وهي مؤسسة علمية مثالية فريدة في شبه القارة الهندية، فمنشوراتها العلمية والتاريخية صانعة للتاريخ، وخارقة للزمان، وتقاليدها العلمية القديمة مفخرة للمسلمين في الهند بل وللعالم الإسلامي بأسره»(١).

يقول الأستاذ عبد القدوس الهاشمي: «إن دار المصنفين مجمع

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٧٠.

علمي فريـد، ملأ اللغة الأرديـة بالجواهر والدرر الفذة من المؤلفات العلمية، لا يضاهيه أي مجمع علمي، لم يقدم هذا المجمع المؤلفات فحسب، بل إنه أنشأ في العلماء ذوقاً رفيعاً للبحث والتحقيق ومستوى أعلى للكتابة والتأليف، وقام بإعداد جماعة من الكتاب والمؤلفين»[1].

ولما هاجر السيد الندوي إلى باكستان سنة ١٩٥٠م، ظل وثيق الصلة بدار المصنفين، ومعنيّاً بتطورها، ومهتماً بتقدمها، وكتب إلى تلامذته في دار المصنفين: «كانت دار المصنفين ذكرى لرجل واحد، ولكنها الآن ذكرى لرجلين»[2].

مجلة (المعارف):

كانت مجلة (الندوة) الصادرة في دار العلوم لندوة العلماء أفضل مجلة علميـة أدبية عرفتها أرض الهند، ولكنها توقفت بعد أن استقال شبلي من دار العلوم. وكان من مشاريع شبلي في دار المصنفين إصدار مجلة علمية على غرار (الندوة) وكان قد اختار لها اسم (المعارف). فلما اجتمع أصحابه في دار المصنفين أسسوا أولاً مطبعة المعارف في دار المصنفين في حزيران-يونيو ١٩١٦م، وافتتحوا إصدار مجلة (المعارف) في تموز - يوليو ١٩١٦م، وكان السـيد سـليمان الندوي أول رئيـس

---

(١) مجلة بياد علامة سيد سليمان ندوي، ص١٠.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٧٧.

لتحريرها، فكتب في افتتاحيته الأولى:

«إننا نستهل هذه المجلة في شهر رمضان المبارك، لأن كتابنا الباني للعلوم والمعارف أنزل في هذا الشهر الأبرك، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]».

إننا ندخل مرة أخرى على الشعب بعد رحيلنا من (الندوة) بخمسة أو ستة شهور، ونزجي إليه هدية أخرى باسم (المعارف).

إن البلاد يزداد جمودها على الأيام تجاه الشؤون العلمية، وإن المثقفين بالثقافة الجديدة الذين كانوا محط آمالنا بؤساء لا يقدرون على حماية كوخهم البالي فضلاً عن أن يقوموا بتشييد مبنى جديد، كنا نرجو من العلماء الكرام أن يقوموا بهذا الواجب خير قيام، لأن ثقافتهم لا تطمح إلى كسب حطام الدنيا والوظائف المكتبية، والخطابات الرسمية، ولكن فروع (الدر المختار) وفتاوى (التاتارخانية) لا تدع لهم فرصة.

ومن ثَمَّ كان حضرة الأستاذ العلامة المرحوم شبلي النعماني يرى - إلى جانب تأسيسه لدار المصنفين - إصدار مجلة علمية دينية شهرية باسم (المعارف). ولكن الله توفاه إلى رحمته قبل أن يحقق هذه الآمال.

كان أصحاب شبلي قد قرروا إحياءً لذكرى هذا العالم الكريم أن يحيوا أعماله كلها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وقد مضت سنتان في تأسيس دار المصنفين وإنشائها، فلما فرغنا من ذلك تذكرنا الواجبات الأخرى، وكان من بين هذه الواجبات إصدار مجلة (المعارف)، وكنا قد

قدرنا مدى استعداد البلاد لدعم مجلة علمية خاصة، إلا أن كل واحد مسؤول عن واجبه.

إن الأفكار التي تتسرب في البلاد عن العلم والدين زائغة عن الوسطية، فمن الناس من أعجبته العقلانية فلا يستحيي من الاستهزاء بالدين وعلومه، ونجد في الجهة الأخرى السواد الأعظم من الناس من أنصار الدين وأعوان العلوم الدينية، الذين ينكرون العقل والعلم، والمصالح والحكم، والفلسفة والأسرار، وتنشر في البلاد كل يوم المقالات والكتابات التي تمثل الجهتين، أما جماعتنا فهي تنادي بالإصلاح بين الناس، وتهتم بالجهتين، إنها ترحب بالأفكار الجديدة والأبحاث المبتكرة، ولكنها لا تريد أن تخسر بها كنوز السلف، يغلبنا الضحك على أولئك الأغمار الذين يشترون بمتاع حياتهم كل بريق من سوق الإفرنج، إنها تريد قبل الدخول في عقد لشراء شيء أن تعرف إذا كان ذلك المتاع متوفراً في أنفاق سلفنا، وأطلالهم، وكنوزهم الدفينة.

أيُّ أبله يرضى بأن يبحث تائهاً في الشوارع والأسواق عما يحويه كنز بيته؟!!.

كما لاننكر أن الزمان قد تغير، والناس مقبلون على تغيير هيئاتهم، فالطبائع، والمدنية، وأساليب الاجتماع، وطرق التجارة، ومناهج الحديث كلها تطورت تطوراً كبيراً، فإن جلسنا اليوم في شارع ضيق من شوارع دهلي القديمة لبيع الإكسير في دكان صغير في لغة ولي الدكني

ومظهر جان جانـان، فمن الذي يشـتريه؟ هذا هو وضع علومنا وآدابنا الماضية، يجب علينا أن نأخذ متاعنا هذا ونعرضه بأساليب جديدة في متجر جديد.

ولكي نستسيغ موضوع هذه المجلة وهدفها، ينبغي لنا أن نفترض لوقت قصير أن هذا العصر قائم بجميع متطلباته ومقتضياته، ويعايشه أسلافنا بدلاً من جيلنا نحن، فانظروا ماذا تكون مهام هذه الجماعة؟.

لا حاجة إلى القياس والظن، بل يمكن أن يجاب عن هذا السؤال في ضوء المبادئ والخبرات، إن مآثر علماء السلف ومفاخرهم جلية للعيـون والأبصار، كل واحد يعرف أن جميع العلوم الإسـلامية كانت بسيطة وذات وجه واحد إلى قيام الدولة العباسية، فلما حدثت متطلبات جديدة مع قيام الدولة العباسية ظهرت ثورة، فنشأت جماعة عنيت بنقل العلوم والفنون من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وقامت جماعة أخرى بصبغ العلوم الإسلامية بالألوان المختلفة، فتحولت العقائد إلى علم الكلام، والعربية إلى البلاغة والمعاني، ودخلت في أصول الفقه استدلالات منطقية، واختلط التفسير بالفلسفة، واستفاد علم الفرائض من مبادئ الحساب الدقيقة، ولكن مع ذلك فأسلافنا لم تستعبدهم هذه العلوم والأفكار، بل أصلحـوا أخطاءها، وميزوا ما فيها من الفسـاد والسقم، واستأصلوا ما اصطدم منها بمعتقدات الإسلام.

إننا نواجه اليوم وضعاً مماثلاً، وحالة متقاربة، فقد صاغ الغرب

معظم العلوم والصناعات صياغة جديدة، وظهرت الفلسفة في ثوب جديد، وانقلب المنطق انقلاباً كبيراً، وتغير أسلوب البلاغة والمعاني، وتحول التاريخ إلى فلسفة، وظهرت الحاجة إلى ألوف من المناقشات الجديدة في العلوم الدينية، ويتطلب اختلاف الأسلوب والتعبير تهذيباً جديداً لها وصياغة معادة.

يمكن أن نقول بناء على المثال السابق: إن أسلافنا لو بعثوا اليوم لعاملوا العلوم والصناعات المستحدثة كما عاملوا العلوم والفلسفات القديمة، ودونوا علم الكلام في ضوء الفلسفة الحديثة، وغيروا مناهج التاريخ والرواية، وقرروا ماذا يقبل وإلى أي حد؟ وكيف ترقع البحوث الجديدة مع العلوم القديمة؟ وكيف يمكن أن يغير مسار العلوم القديمة؟ لا شك أنه ليس لدينا اليوم أمثال الغزالي والرازي والبيروني وابن الهيثم وابن خلدون والمقريزي، ولكن لا يعني ذلك أن نتخلى عن واجباتنا، بل ينبغي لنا أن نبذل ما في وسعنا.

كانت دار المصنفين نتيجة لأفكار شبلي هذه، وإننا نريد أن نباشر العمل في ضوء هذه الأهداف وفق طاقاتنا وصلاحياتنا.

ففي ضوء ما قدمنا من أفكار تتلخص أهداف مجلة (المعارف) فيما يلي:

أن تقدم إلى الشعب مبادئ الفلسفة الحديثة، وأن تدعم المعتقدات الإسلامية بالبراهين العقلية، وأن تصوغ العلوم القديمة صياغة جديدة،

وتدوّن تاريخ العلوم الإسلامية، وتحدد أصولها، وما زاد المسلمون عليها، وتدون العلوم الدينية وتطوراتها ومراحلها المختلفة، وأن تؤلف سير أعلام السلف الصالح مع التركيز الخاص على اجتهاداتهم ومعطياتهم، وأن تعرض المؤلفات العربية النادرة مع وصف صادق لها، وشرح ما أودعها أسلافنا من جواهر ودرر، وأن تقدم مقالات تحقيقية عن المسائل الأدبية والتاريخية والحضارية والخلقية التي نشأت عن القرآن الكريم.

لئن اقتنعنا بهذه الأهداف لكانت تكفينا، ولكن لمّا كانت هذه المواضيع جافة رتيبة فإننا سنعالج جفافها بتقديم المقالات عن الشؤون الأدبية، والقضايا المعاصرة، وعرض المطبوعات الجديدة ونقدها، والاستفسارات العلمية.

صدرت مجلة (المعارف) في وقت كانت البلاد بحاجة إلى مجلة رفيعة المستوى، فاستقبلها العلماء والمثقفون استقبالاً حسناً، ورحب بها الأدباء والباحثون ترحيباً حاراً، وأشادت بها المجلات والصحف الشهيرة إشادات كبيرة، ونقلت مقتبسات منها، فكتب السيد سليمان في افتتاحية كانون الثاني ـ يناير سنة ١٩١٧م:

«إن ما لقيته مجلة(المعارف) من الإعجاب والتقدير من قبل كثير من المجلات والصحف الشهيرة لمما يشجعنا، ويشرفها معظم المعاصرين بنسخ مقالاتها في صحفهم ومجلاتهم، وتحترمها وتجلها

الطبقة المتنورة والمحبة للعلم من البلاد، ومع ذلك فلسنا جاهلين بمعايبنا، واستمعنا بآذان صاغية إلى توجيهات بعض أصدقائنا».

افتتاحيات المجلة:

وكان السيد الندوي يكتب افتتاحيات مجلة (المعارف) باسم (الشذرات) يناقش فيها القضايا المعاصرة الدينية والعلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية، فهي موسوعة للمواضيع المختلفة تتضمن تاريخ أوضاع الهند والعالم الإسلامي والحركات الدينية والسياسية والاتجاهات الفكرية المختلفة لمدة خمسة وثلاثين عاماً.

يقول الأستاذ معين الدين أحمد الندوي: «إن شذراته معلمة للأدب والإنشاء مع عمق الدراسة والتفكير، وصحة الآراء، وصرامة الأفكار مع الإيجاز والبلاغة»[١].

مقالاته في مجلة (المعارف):

وإلى جانب افتتاحيات المجلة لم يأل السيد الندوي جهداً في كتابة المقالات العلمية والأدبية فيها، والتي ترتفع إلى أعلى مدارج البحث والتحقيق، والإمتاع العقلي، والإقناع الفكري، يقول السيد صباح الدين عبد الرحمن: «دبج يراعه في مجلة (المعارف) مقالات تمتد إلى نحو

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢١٠.

ألفي صفحة، تتصل بالموضوعات المختلفة التي تتصل بالدين، وعلم الكلام، والتحقيق، والتاريخ، والأدب، والسياسة، والنقد...»[1].

شهرة المجلة والإقبال عليها:

ونالت المجلة قبولاً كبيراً في الدوائر العلمية، وتخطى صيتها حدود الهند إلى بلدان العالم الإسلامي وأوروبة، وبدأ كثير من المستشرقين الكبار يشيدون ببحوثها النقدية، ومقالاتها العلمية، وجمعها بين العلوم الشرقية والغربية.

يقول الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن: «إن ما قامت به هذه المجلة العلمية من إنشاء الذوق العلمي الرفيع، وتعليم الكتاب مناهج البحث والتحقيق في الكتابة والتأليف، والرد على المستشرقين والمنحرفين من أبناء الإسلام في هجماتهم على الإسلام ليس إلا من أفضال السيد الندوي، فلو لم يعمل شيئاً غير إدارة مجلة (المعارف) لكفته لتخليد اسمه»[2].

كتب الدكتور الشاعر محمد إقبال إلى السيد الندوي: «إني أحب مجلة (المعارف) بصفة خاصة، ولا سيما مقالاتك التي تحفل بالمعاني، وتتسم بالجمال الأدبي»[3].

---

(١) (العلامة السيد سليمان الندوي) محاضرة ألقاها السيد صباح الدين عبد الرحمن في بوفال، ص٦.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٤١.

(٣) مجلة صد ساله يوم بيدائش علامة سيد سليمان ندوي، ص٧١.

وكتب إقبال إليه مرة أخرى: (المعارف) مجلة تزيد مطالعها حرارة في الإيمان[1].

وكتب إليه أبو الكلام آزاد: «ماذا نقول بالنسبة للمعارف؟ هذه هي المجلة الوحيدة، فلا صوت إلا صوتها، الحمد لله على أن تطلعات المرحوم العلامة شبلي لم تذهب سدى، وظهر بفضل جهودك مركز وُقِفَ لخدمةِ العلمِ والكتابةِ والتأليف»[2].

نجاح دار المصنفين:

لما توفي شبلي لم تكن دار المصنفين إلا فكرة في ذهنه، أو خطة على ورقة، فتقدم السيد الندوي نحو بنائها وتشييد مبانيها، حتى صارت دار المصنفين أفضل مجمع علمي للمسلمين في الهند، وقام بإصدار مجلة (المعارف) التي خضع العلماء والباحثون لمستواها العلمي الرفيع، ومكانتها الأدبية الفريدة.

ومما يجدر بالذكر هنا أن دار المنصفين لم تزل تشتغل منذ أول يوم من تأسيسها إلى يومنا هذا دون انقطاع، كما أن مجلة (المعارف) واصلت منذ صدورها عملية تثقيف الباحثين، وتغذيتهم بالمقالات العلمية،

---

(١) مجلة صد ساله يوم بيدائش علامة سيد سليمان ندوي، ص٧١.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٧.

والتحقيقات القيمة النادرة، ولا تزال محتفظة بمستواها الرفيع، واستمرارها مع الأوضاع التي يمر بها المسلمون في الهند مأثرة كبرى لهذه الدار.

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «كان المريض المحتضر شبلي يرى الأمر يزداد سوءاً، وأنه يخلّف بعده أعمالاً بل وحسرات من الآمال، فتقدم التلميذ النجيب الرشيد وأقام القصر المتداعي، كان الأمر قد فسد فأصلحه خلال لحظة، كان شيخه خطط نظاماً للعاملين باسم دار المصنفين، وكانت له مطامح، ولم يزد على رسم الخطة على الأوراق، أما المبنى فشيده كله سليمان الندوي، وأدى حق ندويته، أنشأ دار المصنفين منذ سنة ١٩١٥م، وأصدر (المعارف) خلفاً لمجلة (الندوة) ونعمت البدل، إن ما حققه هذا المجمع العلمي وهذه المجلة خلال خمسة أو ستة وثلاثين عاماً لا يتصل بالماضي بل بالحاضر، لا بالخبر بل بالمشاهدة، ولا بالسمع بل بالرؤية، كان هذا السعيد قد قضي له أن يحظى بهذا الكنز الكبير للأدب الإسلامي»[١].

ويقول الشيخ محمد إكرام: «أصبحت أعظم كره تحت قيادة السيد الندوي أكبر مركز قومي للكتابة، والتأليف، وصارت (المعارف) أكبر مجلة علمية في التأثير والنفوذ»[٢].

---

(١) وفيات ماجدي، ص٧١.
(٢) موج كوثر، ص٢٤٦.

ويقـول الأستـاذ شمس تبـريـز خـان: «إن الخـدمـات الـرائعـة والتذكارية التي قدمتها دار المصنفين نحو العلم والدين والشعب والبلاد منذ خمس وستين سنة في تواصل واستمرار، وعلى مستوي رفيع عال تستحق منا جميعاً التقدير والاعتزاز بها، لا تزال هذه المؤسسة متجهة نحو الأمام في تحقيق الأغراض السامية والعزائم العالية للعلامتين شبلي وسليمان الندوي من بعث الثقافة الإسلامية، وتوسعيها، ونشرها، والرد على المستشرقين والعقلانيين، ونقدهم، كما أن هذه المؤسسة أحرزت السبق والتقدم في مراعاة مقتضيات العصر في اللغة والأدب، والبحث والتحقيق وكتابة التاريخ»[1].

ويقول الدكتور محمد إلياس الأعظمي: «إن المستوي التحقيقي الرفيع، والمنهج التأليفي الفريد، والأسوب الكتابي الفذ الذي تميزت به دار المصنفين في خدماتها للعلوم والآداب طوال خمسة وثمانين عاماً من حياتها، من الصعب أن يوجد له نظير في العالم الإسلامي، وحسـبها شهادة على هذه الدعوى أنها أصدرت أكثر من مئتين وخمسين كتاباً حـول موضوعات القرآن، والحديث، والسـيرة، والآداب، وتاريخ الإسلام، وتاريخ الهند، وتاريخ العلوم والآداب الإسلامية، والحضارة والمدنية الإسلامية»[2].

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٧٢.

(٢) مجلة (فكر ونظر) عدد ربيع الأول ـ جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

إصدارات دار المصنفين:

وأثبت هنا قائمة لأهم إصدارات دار المصنفين العلمية على اختلاف موضوعاتها:

١ ـ ففي سيرة النبي ﷺ:

(سيرة النبي) في سبعة أجزاء كبار للعلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي، و(رحمة العالم) للسيد سليمان الندوي، و(محاضرات مدراس) له.

٢ ـ وفي سير الصحابة رضي الله عنهم:

(الخلفاء الراشدون) للشيخ الحاج معين الدين الندوي، و(المهاجرون) الجزء الأول له، و(المهاجرون) الجزء الثاني للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(سير الأنصار) جزءان للشيخ سعيد الأنصاري، و(سير الصحابة) (الإمامان حسن وحسين)، و(معاوية بن أبي سفيان)، و(عبد الله بن الزبير) رضي الله عنهم، للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(سير الصحابة) يشتمل على ترجمة (٢٥٠) صحابياً أسلموا بعد فتح مكة رضي الله عنهم للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(سير الصحابيات) للشيخ سعيد الأنصاري، و(أسوة الصحابة) جزءان للشيخ عبد السلام الندوي، و(أسوة الصحابيات) للشيخ مجيب الله الندوي.

٣ ـ وفي سير التابعين وأتباعهم:

(التابعون) للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(أتبـاع التابعين) الجزء الأول للشـيخ مجيب الله النـدوي، والجزء الثاني للدكتور محمد نعيم الصديقي الندوي.

٤ ـ وفي تاريخ الإسلام:

(تاريخ الإسلام) أربعة أجزاء: الجزء الأول عن الخلافة الراشدة، والجزء الثاني عن بني أميـة، والجزءان الثالث والرابع عن بني العباس، كلها للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(تاريخ الدولة العثمانية) جزءان للدكتور محمد عزيز، و(تاريخ صقلية) جزءان للسيد رياست علي الندوي و(تاريخ الأندلس) له، و(الإسلام والحضارة العربية) للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(دول العرب الحاضرة) له، و(رجال الفكر والدعوة) الجزءان الأولان للسيد أبي الحسن علي الندوي، و(النظام السياسي للإسلام) للشيخ محمد إسحاق السنديلوي، و(دولتنا) للشـيخ عبد السلام القدوائي الندوي، و(الملاحة عند العرب) للسيد سليمان الندوي، و(شجاعة نساء الإسلام) له، و(التسامح الديني في الإسلام) للسيد صباح الدين عبد الرحمن، و(الحروب الصليبية) له، و(مسلمو الصين) لبدر الدين الصيني.

٥ ـ وفي تاريخ الهند:

(تاريخ السند) جزءان للسيد أبي ظفر الندوي، و(موجز تاريخ

الهند) له، و(موجز تاريخ كجرات) له، و(تاريخ كجرات الحضاري) له، و(الصلات بين الهند والعرب) للسيد سليمان الندوي، (والهند في عين العرب) جزءان للأستاذ ضياء الدين الإصلاحي، و(قصة الهند) للشيخ عبد السلام القدوائي الندوي، و(مدارس الهند الإسلامية القديمة) للشيخ أبي الحسنات الندوي، و(محفل آل تيمور)، و(المحفل المملوكي)، و(ورائع حضارية لعهود الملوك المسلمين في الهند)، و(لمحة من العهود الوسطى للهند) و(نظرة على علاقات السلاطين والعلماء والمشايخ في الهند) و(النظام العسكري للهند في العهود الوسطى)، و(المعالم الحضارية لعهود الملوك المسلمين في الهند)، و(العهد المغولي في أعين المؤرخين المسلمين والهندوس)، و(التسامح الديني للملوك المسلمين في عهود الهند الماضية) ثلاثة أجزاء، و(القصص الصادقة من محفل الهند الغابر) جزءان، و(مشاعر الحب والولاء للهند في العهد المغولي)، و(الهند في عين الأمير خسرو)، و(المسجد البابري)، كلها للأستاذ صباح الدين عبد الرحمن.

٦ ـ وفي أعلام المسلمين:

(المأمون) جزءان، و(الفاروق) جزءان، و(سيرة النعمان)، و(سيرة العارف جلال الدين الرومي)، و(الغزالي) جزءان، كلها للعلامة شبلي النعماني و(سيرة عائشة) و(حياة الإمام مالك) و(الخيام)، و(حياة شبلي) كلها للسيد سليمان الندوي، و(سيرة عمر بن عبد العزيز)

و(الإمام الرازي) و(ابن خلدون) و(إقبال الكامل) كلها للشيخ عبد السلام الندوي، و(حياة حكيم الأمة أشرف علي التهانوي: انطباعات وارتسامات) للشيخ عبد الماجد الدريابادي، و(ابن رشد) للشيخ محمد يونس الفرنكي محلي، و(حياة سليمان) للشيخ معين الدين أحمد الندوي، و(في ذكرى محمد علي)، و(الأمير الصوفي خسرو)، و(السيد محمود)، كلها للسيد صباح الدين عبد الرحمن، و(مذكرات محمد علي) للأستاذ عبد الماجد الدريابادي، و(صاحب المثنوي) للقاضي تلميذ حسين، و(الأستاذ أبو الكلام آزاد) للأستاذ ضياء الدين الإصلاحي، و(الشيخ العارف معين الدين الجشتي)، و(الشيخ أبو الحسن الهجويري)، و(نظرة على العلامة شبلي) كلها للسيد صباح الدين عبد الرحمن، و(ياد رفتكان) للسيد سليمان الندوي، و(حكماء الإسلام) للشيخ عبد السلام الندوي، و(بزم رفتكان) للسيد صباح الدين عبد الرحمن.

٧ ـ وفي دراسات العلوم والآداب وتاريخها:

(مقالات شبلي في الدراسات القرآنية)، و(مقالات السيد سليمان الندوي في الدراسات القرآنية)، و(أرض القرآن) للسيد سليمان الندوي، وأجزاء من (تفسير نظام القرآن) للأستاذ حميد الدين الفراهي، و(جمع القرآن) للسيد صديق حسن، و(تعليم القرآن) للشيخ محمد أويس النجرامي، و(المفسرون في الهند) للأستاذ محمد عارف العمري و(تاريخ الحديث والمحدثين) ثلاثة أجزاء كبار، للأستاذ ضياء الدين

الإصلاحي، و(تاريخ الفقه الإسلامي) للشيخ عبد السلام الندوي، و(المطلقات ونفقاتهن) للشيخ محمد عمير الصديق الندوي، و(تذكرة الفقهاء) له، و(الكلام)، و(علم الكلام) للعلامة شبلي النعماني، و(رسالة أهل السنة والجماعة) للسيد سليمان الندوي، و(الكتاب الأول في الفلسفة) للدكتور مير ولي الدين، و(بركلي) للأستاذ عبد الباري الندوي، و(روح الاجتماع) للشيخ محمد يونس الفرنكي محلي، و(نيتشه) للأستاذ مظفر الدين الندوي، و(المصير والمشيئة) لظفر حسين خان، و(انقلاب الأمم) للشيخ عبد السلام الندوي، و(تاريخ الأخلاق الإسلامية) له، و(التربية الاستدلالية) للشيخ عبد السلام الندوي، و(نظام التعليم الإسلامي) للسيد رياست علي الندوي.

٨ ـ وفي أدب اللغة الأردية وتاريخها:

(الغزل باللغة الأردية) للدكتور يوسف حسين خان، و(شعر الهند) جزءان للشيخ عبد السلام الندوي، و(إقبال الكامل) له، و(مقالات أدبية) له، و(كل رعنا) للعلامة السيد عبد الحي الحسني، و(انتخابات شبلي)، و(كليات شبلي) كلاهما جمع السيد سليمان الندوي، و(غالب في ضوء مدح المادحين ونقد الناقدين) جزءان للسيد صباح الدين عبد الرحمن، و(الأهمية الحضارية للغة الأردية) لعبد الرزاق القرشي، و(الميرزا مظهر جان جانان) له، و(نقوش سليماني) للسيد سليمان الندوي، و(الخدمات العلمية والدينية للسيد سليمان

الندوي) للسيد صباح الدين عبد الرحمن، و(دراسة لمؤلفات السيد سليمان الندوي) له.

٩ ـ وفي الأدب الفارسي:

(شعر العجم) خمسة أجزاء للعلامة شبلي النعماني، و(خريطة الجواهر) لميرزا مظهر جان جانان، جمع الشيخ معين الدين أحمد الندوي.

١٠ ـ وأما مطبوعاتها باللغة العربية فهي:

(تفسير أبي مسلم الأصفهاني) جمع الشيخ سعيد الأنصاري، و(أقسام القرآن) للعلامة حميد الدين الفراهي، و(الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) له، و(أجزاء من تفسير نظام القرآن) له، و(الانتقاد على التمدن الإسلامي) للعلامة شبلي النعماني، و(ديوان الفيض) للأستاذ فيض الحسن السهارنفوري، و(أبو العلاء ما له وما عليه) للشيخ عبد العزيز الميمني، و(الإسلام والمستشرقون)، و(دروس الأدب) للسيد سليمان الندوي[١].

* * *

(١) هذه القائمة مستفادة من مقال للدكتور محمد إلياس الأعظمي في مجلة (فكر ونظر) عدد شهر ربيع الأول ـ جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

الفصل الثاني

عمادته لشؤون ندوة العلماء التّعليميّة

كانت محبةُ السيد سليمان لندوة العلماء ودارها للعلوم طبيعيةً، فقد تخرج فيها، ونال فيها تربيته العلمية، وقام بالتدريس فيها، وكان شيخه شبلي عميداً لشؤونها التعليمية، فلما أسست دار المصنفين تم اختيار السيد سليمان عميداً لشوؤنها التعليمية سنة ١٩٢٣م، وكانت أشغاله في دار المصنفين لا تسمح له بالإقامة الدائمة في لكنو، ولكن مع ذلك كان يزورها كل شهر أو شهرين.

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «ظل السيد الندوي من إعجابه الكبير بشيخه الشهير العلامة شبلي النعماني ومحبته له داعياً متحمساً ومحامياً نشيطاً لحركة ندوة العلماء طول حياته، واضعاً إصلاح منهجه التعليمي وتطويره نصب عينيه، ولم يزل كخبير في مجال التعليم يساهم إلى جانب إصلاح المناهج التعليمية للمدارس والجامعات في تكوين النظام التعليمي لندوة العلماء وتأليفه، وتوجيه طلابها وشيوخها، وبناءً

على اهتمامه بهذه الحركة التعليمية ونصحه لها تم اختياره عميداً لشؤونها التعليمية لما توفي الأمين العام لندوة العلماء السيد عبد الحي الحسني سنة ١٩٢٣م وخلفه الأمير السيد علي حسن خان»[١].

وأهم الخدمات التي قام السيد الندوي بها تجاه ندوة العلماء هي:

إصلاح المناهج الدراسية:

كان شبلي أول من نادى بإصلاح النظام التعليمي وتطوير المناهج الدراسية في الهند، وقام بتطبيق أفكاره في دار العلوم لندوة العلماء خلال توليه منصب عمادة شؤونها التعليمية، ولكنه لم ينجح في تطبيقها تطبيقاً تاماً، فلما تولى السيد سليمان تابع خطوات شبلي الإصلاحية.

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «إنه قام كعالم يقظ واسع الدراسة وعميق النظر، وأخصائي في التعليم بالمشاركة الفعالة في تحقيق وإكمال أهداف ندوة العلماء التعليمية والبنائية، فجدد مناهجها التعليمية، وطور مقرراتها الدراسية، وزاد فيها أشياء نافعة طبقاً لمقتضيات العصر، وأعاد وضع دساتيرها ونظامها للإدارة، وساهم بنشاط في تطوير أقسامها وتوطيد دعائمها»[٢].

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٧٧.
(٢) المرجع السابق نفسه.

استدعاء أساتذة أكفاء:

ومن أهم ما قام به توفير أساتذة أكفاء لدار العلوم، فاستدعي إليها الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي خلال هذه الفترة، والذي قام بتحويل دار العلوم لندوة العلماء إلى مركز كبير لتعليم اللغة العربية وآدابها.

حشد المساعدات المالية:

وكان دائم الاهتمام بشؤون دار العلوم المالية، ورغّب الأثرياء في دعمها ومساعداتها، وكان من ثمار مساعيه أن قدم تاجر مدراس الشهير عبد الحكيم خمسة آلاف روبية لندوة العلماء[(١)].

تشييد المباني:

وفي عهده تم تشييد بعض المباني في دار العلوم كمسجدها، والقاعة العباسية، ودار إقامة للطلاب.

اجتماعات ندوة العلماء:

كانت أهم مصادر شهرة ندوة العلماء ودخلها اجتماعاتها السنوية التي كانت قد توقفت منذ فترة طويلة، فأثر ذلك في دخلها وشهرتها،

---

(١) انظر: مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٤.

فقام السيد الندوي بإحياء اجتماعاتها السنوية.

عقد اجتماعها السنوي سنة ١٩٢٥م في لكنو تحت رئاسة الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني، وقرر في هذا الاجتماع اقتراح توفير خمسة عشر ألف جنيه من كل ولاية من ولايات الهند لتشييد دار إقامة لطلابها، وقام السيد الندوي نفسه بجولة في ولاية بهار مدنها وقراها، وجمع مبلغاً كبيراً.

كتب السيد الندوي في مجلة (المعارف) عدد آذار ـ مارس سنة ١٩٢٥م:

«عقد في ٩ ـ ١١ شباط ـ فبراير سنة ١٩٢٥م الاجتماع التاسع عشر لندوة العلماء في لكنو، لا شك أن تفاصيلها مرت بكم عن طريق الصحف والجرائد. لا نستطيع أن نزعم أن الاجتماع كان ناجحاً بالنسبة لعامة الحضور، ولكنه جلب إليه العلماء وخواص الناس والمتألمين لشؤون المسلمين، شاهد الشعب نتائج جهود بعض مخلصيه، وأعرب عن طمأنينته، ووعد بالدعم، فهذا نجاح كبير حققه هذا الاجتماع».

وبعد ذلك كثرت الطلبات لاجتماعات ندوة العلماء في مدن مختلفة، وأجاب المسؤولون طلب أهالي بنجاب، وعقد الاجتماع في أنبالة في تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩٢٥م تحت رئاسة الحاج السيد رحيم بخش، ومن الذين حضروه من كبار علماء الهند: العلامة السيد

سليمان الندوي، والشيخ الكبير ثناء الله الأمرتسري، والشيخ محمد الجوناكرهي، والشيخ أحمد سعيد رئيس جمعية العلماء، والشيخ مناظر أحسن أستاذ الحديث في الجامعة العثمانية بحيدرأبار، والشيخ المفتي عبد اللطيف أستاذ التفسير في الجامعة العثمانية، والأمير حبيب الرحمن خان الشرواني، والأمير حسام الملك السيد علي خان، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي، والشيخ فاخر الإله آبادي، والشيخ حبيب الرحمن اللديانوي، والقاضي محمد سليمان البتيالوي صاحب (رحمة للعالمين)، والشيخ عبد الرحمن النكرامي الندوي، والأستاذ مسعود علي الندوي، والشيخ حفيظ الله شيخ المدرسين بدار العلوم لندوة العلماء، والسيد عطاء الله البخاري، والشيخ إكرام الله خان الندوي، والأمير احتشام علي الكاكوروي وغيرهم من كبار العلماء والأشراف.

وقد وافق الاجتماع على عدة اقتراحات، منها اقتراح يلقي الضوء على الأهداف التي رمت إليها ندوة العلماء، تقدم به السيد سليمان الندوي، وهذا الاقتراح هو: «دعت ندوة العلماء منذ عشرين سنة العلماء الكرام وعامة المسلمين إلى أن نوقف الأساليب الخاطئة والمناهج الضارة لمنازعاتنا الطائفية ومجادلاتنا المذهبية التي تنمي التفريق بين المسلمين وتشتت شملهم، فيعرب هذا المجلس عن أسفه البالغ على المنازعات المذهبية المنتشرة بطرق سيئة بين العلماء وعامة المسلمين،

ويدعو إلى الحذر من مثل هذه الطائفية المخزية بين المسلمين»[1].

وعقد الاجتماع الحادي والعشرون السنوي لندوة العلماء في تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩٢٦م في مدينة كانبور بدعوة من أحد أثريائها الحافظ حليم تحت رئاسة الحكيم أجمل خان، وكان من المقترحات في هذا الاجتماع: الدعوة إلى التوحيد والتصالح بين علماء المسلمين، وتطبيق أحكام المواريث المتعلقة بالنساء، وطلب مئتي ألف روبية لمباني دار العلوم[2].

وعقد الاجتماع السنوي الأخير لندوة العلماء في تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩٢٧م في أمرتسر، شارك فيه السيد الندوي بنشاط، وركز بصفة خاصة على إعداد الدعاة والمعلمين[3].

مجلة (الضياء):

ومما يمتاز به عهد السيد سليمان لعمادة شؤون ندوة العلماء التعليمية هو العناية باللغة العربية نطقاً وكتابة، يقول الشيخ مجيب الله الندوي: «لقد تطورت ندوة العلماء في جميع أقسامها تطوراً كبيراً في عهد السيد الندوي، ولكن العناية بالأدب العربي والكتابة العربية نمت

---

(١) مجلة (المعارف) عدد كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٢٥م.

(٢) انظر: مجلة (المعارف) عدد تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٢٦م.

(٣) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٧٩.

وتقدمت تقدماً هائلاً تحت رعايته، وأنتجت ندوة العلماء رجالاً أكفاء باللغة العربية وآدابها تعجز عامة المدارس والمعاهد في الهند عن أن تأتي بنظراء لهم»[1].

ومن أهم خطواته في هذا السبيل هو إصدار مجلة (الضياء). وهذه المجلة هي التي يدين لها العلامة أبو الحسن الندوي، والأستاذ مسعود عالم الندوي، والأستاذ محمد ناظم الندوي وغيرهم في تنمية سليقتهم العربية في الكتابة، وهذا الاهتمام باللغة العربية وآدابها، والقدرة عليها نطقاً وكتابة مستمر ومتواصل في دار العلوم لندوة العلماء إلى يومنا هذا.

يقول السيد الندوي بمناسبة إصدار أول عدد من المجلة وهو يلقي الضوء على حاجة الهند إلى مجلة عربية مع إعرابه عن الأسف البالغ على النفقات الباهظة في تعليم اللغة العربية:

«هذا، ولكن هذه الأموال المنفقة، والجهود المخصصة تكاد أن تذهب سدى، ولا تأتي بجدوى، لأن جو الهند غير عربي، تكدر فضاءها زعازع هوجاء من العلوم الإفرنجية والآداب الإنكليزية، فتحدق بالطلاب الصحف الأردية، والجرائد والمجلات الإنكليزية، وترد عليهم النشرات الأردية والإنكليزية تترى، فلا تدع لهم جانباً فارغاً للعربية، فلا تجد في الهند صحيفة عربية يقرؤونها ولو مرة في الشهر، ويكتبون فيها ولو مرة

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٧٦.

في السنة، فيتمرنون على الإنشاء العربي ويحذقون فيه، وتسهل عليهم الكتابة باللغة العربية، ويستطيعون إبداء المعاني العلمية غير الخيالية التي يقرؤونها في الكتب، فيخيل إليهم من سحرها أنهم في جيل غير جيلهم، ويقتدروا على إبراز المعاني المستحدثة في حلل تسر الناظرين، وتجري أقلامهم في نقد السياسة والأخلاق، ونشر التربية والتعليم، وسرد الأنباء والحوادث، وقرض الشعر ونسج الأدب، ويضربوا بسهم وافر في معرفة الآداب العربية المستطرفة المستظرفة، ويتمكنوا من الخوض في كل موضوع، والاستغراف من كل حوض، وتكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية، فتقوى بها بينهم وسائل التعارف والتداني، ووسائط التصافح والتصافي، ولا تغني عنهم الجرائد والمجلات العربية التي تجلب من البلاد الأجنبية، لبعد شقتها وغلاء أثمانها، واختلافها عن ذوق متعلمي العربية بالهند، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد.

فذلك ما دعانا إلى إصدار مجلة عربية، واضطرنا أن نتحمل هذا العبء الثقيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ولقد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة، ونصبنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث، ونعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسعى، وكبوة القدح، فكان أحد سلفنا رحمه الله أصدر جريدة (الرياض) فظهرت وأزهرت، ثم تقلبت بها الرياح فأصابها إعصار من نار الفقر فاحترقت، وتلتها مجلة (البيان) فقضت من عمرها

سنين، ثم أناخ الدهر عليها بكلاكله، فخرست عن النطق، ثم جاءت على فترة من رسل الكلام (الجامعة) لأبي الكلام، فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمعها، وشتت شملها، فذهبت مساعيها أدراج الرياح، وغيرها من الصحف العربية التي لم ترزق إلا لشهر أو شهرين، فنخشى علينا ما أصابهم من خيبة الأمل وقرب الأجل.

وليس لدينا قوة لنقتحم بها هذه العقبات، إلا التوكل على الرحمن، ولا من زاد لهذا السفر الشاسع إلا الثقة بنصرٍ من الخلاّن، ولا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة إلا حسن الظن بناصري العربية في هذه البلدان، فمن أحسن إلينا فأجره على الله، إن الله يحب المحسنين.

وليحتسب حماة العربية في الهند أن خلو جوها من صوت صحيفة عربية عارٌ لها غير ظاهر، فكم من لغات ميتة تدون لها في هذه البلاد ألسنة حال تنطق، وعيون حياة لها تتدفق، وما ذلك إلا بناصر من الدعاية، وهاجس في صدورهم يحس بفرض الكفاية، وكم من بلاد مثل أمريكة فيها جالية من العرب يقل عددهم عن عارفي اللغة العربية في الهند، ولهم صحف سائرة، فالرجاء من القائمين بالمعاهد العربية، ومدرِّسيها الكرام، وأساتذتها الفخام، وتلاميذها النجباء، ومحبيها الأخيار، أن يأخذوا بأيدينا، وينصروا من ليس له قوة ولا ناصر، وما النصر إلا من عند الله، وهو العزيز الحكيم.

وليعلم أن المجلة في مواد بحثها، ومواضيع إنشائها تنحصر في

علـوم الدين، وفنون العلم وآداب اللغة، وطرق التربية والتعليم، وما يناسبها من المسائل والأخبار، وأنها لا تعزو نفسها إلى معهد دون معهد، ولا تتعصب لأحد على أحد، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار.

ونرجو أساتذة العرب، وجهابذة نقدة الأدب، ولا سيما أمراء القول من العرب، ومالكي أزمة البيان منهم أن يسبلوا علينا ذيل الستر، ويمنوا علينا بغض البصر، فلسنا إلا متطفلين على مائدتهم، ومتكففين لرفادتهم، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً»[١].

يقول العلامـة أبو الحسن علي الندوي وهو يتحدث عن صدور مجلة (الضياء): «كان ذلك تجديداً لذوق السيد الندوي العلمي والأدبي القديم، وتعبيراً لرؤياه القديمة عن إصدار مجلة عربية، صدر أول عدد منها في محرم سنة ١٣٥٢هـ الموافق لشهر أيار ـ مايو سنة ١٩٣٢م، وكتب السيد الندوي افتتاحيتها وأجاد، وهي أفضل نموذج لإنشائه العربي»[٢].

دوره في إحياء رسالة ندوة العلماء:

ظل السيد الندوي طوال حياته يُعنى بشؤون دار العلوم، وكلما

---

(١) مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١هـ، ص٧ـ٩.
(٢) المصابيح القديمة: ١/ ٢٢.

زارها قام بتدريس الطلاب الموضوعات المختلفة من العربية، والفلسفة، والكلام، والحديث النبوي الشريف، كما كان له اهتمام كبير بتربيتهم العلمية والدينية، وكان يبذل لهم توجيهات رشيدة تنفعهم في مستقبلهم، وكان يختار من بينهم طلاباً أكفاء للتدريب على التأليف والكتابة في دار المصنفين، وكان من ثمرات تربيته أن ظهر من بين أبناء ندوة العلماء كتاب مؤلفون في جميع مجالات العلوم الإسلامية.

يقول الشيخ مجيب الله الندوي: «قام السيد الندوي بإحياء حركة ندوة العلماء في نظرتها التكاملية والشمولية والوسطية إلى نصف قرن تقريباً، بل وقام بتوسيع نطاقها، وساهم بكل إخلاص في القضاء على التفرقة بين القديم والجديد والعصبية المذهبية للعلماء، وجمعهم على رصيف واحد»[1].

تمثيله لمنهج ندوة العلماء:

كان السيد الندوي أكبر ممثل لندوة العلماء طول حياته، وكان الناس يرونه بهذه الرؤية، فما دعت ندوة العلماء إليه من الجمع بين العلوم، والوسطية، والاعتدال، وعدم العصبية للمذاهب الفقهية والاتجاهات الفكرية، ومخاطبة الناس بلغتهم وأسلوبهم تجده قد تمثّل في السيد الندوي خير تمثل.

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٥٦.

يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي وهو يتحدث عن مكانة السيد الندوي في علوم القرآن الكريم وعلوم الحديث النبوي الشريف: «وكان هذا المنهج في تفسير آيات القرآن والاستفادة من الأحاديث النبوية الشريفة منهجاً اختارته دار العلوم لندوة العلماء في تدريس العلمين الشريفين وهو منهج ينفع في مجال التربية الإسلامية، وتزكية الرجل المسلم في سيرته، وقد ظهر نفعه بصورة واضحة في العلماء الذين تربوا في ندوة العلماء على هذا المنهج الكريم»(١).

قدمته الأخيرة إلى دار العلوم:

ولكن لما هاجر السيد الندوي إلى باكستان أصاب دار العلوم ما أصاب دار المصنفين من حرمان رعاية هذا الأب الحنون، والعلامة الخبير، ولما قام بالزيارة الأخيرة للهند سنة ١٩٥٣م اجتذبته قوة ندوة العلماء المغناطيسية إليها فزارها، وقابله طلابها مقابلة الأبناء لأبيهم العائد بعد طول غيبة، وقابلهم بعين دامعة وقلب حزين، وعقدت جمعية الإصلاح حفلة للترحيب به في القاعدة الجمالية، فامتلأت القاعة بالحضور، فلما دخلها السيد الندوي ألقى نظرة متحسر على المبنى، وأنشد في صوت شجي البيت التالي بالأردية، معناه: «إني قدمت إلى بيتي، ولكن انظروا إلى وضعي، كأني قدمت ضيفاً زائراً» فبكى واستبكى،

---

(١) من رسالة لشيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، كتبها إلي من لكنو في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ.

ثم ابتدأت الحفلة بتلاوة آي من الذكر الحكيم، فلما قرأ التالي: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] غاب الحضور عن أنفسهم، وفقدوا وعيهم، ولم يملك السيد الندوي نفسه، فجرت الدموع، ثم قدم رسالته الأخيرة إلى طلاب دار العلوم.

فضل حركة ندوة العلماء وتأثيرها:

وأختم هذا الفصل بذكر فضل حركة ندوة العلماء وتأثيرها في المعاهد التعليمية في الهند كما يراه السيد سليمان الندوي، يقول: «وعلى ذلك مايؤلمنا ذكره، ويشوكنا نشره أن هؤلاء الجم الغفير، والعدد الوفير أكثرهم بكمٌ عن التكلم باللغة العربية، ولهم عيٌّ عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة، فضلاً عن الخطابة فيها مرتجلين، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الفقه أو أبحاث سمجة في المنطق تمجها الآذان، ولا تسمن ولا تغني من جوع العلم، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الأردية، فلا يقرأونها فيستفيدون، فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم، وينمو شأنه كل صباح ومساء، وزادك أسفاً لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة، وما فيها من الكتب السقيمة ذات الأساليب الرميمة.

وأول من تنبه لسد هذا الخلل، وملافاة هذا الخطأ دار العلوم التي

أسســتها ندوة العلماء بلكنو، فأفرغت جهدها في تعليم اللغة العربيـة قديمها وحديثها كتابة وخطابة، وزادت في قائمة دروسها كتب الأدباء المُجيدين، من السلف الكرام المَجيدين، الذي كتبهم ينبوع الأدب، ومـادة لغة العرب، مثل مصنفات ابن قتيبـة الدينوري، وعبد القاهـر الجرجاني، وقدامة بن جعفر البغدادي، وأبي هلال العسكري، والجاحظ البصري، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع.

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين، وألفت معجماً جديداً يتضمن شرح الكلمات الدخيلة والمعرّبة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية، وعينت معلماً خاصاً لتعليم اللغة الحديثة فيها

وآثرت لتعليم الآداب العربية رجالاً معروفين من العرب أنفسهم، لكون اللغة لهم طبعاً وذوقاً، ولنا تكلفاً وتعمقاً، فأسندت أولاً رئاسة أساتذة اللغة العربية إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمد دايب المكي، ثم إلى الأستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني، رحمهما الله تعالى، وأخيراً يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي[1].

---

(١) مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١هـ، ص٥ـ٦.

ويقول السيد سليمان الندوي: «وقد كان لمسعاها دوي في سائر أنديـة المدارس العربيـة، وأخذت تبذل ما في وسـعها من الجهد في مباراتها، والحق أحق أن يقال: إنه بعد ما تملك صديقنا العزيز، ورفيقنا في طلب العلم، ورديفنا في تلقي الدروس، وشـريكنا في الشـيوخ، وأولنا في الجمع بين علوم الشرق والغرب، الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي زمام تفتيش المدارس العربية ورئاسة امتحاناتها في ولايات بلادنا المتحدة، صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشـرقية طـور آخر، ودور زاه زاهر، فإنه أدخل فيها تعديلات نافعة، واتخـذ لإصلاح أمرها تدبيرات ناجعة، فجعلها متسقة النظم، متحدة النظام، وانتقى لها مناهج درس وقوائم كتب تضمن بالنجاح، وتؤذن بالفلاح، فجعل فيها لأدب العرب محلاً يليق به، وألزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية.

وكذلك فعلت رئاسة المدارس العربية في ولاية بنجاب، فجعلت الكتابة والإنشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية، التي لا غنى عنها لطالب.

وتلتها الجامعات الإنكليزية الرسمية، فإنها أدخلت تحسينات نافعة في فرعها العربي، بأيدي أساتذة فضلاء في العلوم العربية، نالوا شـهادات الدكتوراه من جامعات ألمانية وإنكلترة، ولهم أيادٍ بيض في

استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة، وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال، ولجامعتي لاهور وداكة خطوة في هذا السبيل بعيدة الشوط، وتبعتها جامعات إلٰه أباد ولكنو وببتنة وكلكتة، واهتمت بها من المعاهد العربية التي للحكومة، الكلية الشرقية بلاهور، ومدرسة شمس الهدى ببتنة، والمدرسة العالية بكلكتة.

وأشد الجامعات الإنكليزية اعتناءً باللغة العربية جامعة داكة، فإنها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الإنكليزية، وتمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول للناجحين في العلوم الإنكليزية المحضة، من الوظائف والمناصب. أما جامعتنا الإسلامية بعلي كره فأرادت أن تقتفي أثر جامعة داكة فتجعل للعلوم العربية وآدابها فرعاً خاصاً، فأنشأت لجنة لتحقيق أمنيتها، ونيل بغيتها، وعسى أن يأتي سعيها بأثر يُذكر وعمل يُشكر. وأما الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن فهي أكثر الجامعات إنفاقاً على فرعها العربي، وأشدها اهتماماً بأمره، وإكراماً للناجحين في علومه وآدابه، وأسخاها منحاً بالمناصب والوظائف لهم(١).

* * *

---

(١) مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١هـ، ص٦ ـ ٧

الفصل الثالث

ردّه على الاستشراق

يعد شبلي النعماني من الرواد الذين انتبهوا لخطر الاستشـراق، ومكايد المستشرقين، فقام بالرد عليهم رداً علميـاً مقنعاً، كما كشـف النقاب عن طواياهم الخبيثة، وكراهيتهم الشديدة للإسلام ديناً وحضارة وتاريخاً، وخلف في ذلك آثاراً علمية خالدة، ودرَّب تلاميذه وأصحابه حتى يتابعـوا هذه الفتنـة بعده، ويؤدوا فريضـة حماية الإسلام من كيد أعدائه، وكان على رأس تلامذته السيد سليمان الندوي، الذي درس الاستشراق والمستشرقين دراسة عميقة، ويدل على ذلك مقاله العلمي القيم عن تاريخ المستشرقين، والذي طبع في أعداد مجلة (الندوة) لشهر تشرين الأول ـ نوفمبر سنة ١٩١١م، وشهر أيار ـ مايو سنة ١٩١٢م. استعرض فيه أولاً بداية الاستشراق، وتاريخ مستشرقي أوروبة قبل سنة ١٨٠٠م، وقدم دراسة وافية لمستشرقي فرنسة، وألمانية، وإنكلترة، وسويسـرة، وهولندة، والنمسـة، والدنمارك، وإسـبانية، والبرتغال، وإيطالية، ثم قام بدراسة الاستشراق والمستشرقين من سنة ١٨٠٠م إلى

سنة ١٨٣٠م، ثم من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٥٠م، ثم من سنة ١٨٥٠م إلى سنة ١٨٨٠م، وهذا الاستعراض الذي قدمه السيد الندوي استعراض علمي دقيق يتسم بالعدل، فلم يبخس فيه حق المستشرقين، بل اعترف بفضلهم فيما قاموا به من طباعة ونشر بعض المخطوطات القيمة، وما قاموا به من بعض البحوث العلمية النافعة، ولكن جانبهم الإيجابي لم يخدعه، بل أشار إلى ما أراد المستشرقون من إثارة الشكوك والشبهات من وراء هذا الستار باسم البحث والتحقيق والعلم والأدب.

موقفه من المستشرقين:

وكان موقفه من المستشرقين موقفاً عادلاً متزناً، يقول في إحدى كتاباته: «إذا كان علماء أوروبة وفروا في جهة الثقافات الحديثة، ونشروا كتاباتهم في أسلوب جديد، فإن العلوم الإسلامية وقيمتها لفتت أنظارهم، وجعلت جماعة باسم المستشرقين العناية بالعلوم العربية وآدابها ونشرها نصب عيونها ومرمى حياتها، تستحق نشاطاتهم القيمة هذه الشكر والعرفان منا، ولا يخفى أن هذه المعارف ليست بمعارفهم، فلا يحملون لها محبة ولا ولاء، فإن كانت كتاباتهم وبحوثهم تسدي نفعاً، فإنها كذلك تتمخض عن أضرار كبيرة يجب على المسلمين استدراكها، ومن بين هؤلاء المستشرقين جماعة تتعصب للديانة المسيحية والفكر الغربي، وتشن من هذا الاتجاه هجمات عنيفة على العلوم الإسلامية، والحضارة

الإسلامية، والمدنية الإسلامية، وتستهدف القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتصوف الإسلامي، وسير الأعلام، وأسماء الرجال، وعلم الكلام والعقائد وغيرها من علوم الإسلام، لا يمكننا أن نقدِّر مدى الخسارة التي سببتها الكتابات الأوروبية تجاه الإسلام، ولا تزال تسبب، فإن ترك هذا السم لينتشر، ولم يصنع له ترياق، فلا ندري مدى تسربه إلى عقول المسلمين وأفكارهم[١].

المستشرقون ومكتبة الإسكندرية:

من التهم التي افتراها المستشرقون كذباً وزوراً أن المسلمين أحرقوا مكتبة الإسكندرية البطليموسية الفخمة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فرد العلامة شبلي النعماني على هذه الفرية رداً علمياً في ضوء التاريخ ووفق أصول الرواية، وأثبت أن النصارى أحرقوا هذه المكتبة قبل الإسلام بدهر، وطبعت رسالته باللغات الأردية والإنكليزية والعربية، وكشف شبلي أن مصدر هذه الفرية هو أبو الفرج الملطي نصراني، وهو حاقد على الإسلام والمسلمين، ألف تاريخاً بالسريانية، ثم نقله إلى العربية صاحب مختصر الدول، وهذا هو أول كتاب ينسب إحراق المكتبة إلى المسلمين، وأما أصله السرياني فليس فيه ذلك لهذا الخبر.

---

(١) الإسلام والمستشرقون: ٥/ ٣ ـ ٤.

فقام جرجي زيدان في الجزء الثالث من كتابه (التمدن الإسلامي) بإثارة هذه الفرية، وزعم أنه رد على شبلي، فقام السيد سليمان الندوي باستعراض شامل لمزاعم جرجي زيدان وغيره من المستشرقين، وكشف عن دسائسهم، وافتراءاتهم في أسلوب علمي مقنع، وأن بطريق الإسكندرية المتعصب طيافليس هو الذي هدم هذه المكتبة بأمر الملك النصراني طودوسيس سنة ٣٩١م، وأنشأ مكانها كنيسة، كما استشهد بأقوال كثير من علماء أوروبة الذين أكدوا في كتاباتهم أنها كانت قد هدمت قبل الإسلام بدهر، وأن النصارى هم الذين هدموها، ومن بين هؤلاء العلماء الأوروبيين: المؤرخ الشهير كبن، ورينان الفرنسي، والمؤرخ الشهير داربر، والدكتور كستاولي بان، وسيديو، ومؤلفو جيمرس أنسيكلوبيدية، وباحثو دائرة المعارف البريطانية، وجورج وايت، وديون، وغيرهم[١].

الإسلام ومحبة الله:

ومن الشبهات التي أثارها المستشرقون أن الإلـه الذي يدعو إليه المسلمون يتصف بصفات القهر، والجلال، والجبروت، والغضب، فيجب على الناس أن يخافوا هذا الإلـه ويحذروا منه، بينما تصفه الديانة

---

(١) انظر مقال السيد سليمان الندوي (مستشرقو أوروبة ومكتبة الإسكندرية) في مجلة (الندوة) عدد كانون الأول ـ ديسمبر سنة ١٩١١م.

المسيحية بالمحبة والشفقة والرحمة، ومن ثم تناديه بالأب، فكتب السيد سليمان مقالاً علمياً في مجلة (المعارف) عدد تموز - يوليو ١٩٢٣م تحت عنوان (الإسلام ومحبة الله)، استعرض فيه أولاً تعاليم النصرانية وغيرها من الديانات نحو علاقة الله بعباده، ثم ذكر ما فيها من إفراط وتفريط، وطغيان لجانب على آخر، بينما يتصف الإسلام بالاتزان والعدل، وذكر أن كلمة (الله) كذلك تدل على المحبة، ثم ذكر صفات الله تعالى التي تدل على محبته لعباده مثل: الرحمن، والرحيم، والكريم، الودود، والولي، والرؤوف، والغفار، والغفور، والمؤمن، والعدل، والعفو، والوهاب، والحليم، والصبور، والتواب، والبر، والمقسط.

ثم يقول السيد الندوي:

«تابعوا صفحات أسفار التوراة وصحف الإنجيل، هل تجدون فيها هذه الكثرة لصفات الله الدالة على محبته ورأفته، وكرمه ووده، لا يبيح الإسلام إطلاق كلمة (الأب) أو (الأم) على الله تعالى كما فعلته الديانات اليهودية والنصرانية والهندوسية، ولكن الإسلام ليس بفاقد لعواطف المحبة والكرم التي تحتكرها هذه الطوائف الدينية لأنفسها، الحق أن الإسلام إلى جانب شعوره بهذه العواطف الروحانية والمشاعر المعنوية يريد أن يحمي الإنسان من ضلالات الشرك والكفر، فما أسرع الناس إلى إرادة الحقيقة بالمجاز، وتحويل المعاني الروحية إلى الأجسام المادية».

ثم ذكر السيد الندوي الفروق العلمية بين كلمتي (الأب) و(الرب)

وأوضح أن كلمة (الأب) لا تسمو إلى المعاني الشاملة الدقيقة التي توحيها كلمة (الرب).

ثم استدل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على الاتصال القريب بين الإنسان وربه في الإسلام، وأن هذه العلاقة لا تقاربها أي علاقة في العالم.

ويختم هذا البحث القيم بقوله: «ليدرس الأستاذ نكلسون هذه الصفحات بإمعان النظر، صحيح أن الإسلام يؤمن بغضب الله كما يؤمن برأفته، ولكن هل تدرون النسبة بين رأفة الله وغضبه في عقيدة الإسلام؟ يقول الله تعالى: «رحمتي سبقت غضبي»[1].

هذه نماذج يسيرة من متابعة السيد الندوي لحركة الاستشراق ورده على المستشرقين، فمؤلفاته ومقالاته مليئة بالبحوث القيمة النادرة التي تكشف النقاب عن وجه الاستشراق البغيض، وتزيح الستار عن ضعف المستشرقين في اللغة العربية، وعدم تمكنهم من مصادر الإسلام الأصيلة، وتعمدهم الكذب على الإسلام والمسلمين، وافتراءهم ضد هذا الدين وأهله، وحسدهم على ما آتاه الله المسلمين من فضله.

* * *

---

(١) حديث قدسي متفق عليه.

الفصل الرابع

تلاميذه

كان التدريس أحد الاهتمامات العلمية التي ظل السيد الندوي ملازماً لها طول حياته، فقد قام بالتدريس في دار العلوم لندوة العلماء، ثم في كلية بونة، ثم في دار المصنفين، وفوق ذلك فقد عني بتربية الطلاب وتدريبهم على مختلف العلوم والصناعات، والكتابة والتأليف، يقول الأستاذ سعيد أحمد الأكبر أبادي: «من الجوانب اللامعة النيرة لخدمات السيد الندوي العلمية والدينية العملاقة أنه لم يقتصر على نفسه، بل قام بإعداد جماعة من خريجي المدارس العربية والعلماء الزاهدين يعدون من حملة الأقلام، وفرسان ميدان العلم والبحث والتحقيق، ومتخصصي العلوم الإسلامية، والمحققين النقاد للشؤون والمسائل الأدبية. والواقع أن الوصول إلى مكانة التأليف والبحث ليس صعباً صعوبة إعداد الكتاب والمؤلفين، وتربية الباحثين المحققين، كان الله قد وهب السيد الندوي هذه الملكة وهذا الذوق مثل العلامة شبلي، كانت فيه روح قوية للإشراف العلمي والتوجيه والتربية»[1].

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٦٦.

يصعب علي استقصاء أسماء تلامذته وأصحابه المستفيدين منه، وإنما أقتصر هنا على ذكر بعض تلامذته المعروفين في الدوائر العلمية والتعليمية والكتابية والتأليفية، وهم:

الأستاذ عبد الرحمن النجرامي:

هو العالم الكبير، الفتى الصالح التقي، الخطيب المصلح الشيخ عبد الرحمن النجرامي الأنصاري الندوي (ت١٣٤٤/ ١٩٢٦) تخرج في دار العلوم لندوة العلماء، صحب العلامة شبلي النعماني وتتلمذ على السيد سليمان الندوي، وتضطلع بالعلوم والفنون، ونال التربية الروحية وإصلاح النفس وفاق الأقران، وانتشر ذكره وذاع صيته وهو شاب، وعرف بالخطابة والكتابة، والتدريس والتأليف، وإصلاح المجتمعات، وقيادة الأحزاب السياسية، وتوجيه حركة الخلافة، ولكنه توفي وهو شاب يافع ابن سبعة وعشرين عاماً، فبكاه العلماء، يقول السيد الندوي: «إني أوكد أن عبد الرحمن كان أفضل من أنجبته ندوة العلماء من العاملين في حقل الإسلام، كان الله قد جمع فيه جميع فضائل العلم والعمل:

لَيسَ علــى اللهِ بِمُسْتَنْكَــرٍ ... أنْ يجمعَ العالمَ في واحدِ[1]

ويقول السيد الندوي: «كان ملكاً في صورة رجل، كان شاباً،

---

(١) يادرفتكان، ص٦٠.

ولكنه سبق الشيوخ بأخلاقه وورعه»[1].

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «اتقد مصباح فانطفأ قبل أن تسطع أضواؤه، وطلعت شمس فغربت قبل أن تشع على العالم، وتفتحت زهرة ثم ذبلت، اخضرَّ نبات ثم اضمحل واستوى على الأرض، ارتفع صوت الحق ولكن تلاشى في الجـو، فتح عبد الرحمن عينيه قبل سبعة وعشرين عاماً في هذا العالم البشري المظلم، فلعله لم يوافقه مناخه، فودعه في الثاني من شعبان سنة ١٣٤٤هـ»[2].

الأستاذ معين الدين الندوي:

هو العلامة الكبير، أديب اللغة الأردية ومنشئها ومؤرخ الإسلام الشاه معين الدين أحمد الندوي من ذرية العارف الكبير أحمد عبد الحق الردولوي العمري (المتوفى سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م) المعروف بشرفه، وتفوقه في الأدب والنقد، واضطلاعه بتاريخ الإسلام، وتواضعه الجم، وغنى النفس، وزهده المثالي، وإصلاحه للبدع والمنكرات.

اختاره السيد سليمان الندوي لدار المصنفين، وقام بتربيته وتدريبه على الكتابة العلمية، وخلف السيد الندوي لما هاجر إلى باكستان في

---

(١) يادرفتكان، ص٦٦.

(٢) وفيات ماجدي، ص٥٤.

قيادة دار المصنفين، ورئاسة تحرير مجلتها (المعارف)، وكتب إليه السيد الندوي في آذار ـ مارس سنة ١٩٥١م: «إن ما قررتموه بالنسبة لدار المصنفين فإني فرح به، وأدعو الله أن يجعله نافعاً لها، إني أرى وجودك وجودي، ورضيت وفرحت بتوليك فرح تولي خليفة في الروح والجسم، إني أشكر الله تعالى أن رأيت في حياتي خريطة ما بعد موتي، قم ما استطعت بهذه الخدمة للدين والشعب، ولا تأل جهداً في تربية زملائك حتى لا ينقطع اتقاد المصابيح، وتستمر سلسلة الأستاذ المرحوم، الحمد لله على أنك حافظت على المستوى العلمي لمجلة (المعارف) وافتتاحياتها، وقلما يقع التمييز بين (س) و(م)، ولله الحمد[١].

وله مؤلفات كثيرة، من أهمها (تاريخ الإسلام) في عدة أجزاء كبار، و(حياة سليمان) في سيرة شيخه السيد سليمان الندوي، مجلد ضخم.

الشيخ محمد أويس الندوي:

هو العالم الكبير المفسر الشهير محمد أويس النجرامي الندوي

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٧٨. كان السيد سليمان الندوي يقتصر على إثبات (س) في نهاية افتتاحية المجلة كرمز لاسمه، فتبعه معين الدين بإثبات (م) الحرف الأول من اسمه.

(ت١٣٩٦هـ =١٩٧٦)، درس في دار العلوم لندوة العلماء، ولازم السيد الندوي واختص به، واستفاد منه في القرآن الكريم وعلومه استفادة خاصة، ودرس في دار العلوم لندوة العلماء.

يقول العلامة أبو الحسن علي الندوي: «استفاد الشيخ محمد أويس الندوي من السيد سليمان الندوي في القرآن الكريم وعلم الكلام استفادة خاصة، ولم يستفد أحد من متخرجي دار العلوم من السيد الندوي في هذين العلمين هذه الاستفادة الطويلة المنسقة والمفصلة التي ظفر بها أويس الندوي»(١).

كانت له عناية كبيرة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وقام بالدفاع عنهما في بيئة الهند المعارضة لشيخ الإسلام، وألف (التفسير القيم) في جمع تفاسير العلامة ابن القيم، وكانت له نية في إفراد تفاسير ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولكن وافته المنية قبل أن تتحق هذه الأمنية.

العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي:

هو العلامة الشريف أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني الندوي (ت١٤٢١هـ= ~~١٩٩١~~م) درس اللغة العربية وآدابها على علامة

---

(١) المصابيح القديمة: ٢/ ٢٥٤.

العربية الشيخ خليل بن محمد اليماني، والعلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي، ودرس علوم الإسلام من التفسير والحديث والفقه، وعني بتاريخ الإسلام بصفة خاصة، وتاريخ الأمم والبلدان، والحضارات والمدنيات بصفة عامة. وأخذ الحديث من العلامة المحدث حيدر حسن خان الطونكي، وحضر دروس العالم الكبير المجاهد الشيخ حسين أحمد المدني في الحديث، واستجاز العلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري صاحب (تحفة الأحوذي). عُيِّن مدرِّساً في دار العلوم لندوة العلماء، ومكث فيها عشر سنوات يدرِّس التفسير والحديث وعلوم اللغة العربية وآدابها، واشتغل بجوار ذلك بالكتابة في مجلة (الضياء) العربية الصادرة في دار العلوم، واشتغل كذلك بالتأليف بالأردية.

درس على السيد سليمان شيئاً من التفسير، والفلسفة القديمة، وقدم السيد سليمان لكتاب أبي الحسن (سيرة السيد أحمد الشهيد) باللغة الأردية، كما صحب أبو الحسن السيد سليمان في بعض أسفاره فاستفاد منه استفادة كبيرة.

التحق الشيخ الندوي بدار العلوم لندوة العلماء سنة ١٩٢٩م، ويتذكر قصة من أيام طلبه يقول: تفضل السيد الندوي مرة إلى حفلة النادي العربي للطلاب، فلما جاءت نوبتي قمت بإلقاء خطبتي مباشرة بدون حمد وصلاة، فذكرنا السيد الندوي بالحديث الشريف الذي جاء

فيه: «كل أمر ذي بال لم يبدأ بالحمد لله فهو أبتر»[1].

الأستاذ مسعود عالم الندوي:

هو العلامة الكبير، أديب العربية، والصحفي البارع مسعود عالم الندوي المتوفى في كراتشي سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م عن أربع وأربعين سنة، درس على كثير من الشيوخ، واختص بالسيد سليمان الندوي، وتقي الدين الهلالي المغربي، وتخرج عليهما، ثم درس في دار العلوم لندوة العلماء، وكان سلفياً في الأصول والفروع، محباً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومدافعاً قوياً عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، كارهاً للاستعمار البريطاني أشد الكراهية، حريصاً على إعادة الخلافة الإسلامية والحكم الإسلامي وعاملاً له، ومجاهداً في سبيله، وكان معجباً بالأمير شكيب أرسلان، والعلامة السيد محمد رشيد رضا غاية الإعجاب.

قرأ على السيد الندوي تفسير جزء من سورة البقرة، وشيئاً من حجة الله البالغة، وأشياء أخرى، واستفاد منه كثيراً، واختاره السيد الندوي لرئاسة تحرير مجلة (الضياء).

وألف أشياء علمية قيمة، منها كتابه الشهير باللغة العربية (تاريخ

---

(١) المصابيح القديمة: ١/ ٢١.

الدعـوة الإسـلامية في الهنـد)، ولما ألف كتـابه عن الشـيخ محمد بن عبد الوهاب كتب الإهداء باسم السيد الندوي.

الأستاذ محمد ناظم الندوي:

هو الأستاذ الكبير محمد ناظم الندوي، تخرج في دار العلوم لندوة العلماء، واستفاد من السيد الندوي والشيخ تقي الدين الهلالي، وكتب في مجلة (الضياء).

قرأ عليه تفسير جزء من سورة البقرة، وشيئاً من حجة الله البالغة، وأشياء أخرى، واستفاد منه كثيراً، ونقل (محاضرات مدراس) للسيد الندوي إلى اللغة العربية باسم (الرسالة المحمدية) كما نقل بعض مقالاته إلى العربية، والتي طبعت في أعداد مجلة (الضياء).

الأستاذ أبو الليث الندوي:

كان اسمه شير محمد، فسماه السيد الندوي أبا الليث، درس في دار العلوم لندوة العلماء، وتخرج فيها، ولازم الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي، والسيد الندوي، واختص بهما، ودرس بدار العلوم، واتصل بحركة الجماعة الإسلامية، وقام بقيادتها في الهند بعد استقلالها، وكان موصوفاً بالإخلاص والتواضع ولين الطبع، وكان يحمل عقلاً كبيراً في حلم وأناة.

قرأ على السيد الندوي تفسير جزء من سـورة البقرة، وشـيئاً من حجة الله البالغة، وأشياء أخرى، واستفاد منه كثيراً، وكان السيد الندوي يحبه حباً كبيراً.

الأستاذ أبو العرفان الندوي:

هو الأسـتاذ الكبير المفسر، الفيلسوف المتكلم أبو العرفان بن الشيخ دين محمد الندوي الجونفوري (ت١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) لم يكن مثله في العلوم العقلية، واللغوية، ودقائق التفسير، والتاريخ ومعرفة الوفيات، وكثرة المحفوظات الشعرية باللغات العربية، والفارسـية، والأردية. تخرج في دار العلوم لندوة العلماء، واستفاد من السيد الندوي استفادة خاصة، ودرس في دار العلوم طول حياته وقام بإدارتها، وقد تشرف كاتب هذه السطور بالتلمذة عليه.

نقل كتاب (الثقافة الإسلامية في الهند) للعلامة الشريف عبد الحي الحسني إلى اللغة الأردية.

* * *

الباب الرّابع

مؤلفات النّدوي

- تمهيد
- الفصل الأول : الدراسات القرآنية
- الفصل الثاني : السيرة النبوية
- الفصل الثالث : التاريخ والأعلام
- الفصل الرابع : الكتابات الأدبية
- الفصل الخامس : الكتابات المتفرقة

تمهيد

قام العلامة السيد الندوي بتأليف كتب قيمة نافعة تتسم بالبحث والتحقيق والنظر والتدقيق، وتنوء بالعصبة من العلماء والباحثين.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: وبالنظر إلى هذه المؤلفات القيمة يمكن أن يصدر الحكم بأن شخصاً واحداً في بعض الظروف ينجز من أعمال علمية هائلة ما لا تستطيع الأكاديميات الكبيرة إنجازها»[1].

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «قل من ترى من بين الكتاب الأفذاذ من يبلغ كل مؤلف من مؤلفاته إلى ذروة البحث والتحقيق، بينما يمتاز السيد الندوي بهذا المستوى العلمي الرفيع في كل ما دبجه يراعه من كتاب أو مقال، ويتصل كله بموضوع علمي خطير، والسبب في ذلك أنه كان يبذل أقصى ما في وسعه من الجهد في كل كتابة من كتاباته، وكان يراها آخر كتاباته»[2].

وسأقوم هنا بعرض مؤلفاته حسب موضوعاتها التي قسمتها إلى الدراسات القرآنية، وسيرة النبي ﷺ، وسير الأعلام، والتاريخ، والأدب، والكتابات المتفرقة.

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧١.

(٢) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٨٣.

الفصل الأوّل

الدّراسات القرآنية

قد تبين مما قدمت في الباب الثاني أن القرآن الكريم وما يتصل به من علوم ودراسات كان موضع الاهتمام الحقيقي للسيد الندوي، ويتجلى ذلك في (سيرة النبي) ﷺ وغيره من كتبه العلمية والتحقيقية، ولكني سأقوم في هذا الفصل بالتعريف بعملين من دراساته القرآنية: كتابه الذائع الصيت (أرض القرآن) وحواشيه على المصحف الشريف.

أرض القرآن:

إن كتابه (أرض القرآن) بمثابة مقدمة لـ(سيرة النبي) ﷺ وهو في جزئين، طبع الجزء الأول سنة ١٩١٧م والجزء الثاني سنة ١٩١٨م في دار المصنفين.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وكتابه (أرض القرآن) لا يزال كتاباً فريداً، لم ينسج على منواله في موضوعه، وهو ثروة غنية في المواد العلمية»[١].

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧١.

وقد كتب شيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مقالاً في وصف هذا الكتاب الفذ أنقله فيما يلي:

«إن كتاب (أرض القرآن) للعلامة السيد سليمان الندوي كتاب غير عادي في موضوع جغرافية المواضع المذكورة المشار إليها في القرآن، وكان القصد من وراء تأليف هذا الكتاب أن الوضع الجغرافي الذي كان لمناطق الجزيرة العربية، ولا سيما منطقتها الوسطى لم ينل حقه من البحث والتحقيق الدقيق، والاهتمام الكامل من قبل خبراء الجغرافية والآثار بسبب ضعف وسائل الاستكشاف في القديم، فوقع بذلك عوز ونقص عنه في المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، ولما توفرت أسباب الاستطلاع والاستكشاف لظهور وسائل السفر والاطلاع، واستخدمها عدد من الباحثين الغربيين، وسجلوا ما وقفوا عليه في كتبهم، لم يعتن بها المسلمون المهتمون بالجغرافية زمناً، فبقي الاهتمام بالموضوع متروكاً بصورة عامة، وجاء العلامة السيد سليمان الندوي الذي ألف كتاباً ضخماً في السيرة النبوية، فرأى الحاجة في تأليف إلى معرفة آخر ما وصل إليه البحث والعلم في موضوع المعرفة الدقيقة للأماكن المذكورة في القرآن والسنة، فتوفر على قراءة كل ما ظهر في كتب الأجانب من ذلك، وسدّ بذلك العوز، وأزال النقص بفضل ما تيسر له من دراسة وبحث، فجاء عمله العلمي هذا مأثرة سنحث للغة الأردية، وكان العمل جديراً بأن ينقل إلى لغات العالم الأخرى، ولا سيما اللغات

التي توجد فيها الكتب الإسلامية، كما أنه كان حرياً بأن ينقل إلى اللغات الأوروبيـة حتى يرى أهل أوروبة أن الأمم الغربية ليست وحدها التي تحمل ذوق البحث والتحقيق، بل يوجد البحث العلمي لعلماء الشرق أيضاً وبطريقة أمينة، بل وأحسن من أهل الغرب.

لقد اختار العلامة الندوي ـ رحمه الله ـ في كتابه الذي ألفه في هذا الموضوع باسم (أرض القرآن) طريقة علمية دقيقة للبحث العلمي، وهي التي توافق أرفع مستوى علمي للبحث والتحقيق، مما يدعي تطبيقه الباحثون الأوروبيون المعروفون بدقتهم في البحث وحيادهم فيه، كما أثبت بفضل بحثه أن عدداً من هؤلاء الباحثين لم يتمكنوا من تحقيق مستوى الدقة والأمانة على الرغم من أنهم عرفوا بالحياد والأمانة.

ولما كانت توجد أخبار أرض الأنبياء وتاريخهم في التوراة وغيرها من كتب اللغة العبرية كمصدر قديم لها وفي مقدار لا بأس به من المادة العلمية المعنيّة تعلم العلامة الندوي اللغة العبرية في زمن لم يكن لها رواج حتى عند أصحابها، وذلك حرصاً منه على الاستفادة من كتب هذه اللغة حتى يراجع ما فيها من المعلومات بطريقة مباشرة، وكان على معرفة باللغة الإنكليزية أيضاً، فكان يطلع عن طريقها على بحوث الباحثين المعاصرين في أوروبة، وعلى المعلومات الحاصلة من زيارات الأمكنة ومشاهداتها.

ولم يقتصر العلامة الندوي على ذلك، بل ظل يقارن بينها وبين ما جاء في الكتاب والسنة من نصوص واشارات ودلالات، وقد وفق بذلك لإبراز أخطاء الباحثين الأوروبيين في عدد من قياساتهم وتعليقاتهم، وهكذا أنجز عملاً علمياً هو أقل ما يوصف به أنه يتطابق مع متطلبات الأمانة العلمية المحايدة.

يقول العلامة الندوي في مقدمة هذا الكتاب من خلال إلقائه الضوء على ضرورة هذا الكتاب وأهميته: «إن القصد من وراء تأليف هذا الكتاب هو أن يبحث عن أحوال تتصل بما ورد في أرض القرآن وهي جزيرة العرب عامة ووسطها خاصة بحثاً يتجلى به صدق القرآن، وتبرز زلات المتقدمين مما وقعت منهم في تحديدهم وتعيينهم، وذلك بالتوفيق بين المعلومات المختلفة القديمة والحديثة».

وكتب مشيراً إلى أهمية الموضوع: «ولعل أحداً من المسلمين يستخف بأهمية هذا الموضوع وضرورته لعدم معرفته بأن القرآن يتضمن أسماء عشرات من الأمم العربية، وأسماء البلدان والمدن والأماكن، مما يجهل عامة الناس تاريخها الصحيح، وعدد من العلماء كذلك على غير بينة منها، ومن العجب العجاب أنه لم يؤلف كتاب تفصيلي مستوعب بخصوص هذا العلم طيلة ثلاثة عشر قرناً، فأدى ذلك إلى جهل المسلمين بهذه الأحوال، وتجاسر خصوم الإسلام على اعتبارها أساطير».

إن القرآن الكريم يتضمن قصص الأنبياء وأخبار أممهم وأقوامهم، وهي تحمل في طيّاتها مواعظ وعبراً وأهمية كبيرة، وقد ذكرت هذه القصص بأسلوب يمتاز بصدق العرض، ووضوح الفكرة، كما يزخر بالقوة والتأثير، وبيان قصص القرآن ليس كبيان عامة القصص البشرية، بل هي تختلف عنها، ذلك لأن المقصود من بيانها هو العبرة والموعظة، وهدفها إصلاح النفوس، ولقد اقتصر القرآن على ذكر القصص المشتملة على العبر بتحديد نطاقها في جوانب الاتعاظ والاعتبار منها، ولم يتعرض القرآن لسرد تفاصيلها وما يتعلق بها من أمور فرعيـة أو تفصيلية، وأوعز معرفة ذلك إلى قرّاء القرآن وسامعيه، كما ترك المعرفة المزيدة الموسعة لكفاءتهم وصلاحيتهم للبحث والتحقيق.

ويتعلق معظم القصص المذكورة في القرآن بالمناطق التي وطئتها أقدام العرب الذين هم المخاطبون الأولون بالقرآن، وكان لهم إلمام بالمعلومات اللازمة المتصلة بهذه المناطق، ولذلك تيسر لهم إدراك الواقع، وتمّ الغرض المنشود منه.

ولم تعد المواضع والخلفيات واضحة جلية للمتأخرين كما كانت للسابقين، لأن أسماء الأماكن والمواضع تتغير بمر الأيام، وتحدث تغييرات في بعض الطرق والشوارع والمواضع، ثم وصل القرآن إلى الأمم والبقاع التي لم يكن لأهلها أدنى إلمام بهذه المواضع والمنـاطق، وكانوا

يشعرون بالصعوبة في فهم الإشارات المرتبطة بأحوال تلك المناطق، وكانوا بحاجة إلى مزيد من إيضاحها وشرحها، كما كانت هناك حاجة - إلى حد ما - إلى الأمور المختلفة المتعلقة بمناطقها لمعرفة واقعها التاريخي والجغرافي.

ولذلك ظل هذا الموضوع موضع عناية العلماء المتقدمين من المسلمين، فقاموا بالبحث والدراسة، ثم سجلوا المعلومات الحاصلة بهذا الصدد، وبرزت بفضلها جوانب جديدة، واستمر ذلك على مر الأيام، وكر الزمان، ويمكن أن يدرس ذلك في عدد من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، أو الكتب المختلفة المشتملة على التاريخ وأحوال الأقوام والأمم، ومنها كتب التفسير والسيرة والجغرافية والتاريخ.

وقد استفاد العلماء من كتب اليهود بصورة عامة، وذلك لاقتباس المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، وذلك لأن المؤلفين اليهود ذكروا أخبار الأنبياء وأحوال أقوامهم بصفة خاصة، **ولكن الروايات اليهودية تتخللها المبالغة في كثير من المواضع، وطرأ عليها كثير من التغيير والتحريف، ولذلك تطرق الشك إلى هذه المعلومات.**

وبذلت في بداية الأمر محاولات في العصر العباسي الذي يمتاز بالازدهار العلمي للبحث عن المعلومات الجديدة المتصلة بأحوال وأحداث الأمم المذكورة في القرآن عن طريق مزيد من البحث والفحص،

وبواسطة بقايا الآثار للأمم القديمة، ودونت هذه المعلومات في الكتب، ثم حصلت أوروبة في القرون الماضية الأخيرة على مزيد من المعلومات عن طريق عدد من أهل العلم ممن اهتموا بهذا الموضوع خاصة، واستفادوا من وسائل الاستكشاف الحديثة، وهكذا ازداد التراث القديم، واتسع نطاق ما ألف في هذا الموضوع.

وأما بحوث ودراسات أوروبة حول هذه المعلومات فقد أخطأ علماؤها في فهم عدد من الحقائق لمواضع عديدة لعدم معرفتهم لميزات الإسلام وخصائص العربية، ولعل هذا هو السبب الذي حفز العلامة الندوي ـ الذي جمع بين العلم القديم والجديد ـ على إعداد كتاب يساعد في جانب على فهم ما جاء في القرآن من إشارات جغرافية، ويرد على تصريحات أعداء الإسلام الباطلة في جانب آخر، لقد قام العلامة الندوي في هذا الكتاب بحل القضايا المعقدة المتعلقة بالمعلومات التاريخية والجغرافية من تحديد الموطن الأصيل للساميين، وإثبات علاقة عاد بإرم، وبيان من هي الأولى والثانية من عاد وثمود، وتحديد مناطق قبائل الأمم وسعتها، وذكر دخول المسيحية واليهودية إلى جزيرة العرب وتأثيرهما، وازدهار قوم سبأ، وسرد أنسابهم، إلى جانب المعلومات الأخرى المماثلة التي تساعد في فهم كثير من إشارات القرآن.

ولقد فنَّد العلامة الندوي دعاوى وأقيسة عدد من الباحثين

الأوروبيين، ولم يكن هذا التفنيد على أساس ديني مجرد، بل على أسس علمية ودلائل عقلية، وبالإشارة إلى قلة معرفتهم، وقد نبه في مواضع عديدة إلى أن بحوث ودراسات الباحثين الأوروبيين تقوم على أساس من قلة المعرفة والعصبية، والواقع أن عدداً من الباحثين الأوروبيين استهدفوا عن مصلحة إخفاء الميزات الإسلامية، واستنتجوا من دراساتهم نتائج وهم خاضعون لهذه المصلحة، وكان هؤلاء الباحثون يسمون (مستشرقين) وكان الدارسون القليلو البضاعة في العلم من أبناء الشرق يعجبون بأسلوب بحثهم العلمي، وبذلك استمال هؤلاء المستشرقون كثيراً من أصحاب العقول المسلمة إليهم، يقول العلامة الندوي عنهم في مقدمة كتابه:

«إنهم ليسوا باليهود ولا بالنصارى، وإنهم أضاعوا فوائد القرآن بالقسوة البالغة، واستخدم بعض المستشرقين المتعصبين هذه المعلومات بطريقة غير صحيحة لمعارضة القرآن». ويضيف قائلاً: «لقد أحدثت اكتشافات الآثار القديمة تطورات هائلة في المعلومات عن ديانات العرب قبل الإسلام، وبذلك وجد باب جديد لمناقب الإسلام وفضائله».

وعلى كل، فقد كان لزاماً علينا أن نتحدث عن جوانب المصادقة والموافقة في شأن المعلومات الحديثة التي يستخدمها أعداؤنا في معارضتنا ومخاصمتنا.

ولقد أزاح العلامة الندوي الستار عن تفسيرات هؤلاء الباحثين الخاطئين في مواضع كثيرة، وقدّم تفسيرات صحيحة، ولذلك لم يعد كتابه منحصراً في موضوع جغرافية القرآن، بل أصبح كتاباً في علم الكلام كذلك، في صدد جغرافية ما جاءت الإشارة إليه في القرآن، وإنه بذلك يثبت الحقيقة القرآنية، ويزيل الغبار الذي ألصقه المعاندون بوجه الإسلام، كما أنه يكشف اللثام عن السياسة المعارضة التي تبناها المخالفون.

والذي يستفاد ويفهم مما كتبه العلامة الندوي بهذا الخصوص هو أن عناية أهل العلم من غير المسلمين بدراسة القرآن الكريم أمر يثير العجب ويبعث على الحيرة، وقد ألف المستشرقون من الألمان والفرنسيين، والطليان، والإنكليز كتباً قيمة حول تاريخ العرب قبل الإسلام، وأعدوا أبحاثاً دلت على جهدهم العلمي والدراسي، كما قاموا بتلخيص الكتب الرومية واليونانية، وبذلك أبرزوا في العصر الحديث المعلومات المذكورة في هذه الكتب، المتصلة بالعرب الأقدمين، وقدموا معلومات ودراسات حول الأمم والأقوام التي ذكرها القرآن، وقاموا بحل اللوحات التي عثر عليها في الآثار والأماكن القديمة، واقتباس المعلومات منها.

ولكن هؤلاء المستشرقين ما كانوا مسلمين، بل كانوا يهوداً أو نصارى، فشوّهوا بحكم دراستهم وبحثهم صورة عدد من الحقائق الثابتة، واستغل عدد من المستشرقين معلوماتهم الحاصلة خاضعين

لعاطفة المعاندة والمعارضة الكامنة في قلوبهم.

وألف (ألفريد فارستر) في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كتاباً حول جغرافية العرب التاريخية شوه فيه الحقائق تشويهاً مضحكاً، قال (نولديكه) عن العمالقة وادعى أنها أسماء مفترضة وأمم خرافية، ليس لها سند تاريخي، وقال (روبرت سميث): ليس للعرب نسب صحيح.

وقد علق العلامة الندوي على ذلك قائلاً: «إن الأمور التي أثارها المستشرقون مباحث تاريخية وأدبية ـ فيما يبدو ـ ولكنها تؤثر بطريقة مباشرة على حقائق القرآن، وبالتالي يمكن أن يعتبر ذلك مؤامرة قصدوا بها إضعاف الثقة بالقرآن، واعتبار العرب ـ الذين جعلهم الله حملة لواء الإسلام الأولين ـ غير صالحين للاعتماد والثقة، ولكننا إذا استعرضنا آراء هؤلاء المستشرقين استعراضاً علمياً وجدنا أن مرجع ذلك إلى عدم إتقانهم للغة العربية، وغياب ذوقها الأدبي فيهم، زد إلى ذلك عصبيتهم ضد الإسلام، وتصوراتهم حول ديانتهم المسيحية.

أما الشكوك والشبهات التي أثارها المستشرقون حول أنساب العرب، والمحاولات التي بذلوها لتحويل نسبتهم القبلية إلى الأصنام والأوثان وآلهتهم المنحوتة فقد ردّ عليها العلامة الندوي ردّاً شديداً، وأثبت أن العرب إنما سموا بنسبتهم إلى آبائهم وأجدادهم، ولم ينتموا

إلا إليهم، وأن ما يراه نولديكه من أن أنساب العرب حديث خرافة فباطل وغير صائب، وأما ما كتبه المستشرقون من مختلف الأمور عن الموطن الأصلي للأمم السامية فقد أثبت العلامة الندوي بالدلائل والبراهين أن منطقة الشمال الأوسط من جزيرة العرب ظلت موطنها الأصيل، وذكر أقوال عدد من الباحثين العرب في مساندة وتأييد هذا الرأي، كما استدل بما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، فإنه يشير إلى مركزية المنطقة الوسطى من جزيرة العرب.

وادعى بعض المستشرقين أن معظم الشعراء العرب مسيحيون، ففند العلامة الندوي هذه الدعوى ورد عليها أشد الرد، وذكر أن الشعراء العرب الذين يتضمن شعرهم معان من المسيحية، أو تتخلله مصطلحات مسيحية لم يكونوا مسيحيين، وإنما لجأوا إلى ذلك ليزداد شعرهم قيمة ووزناً في مجالس الملوك المسيحيين وأثريائهم، وقد كان المسيحيون العرب قليلين جداً، بينما كان اليهود العرب أقل منهم عدداً.

وقد ذكر صاحب كتاب (أرض القرآن) تفاصيل مهمة للديانات الموجودة في جزيرة العرب قبل الإسلام بصفة عامة، وبيان دخول المسيحية واليهودية في جزيرة العرب بصفة خاصة، ثم تناول ذكر الصراع الناشئ بينهما، وما أدى إليه هذا الصراع من حوادث ووقائع مثل (أصحاب الأخدود) و(أصحاب الفيل).

كما أنه سلط الأضواء على كلمتي (الصابئة) و(الحنفية)، وموضع استعمالهما الصحيح، وذكر بصفة خاصة أن عبّاد النجوم من أهل العراق كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (الصابئين) في معنى حسن، وهو الغسل والاغتسال، وقد عبر عن طلوع الكواكب والنجوم بكلمة (صبا)، وتكونت ديانة عبادة النجوم السابقة لأهل العراق من مفهوم هذا اللفظ الأساس، ثم حملت هذه الديانة مزايا قديمة وحديثة بصورة تدريجية، ووجد أتباعها بعد ذلك في مجتمع العرب أيضاً، واشتهر بعضهم في العلم والفضل.

ولقد حقّق العلامة الندوي كلمة (الحنفية) بجانب (الصابئة) تحقيقاً رائعاً، وهو أن هذه الكلمة معاصرة لكلمة (الصابئة) القديمة عند أهل العراق، وهي تعني الإعراض، وأرادوا به الإعراض عن عبادة النجوم والكواكب، وكان قد استعملها أهل العراق ذمّاً لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم إنها استعملت في معنى الإعراض عن غير الله، وقطع العلاقة عنه، وأصبحت خير صفة لسيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - واستعملت في معنى دين الإسلام الخالص، كما أن كلمة الإسلام بسبب دلالتها على الترك والتفويض إلى الغير تدل على تسليم النفس إلى الله، وترك غيره، فصارت في معنى دين الإسلام الخالص.

وقد أحسن العلامة الندوي استعراض ما جاء في القرآن الكريم من

ذكر الأقوام والأمم وأنسابها ومناطق إقامتها ونفوذها، وما طرأ عليها من ازدهار وانحطاط في مجال المدنية والسياسة باختلاف الأحقاب والأزمان، وأتى بتحقيقات أنيقة عديدة تساعد على تحديد معلوماتها الماضية مساعدة كبيرة، وتتجلى صورة التبديل والتغيير. أما ما يتصل بالأمور الخارقة للعادة فإن العلامة الندوي لم يتغافل عن القرائن العقلية، وخالف آراء عامة المفسرين في عدة مواضع.

إن العلامة الندوي وإن تبنى أسلوب البحث والتحقيق للأعمال العلمية والدراسية، لكنه لم يتقبّل أي شك أو شبهة في شأن الحقائق الدينية والإسلامية، بل على العكس من ذلك أشار في مواضع كثيرة إلى الأخطاء العلمية والعقلية في دراسات وأبحاث الباحثين الأوروبيين، وكشف اللثام عن جهلهم في عدة جوانب وعدة تفسيرات للواقع، وأقام البينة ضد السمعة الحسنة والعظمة التي كان يتمتع بها المستشرقون في البحث العلمي، وبذلك تيسر لقراء هذا الكتاب أن يقدروا أن هؤلاء الباحثين - الذين كانت تبدو تحقيقاتهم راسخة وثابتة مثل الجبل - لم يتمكنوا من مراعاة جانب الدقة والأمانة في كل موضع من بحوثهم ودراساتهم.

ألف العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله - كتاب (أرض القرآن) في زمن لم تتيسر فيه وسائل جمع المعلومات الكثيرة عن القبائل القاطنة في الحجاز، ومعلومات الحجاز المحلية بصفة خاصة.

وقد كان إحصاء هذه المعلومات عسيراً صعباً لقلة الموارد المالية لدى حكام هذه المنطقة، وقلة اشتغالهم بالعلم، ولكون هذه المنطقة صحراوية وممتدة في مساحة مكانية كبيرة، ولم يكن الباحثون الأوروبيون يرغبون في ذلك لقدسية الأماكن الحجازية، كما لم يكن في وسعهم أن يعنوا بالبحث والتحقيق عن ذلك، ولذلك لم يتيسر الحصول على المعلومات التفصيلية العميقة المتعلقة بالحجاز في العصور السابقة مع أن في القرآن الكريم مواد تتصل بصلح وحرب سكان المنطقة ووضعهم المحلي أو القبلي، وتقع الحاجة في فهم الإشارات التي تتضمنها هذه المواد إلى مزيد من معرفة ميزات الأماكن وأحوال سكانها وخصائصهم، أما الأمور المتعلقة بمواقع الأماكن وتحديد المواضع التي وقعت في سفر الهجرة إلى المدينة المنورة، وتحديد المواضع الواقعة في سفر غزوة بدر، فإنها تذكر في الكتب القديمة بمقياس الفراسخ والمنازل، ولذلك يصعب تحديد مواقعها الصحيحة، وكانت الحاجة ماسة إلى فهمها وتحديدها عن طريق سفر شامل، ولكن أوضاع الحجاز لم تكن مساعدة لهذا العمل آنذاك.

وقد قام بعض الباحثين بهذا العمل بعدما تحسن وضع الحجاز المادي والعلمي، وألفوا كتباً في هذا الموضوع، وكذلك كانت الحاجة ماسة إلى استعراض حدود الحرم المكي ـ التي تعرف بالمقامات ـ عن طريق السفر، وقد تم هذا العمل ـ إلى حد ـ أخيراً قبْل عدة أعوام، وعثر

في هذا البحث عن آثار ورسوم العصر العباسي والعصر التركي التي تساعد على تحديد الحدود، بينما تعذر تحديد عدد من الأماكن بسبب تغير أسماء أماكن عديدة، ولم يتم فهم عدة مواضع إلا بعد استعراض تحقيقي شامل، ولو ظهرت هذه الكتب في زمن تأليف كتاب (أرض القرآن) أو أنجز هذا العمل المحقق لوجد مكاناً لائقاً في كتاب (أرض القرآن).

وعلى كل، فإن كتاب (أرض القرآن) للعلامة السيد سليمان الندوي يحتل مكانة مرجع عظيم لموضوع جغرافية القرآن، ولا تزال هذه المكانة قائمة رغم ظهور عدة كتب جديدة، ولا يزال أصحاب العلم من رجال اللغة الأردية يتلقون هذا الكتاب بالقبول، ويثنون عليه ثناءاً عاطراً، وفيما إذا نقل هذا الكتاب إلى مختلف لغات العالم، فلا شك في أن أهل العلم وأصحاب الفضل من أبناء الأمم الأخرى سيستفيدون منه كذلك.

وقد نقله إلى اللغة الإنكليزية الأستاذ مظفر الدين الندوي سنة ١٩٣٦م.

وقد كثر اعتماد العلماء عليه، فقد كان العلامة أنور شاه الكشميري معجباً بهذا الكتاب، واستند إليه في كتاباته، ويقول بعد النقل منه: «قد ختم صاحب أرض القرآن على التحقيق في هذا المقام». كما استفاد منه العلامة شبير أحمد العثماني في حواشيه على معاني القرآن الكريم.

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «إن (أرض القرآن) في ذروة عليا

في منهج السيد الندوي للبحث والتحقيق، لعله أول من عالج هذا الموضوع، من أهم مزايا الكتاب دراسته لأوضاع العرب السياسية والتاريخية والحضارية في ضوء القرآن الكريم، مع الاستفادة من المصادر العبرية والإنكليزية، والمراجع الإسلامية والإسرائيلية والرومية واليونانية والاكتشافات الأثرية»[(١)].

ويقول أديب الأردية الكبير مهدي إفادي: «يساورني العجب أن العمل الذي ما كان ليقوم بإنجازه إلا أخصائي في علم الآثار في إحدى أكاديميات أوروبة في مدة تجاوز ستين سنة، كيف تمكنتَ منه»[(٢)].

حواشيه على المصحف الشريف:

وكان من عادة السيد الندوي كتابة ملاحظاته على حاشية المصحف الذي يتلو منه، ويقوم الآن نجله الأستاذ سلمان الندوي بجمع وترتيب هذه الملاحظات، فسألته أن يكتب لي تعريفاً بهذه الملاحظة، فتفضل بما ملخصه:

«يعرف العالم والذي العلامة السيد سليمان الندوي كمؤرخ، وكاتب للسيرة، وأديب، ولكن اهتمامه الحقيقي كان بالقرآن الكريم،

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٨٤.

(٢) مجلة (نقوش) الصادرة في لاهور، العدد الخاص بالأعلام، ص١٨٢.

والحديث النبـوي الشريف، وعلم الكلام، ويتجلى اهتمامـه هذا في مؤلفاته (سيرة النبي) و(أرض القرآن) و(سيرة عائشة) و(حيـاة مالك)، وظل طول حياته يلقي دروساً منظمة في التفسير في أعظم كره، وبوفال، وأخيـراً في كراتشـي، وممن استفاد منه في دار المصنفين بأعظم كره الأستاذ محمد أويس النجرامي الندوي صاحب التفسير القيم، وكان في محاضراته التفسيرية دائم الذكر لشيخه والإحالة على أقواله.

كان السـيد الندوي يقيد ملاحظاتـه بإيجاز خلال تلاوتـه القرآن الكريم على حواشـي مصحفـه باللغة العربيـة أو الأردية، وتشهد هذه الملاحظات التي تتصل بذكر أعمدة السور وموضوعاتها الأساسـية، وربط الآيات بعضها ببعض بعلو كعبه في فهم القرآن الكريم وعمق نظره. وإني مشتغل الآن بدراسة ملاحظاته القرآنية هذه، وجمعها وترتيبها، ثم التعليق عليها بما يوضح مقاصدها، ويشرح مجملاتها، وأنوي طباعتها في كتاب إن شاء الله تعالى، وفيما يلي بعض الأمثلة من هذه الملاحظات:

١ ـ كتب السيد الندوي على حاشية سورة هود وهو يحدد عمودها: «هذه السورة تسلية للنبي ﷺ». تشتمل هذه السورة على قصص الأنبياء وما واجهوه من المصاعب من قبل أقوامهم، فكأنها تسلية للنبي ﷺ أن يصبر على أذى قريش، كما صبر أولو العزم من الرسل.

٢ ـ تنتهي آية الربا في سورة البقرة على قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٧٦]. فعلق عليها السيد الندوي «أخذ الربا كفر النعمة أي كفر نعمة ربهم». فإذا علمنا أن أخذ الربا يتضمن الكفر بنعم الله تعالى اشتد أمره، وقويت حرمته.

٣ ـ وجاء في سورة آل عمران ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٨]، فما معنى البيان والهدى والموعظة هنا؟ ولماذا جمعت هذه الكلمات الثلاث في مكان واحد؟ فعلق عليها: «البيان ما كان بيّناً بنفسه، البيان هو الإعلان، والهدى خفي، والموعظة أخفى منه». يعني أنه بيان لا يحتاج إلى شرح وإيضاح، ولما كان الهدى موضعه القلب فإنه خفي، وأما الموعظة فعلاقتها بتقوى القلب وطهارته فهي أخفى من الهدى.

* * *

الفصل الثاني

السيرة النبوية

وأعظم ما اشتهر به السيد الندوي هو تأليفه لموسوعة (سيرة النبي) وكان منهجه في السيرة منهجاً متكاملاً شاملاً، يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «وقد كان من مزاياه أنه وسع نطاق السيرة من سرد الأحداث وبيان الشمائل ووصف العادات إلى الرسالة المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية وبحث شعبها المختلفة»[1].

وفيما يلي عرض لمؤلفاته في السيرة:

سيرة النبي:

وهو في سبعة مجلدات كبار، ألف المجلدين الأولين منها العلامة شبلي النعماني، وقام السيد سليمان الندوي بتأليف المجلدات الخمسة الباقية.

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٦٩.

بدأ شبلي (سيرة النبي) ﷺ ولكن الله تعالى توفاه قبل أن ينتهي من تأليفه، وكان من قدر الله تعالى وصدق نية شبلي أن أشرك معه في هذا العمل منذ البداية تلميذه النجيب السيد سليمان الندوي، فقام شبلي بتربيته العلمية، وتدريبه على البحث والتحقيق، ولما توفي شبلي فوض مخطوطة (سيرة النبي) إلى السيد سليمان، فبدأ سليمان حياته العلمية من حيث ختم شبلي حياته في العلم، وإن رسائل شبلي إلى السيد سليمان تدل على التدريب العلمي الذي أشرنا إليه، يقول شبلي في كتابه إليه: «ما الذي تشتغل به الآن، إن كنت متفرغاً فابدأ بأجزاء الجزء الثاني»[1].

وكتب إليه في ثامن نيسان ـ أبريل سنة ١٩١٣م: «لا تتتبع العرب البائدة أو تلك الدول العربية المتحضرة القائمة في اليمن وبلاد الشام وغيرها، تكفي الدراسة الإجمالية عنها في صفحات، ينبغي أن تبذل الجهود كلها في استقطاب المعلومات والأخبار عن نجد، والحجاز ويثرب، فأولِ عنايتك بتوفير المواد العلمية عن هذه الأمكنة، وابحث عن التفاصيل الموثوق بها عن قاطني مكة، وقصص إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام»[2].

---

(١) مكاتيب شبلي إلى السيد سليمان، رقم ٤١.

(٢) المرجع السابق، رقم ٤٣.

إن مشروع تأليف (سيرة النبي) مأثرة كبيرة للعلامة شبلي النعماني، ولكن رحمة الله توفته وهو مشتغل بالجزء الثاني، فخلفه السيد الندوي وقام بطباعة الجزئين بإتمام ما نقص منهما، وجمع ما تفرق، وترتيب ما تشتت، وتحقيق ما فات شبلياً، والتعليق على ما احتاج إلى التعليق، ثم انفرد بتأليف الأجزاء الخمسة الباقية مع استعانة ببعض أصحابه في تحقيق أشياء وتأليف فصول.

يتكون **الجزء الأول** من مقدمة تناولت دراسة أصول الرواية والدراية، ومصادر السيرة، ومطاعن المستشرقين، وفصول في تاريخ العرب قبل الإسلام، وهجرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة المكرمة، وبناء الكعبة، ومولد النبي ﷺ، وبعثته، وهجرته إلى المدينة المنورة، وغزواته وسراياه.

ويتناول **الجزء الثاني** مواضيع حياة النبي ﷺ في السلم، وإنشاء الحكم الإسلامي في المدينة المنورة، ونظامه السياسي، وأخلاقه، وشمائله، وأهل بيته من أزواجه المطهرات، وبناته الطاهرات.

ويتحدث **الجزء الثالث** بالتفصيل عن حقيقة المعجزة، وإمكانها وقوعها في ضوء الفلسفة القديمة، وعلم الكلام، والقرآن الكريم، طبع هذا الجزء سنة ١٩٢٤م. وأهم الموضوعات التي تناولها في هذا الجزء بالبحث والتحقيق: الآيات والمعجزات، والآيات والمعجزات والفلسفة

القديمة وعلم الكلام، والآيات والمعجزات والفلسفة الحديثة، وإمكان المعجزات، وشهادة المعجزات، واستبعاد المعجزات، واستيقان المعجزات، وغاية المعجزات، والقرآن الكريم، والآيات والبراهين، وتفصيل آيات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وخصائص النبوة، والإسراء والمعراج، وإعجاز القرآن الكريم، ووجوه الإعجاز، ودلائل النبوة في القرآن الكريم، ودلائل النبوة في الأحاديث النبوية، ونقد الأحاديث المنكرة والواهية والموضوعة، والتبشير بالنبوة في الصحف السماوية والأنبياء السابقين، وخصائص النبي ﷺ.

ويتحدث الجزء الرابع عن منصب النبوة، وكيف أنَّ النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام قامت بأداء فريضة الإصلاح والدعوة وفق منهج فريد. وأهم موضوعات هذا الجزء: منصب النبوة، عصمة النبي ﷺ، بعثتان مقرونتان، وضع العالم قبل مبعث النبي ﷺ، وضع العرب الديني والخلقي عند البعثة، مزايا العرب وأهليتهم ليصبحوا خير الأمم، فجر السعادة، التبليغ النبوي، أسسه وأسباب نجاحه، الإسلام، العقائد، الإيمان بالله تعالى، التوحيد وأصوله وأركانه الإيجابية، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالرسل، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان باليوم الآخر، البرزخ، القيامة وجزاء الأعمال، الحساب، الجنة والنار، القضاء والقدر، نتائج الإيمان، طبع هذا الجزء سنة ١٩٣٤م، وزاد نشره دار المصنفين شهرة عظيمة.

والجزء الخامس خصص لمعاجلة موضوع العبادات، وطبع سنة ١٩٣٥م. ومن أهم موضوعاته: العمل الصالح وانقسامه إلى العبادات والأخلاق والمعاملات، العبادات، المعنى الواسع للعبادة في الإسلام، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الجهاد وأنواعه، العبادات القلبية من التقوى والإخلاص والتوكل والصبر والشكر.

والجزء السادس يتحدث عن التعاليم الخلقية، وطبع سنة ١٩٣٩م. ومن أهم موضوعاته: الإسلام والأخلاق الحسنة، مزايا النبي ﷺ على معلمي الأخلاق، تنوع التعاليم الخلقية، فلسفة الإسلام في الأخلاق، مآثر الإسلام التكميلية للتعاليم الخلقية، أقسام التعاليم الخلقية، مناهج تعليم الأخلاق وأساليبه، الحقوق والفرائض، محاسن الأخلاق، الرذائل، الآداب.

وأما الجزء السابع الذي يعالج موضوع المعاملات، فلم يتمه، وطبع بعد وفاته ناقصاً مع مقدمة للعلامة السيد أبي الحسن علي الندوي، ومن موضوعات هذا الجزء: المعاملات وحدودها، المقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى، مصادر المعاملات، فشل الديمقراطية، عجز البشر عن التشريع الصحيح والعادل، الحاجة إلى الشريعة الإلـٰهية، الإسلام ونظام الحكم، نظام الحكم في عهد النبي ﷺ، السلطنة والملوكية، بعثة الأمة المسلمة، الحاكم هو الله تعالى.

نالت هذه الأجزاء قبولاً كبيراً، وصدرت لها عدة طبعات، ونقلت إلى اللغات التركية، وبشتو، والإنكليزية.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: لم يكن العلامة السيد سليمان الندوي من كبار المؤلفين في السيرة النبوية في عصره فحسب، بل كان من أبرز المؤلفين في السيرة والتاريخ الإسلامي بكامله، وقد كان من مزاياه أنه وسع نطاق السيرة من سرد الأحداث وبيان الشمائل ووصف العادات إلى الرسالة المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية، وبحث شعبها المختلفة، وبهذا المنهج المنفرد الموسع الذي سلكه أستاذه العلامة شبلي النعماني في المجلدين الأولين للسيرة النبوية وسلكه العلامة السيد سليمان الندوي في المجلدات الخمسة الباقية أصبح الكتاب موسوعة للسيرة لا يوجد لها نظير في أي لغة من لغات المسلمين في العالم[1].

وقال العلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني: «كتاب (سيرة النبي) دائرة معارف الإسلام»[2].

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «أكبر ميزة لهذا الكتاب أنه يعتمد على كنوز الكتاب والسنة، والكتاب شهادة على ما آتاه الله من فهم دقيق

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٦٩.
(٢) مجلة بياد علامه سيد سليمان ندوي، ص١٩.

لمعاني كتاب الله، كأن آيات القرآن الكريم ودواوين السنة مفتوحة أمام عينيه»[1].

يقول العلامة عبد الماجد الدريابادي: «إن مأثرة سليمان لتأليف (سيرة النبي) تكفي لترفعه إلى مكانة سليمان الأعظم، لو أنه خلف هذا التراث العلمي وحده ولم يزد عليه لأضاء اسمه إلى يوم القيامة، وتبوأ الصف الأول من أعلام كتَّاب سيرة النبي ﷺ، وحُشر بين يدي جده مع أبي القاسم السهيلي، والقسطلاني، والزرقاني»[2].

وكتب إليه الأمير فخر يار جنك: «كنت قد قمت بزيارة لتركية قبل فترة.. لقيت بها جمعاً كبيراً من الناس، يثنون على كتاب (سيرة النبي) المبارك ثناءاً كبيراً، ويطالعون بكل شوق ترجمته التركية، إن إستانبول متغربة فلم ألق بها كثيراً من الناس، ولكن بروسة التي كانت عاصمة الدولة العثمانية لنحو قرن ونصف قبل غزو إسطنبول، سمعت بها كثيراً من الناس يذكرون (سيرة النبي) معجبين به، فبارك الله في جهودكم»[3].

أقتصر هنا على ذكر نموذج واحد من كتابه، قد كثر تشويه سمعة (التوكل) لدى عامة الناس وكثير من المتصوفة، وحملوه على التواكل

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٨٥.
(٢) وفيات ماجدي، ص٧٠ - ٧١.
(٣) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٩ - ٣٠.

والإهمال، فصحح السيد سليمان الندوي مفهومه، وكشف النقاب عن حقيقته، يقول:

«التوكل كلمة معناها عند العامة الإهمال والكسل، والإعراض عن العمل، والانزواء في الزوايا، والانعزال عن الدنيا، ويعبرون عنه بترك أمورها ومعاملاتها على مشيئة الله وقدره، وقولهم: بيده الأمر يفعل ما يشاء من الخير والشر، لا حاجة إلى اتخاذ الوسائل والسعي في حل المشاكل، وهذه كلها أوهام فاسدة، وبدع ضالة، ليست من الدين في شيء، ابتدعها جهلة المتصوفين الذين هم كالعضو الأشل في جسد الأمة، يريدون أن يرتزقوا بكسب غيرهم، ويستقوا من دلائهم، فصبغوا صنيعهم هذا بصبغة الدين، وموّهوا الأمر على المتبعين، وقالوا: إنا تركنا العمل وتوكلنا على الله، وعلى الله فليتوكل المتوكلون. فالحق أن التوكل من أساس الدين ونتائج اليقين، والثقة بالله تعالى، والاستسلام إليه والاعتماد عليه، ولكن في أي شيء هذا الاستسلام والاعتماد؟ أفي العمل أو في تركه؟ فعند جهلة المتصوفين هو في ترك العمل وعدم الاحتفال بالوسائل، والدعة والكسل، والعيش من كسب الآخرين، وعقد الرجاء على ما في أيدي الناس.

والأمر ليس كذلك، بل التوكل عبارة عن المضي في الأمر بعزم راسخ وطوية صادقة وسعي متواصل لا يدرك الوهن، وسعي متدارك لا يعرف الكسل، والثقة بأن الله منجحه في عمله إذا كان من الخير في

شيء، فليس للإنسان إلا ما سعى.

ولو كان التوكل كما فهمه المتصوفون العابثون لم يبعث الله الأنبياء والرسل لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولم يأمرهم بالاستقامة والتثبت والصبر والجهاد بالأنفس والأموال في سبيله، ولم تكن الحاجة إلى فرسان وكماة، مناجزين في الحروب، ولم تكن الحاجة في غزوات بدر وأحد ويوم الأحزاب ويوم حنين إلى الركاب والرماة، ولم يكن النبي ﷺ بحاجة إلى أن يصل ليله بنهاره في تبليغ رسالته وإنشاء دعوته.

التوكل رمز كبير في تعاليم الإسلام، وسر خفي لفوز المسلمين ونجاحهم، فإن الله يأمرهم حين المكاره والحروب بالمشاورة أولاً، ثم يوصيهم بالعزم والثبات على ما اتفقت عليه آراؤهم، والسعي في إنجازه بما استطاعوا من قوة، والتوكل على الله أنه يجعلهم فائزين بمرامهم، فإن فازوا فقد ظفروا ببغيتهم، وإلا فهو من أسرار مشيئته سبحانه وتعالى، فليس لليأس أن يجد سبيلاً إلى قلوبهم، وليس للقنوط أن يتطرق إلى نفوسهم، قال عز من قائل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩ ـ ١٦٠].

فهاتان الآيتان الكريمتان تدلان من غير شك أن التوكل ليس معناه

ترك العمل والاختفاء في الخفايا، بل المراد به العزم والثبات في الأمور، وتفويض عواقبها إلى مشيئة الله، فإن شاء نجاحهم فلا رادَّ لمشيئته، وإن لم يشأ فمن ذا الذي يشفع عنده؟ فلذلك يجب على كل مؤمن بالله ورسوله أن يتوكل على الله في كل شأنه وأمره.

ويستمر السيد سليمان في الاحتجاج بالآيات القرآنية إلى أن يقول:

«قد رأيت الآيات القرآنية التي ذكر فيها التوكل، وكلها أمامك، فراجع فكرك، وارجع بصرك، هل ترى ما يظنه الظانون حقاً، أم ترى التوكل على الله ثقة به في مواصلة العمل، وعدم الاكتراث بالمخاوف والجهاد في سبيل الحق بعزم لا ينثني، وإقدام لا يعرف الملل، وأن نجري في عملنا مثابرين عليه، وصابرين على ما يصيبنا، مستيقنين بالنجاح بفضل الله وعونه.

ثم اصرف بصرك إلى الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب، فمنها ما يروى عن أبي قرة السدوسي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعقلها أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «لا، اعقلها وتوكل».

وهذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد، ولكنه قوي لموافقته معنى القرآن الكريم.

إن كثيراً من الناس يعتقدون بالتمائم والرقى والنفثات غير الشرعية،

ويتركون الأدوية والأسباب المادية، ويظنون كل ذلك من باب التوكل ظن أهل الجاهلية، فالنبيّ ﷺ فنّد هذه المزاعم وقضى عليها جميعاً، وقال: «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيّرون وعلى ربهم يتوكلون». وجاء في حديث آخر: «من اكتوى أو استرقى فهو بريء من التوكل». فليس المقصود منها المنع عن التدبير، بل المقصود منها قلع جذور أوهام الجاهلية».

محاضرات مدراس:

سافر السيد سليمان الندوي إلى مدراس في تشرين الأول ـ أكتوبر سنة ١٩٢٥م بناءً على دعوة من الجمعية التعليمية الإسلامية لمدراس، وألقى بها ثماني محاضرات حول موضوعات مختلفة في السيرة النبوية، طبعت باسم (محاضرات مدراس) سنة ١٩٢٦م، وهذه المحاضرات تقدم السيرة النبوية في أسلوب مؤثر ومنهج فريد.

يتناول هذا الكتاب دراسة تلك الجوانب من السيرة النبوية التي لم تلق عناية كبيرة، وهي مكانة النبي ﷺ التاريخية، وشموله، وكماله.

تحدث في **المحاضرة الأولى** عن أن كمال البشرية لا يمكن إلا بسير الأنبياء عليهم السلام، وأثبت بشهادات تاريخية أن الملوك والفاتحين الذين غيروا مجرى التاريخ، والمدبرين والسياسيين الذين تحكموا في أقدار الشعوب والأمم، والمقننين الذين وضعوا الشرائع للدول

والحكومات الكبيرة، والفلاسفة والحكماء الذين تمخضت عقولهم عن أحسن الفلسفات عجزوا عن علاج أمراض البشرية وإنارة القلوب، وكل ما نشاهد اليوم من أضواء الأخلاق والروحانية ليس إلا من فيوض الأنبياء عليهم السلام.

وتحدث في **المحاضرة الثانية** عن أن حياة النبي ﷺ المباركة أسوة عالمية خالدة، وألقى الضوء على جوانب السيرة التاريخية والتكميلية وشمولها وصلاحيتها للتطبيق، وأكد أننا لا نعلم الأحوال التاريخية الموثوق بها لنبي من الأنبياء غير رسولنا محمد ﷺ الذي حفظ كل جانب من جوانب حياته، ففي سيرته أسوة لكل ناحية من نواحي الحياة.

تناولت **المحاضرة الثالثة** إلقاء الضوء التفصيلي على الجانب التاريخي للسيرة النبوية، وأن المواد العلمية التي توفرت لنا عن حياة النبي ﷺ لا تتوفر لزعماء العالم الكبار وقادته العظام، كما تناولت باستعراض جميع مصادر السيرة من القرآن الكريم، وكتب الحديث الشريف، والمغازي، والسيرة، والتاريخ، ودلائل النبوة، والشمائل.

وتعالج **المحاضرة الرابعة** موضوع تكامل سيرة النبي ﷺ، فقد حفظ التاريخ جميع نواحي حياته من نسبه، ومولده، ورضاعه، وطفولته، ونشأته، وشبابه، ومهنته، وزواجه، وأصدقائه قبل النبوة، ومشاركته في حلف قريش، واتصافه بخطاب الأمين، وإرهاصات النبوة، وحب

الخلوة، والاعتزال في حراء، ومبدأ النبوة، والوحي، وظهور الإسلام والدعوة إليه، والمشاكل والآلام التي واجهها في سبيله، والهجرة، والإقامة بالمدينة، ومغازيه، ورسائله الدعوية، وانتشار الإسلام، وحجة الوداع، ووفاته، كما حفظت كتب الشمائل أفعاله وأخلاقه وخصاله.

وتحدث في **المحاضرة الخامسة** عن شمول سيرته، فهي تقدم أسوة لجميع الطبقات البشرية، ونواحيها المختلفة، فالنبيُّ ﷺ قدوة للملك والرعية، والحاكم والمحكوم، والفاتح والمفتوح، والغني والفقير، والتاجر والعامل، والقريب والصديق، وفي مختلف أحوال الحياة من القيام والجلوس، والأكل والشرب، والمنام واليقظة، والضحك والكلام، والبيع والشراء، والتعليم والتعلم، والعبادة والرياضة، والرضا والغضب، والمسرة والحزن، والعزيمة والصمود، والصبر والتوكل، والشجاعة والشهامة، والاستغناء والقناعة، والجود والسخاء، والتواضع والخشوع.

وتحدثت **المحاضرة السادسة** عن أن النبي ﷺ لم يدع إلى فضيلة إلا وعمل بها، فقد كانت حياته مثالاً صادقاً لدعوته، وتطبيقاً كاملاً لتعاليمه وتوجيهاته.

وعالجت **المحاضرة السابعة** فضل الرسالة المحمدية على سائر الديانات في الشمول، والتكامل، وإصلاحاتها وغيرها من الخصائص

الثورية، وأوضحت هذه المحاضرة أن التعاليم الأساسية والمشتركة للأديان: من الإيمان والعمل الصالح، والعقائد، والعبادات، والأخلاق والمعاملات لم تكتمل إلا بالإسلام.

وتناولت **المحاضرة الثامنة** التعاليم الأساسية للرسالة المحمدية، وأن التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام لم يوجد في أي دين قبله، فجاء الإسلام، وأغلق جميع أبواب الالتباس والاشتباه في أمر التوحيد، كما أنه قدم العبادات في صورتها الحقيقية من دون أن تغلبها الرهبانية، والآلام الجسمانية.

يقول الأستاذ معين الدين أحمد الندوي: «هذا الكتاب يشتمل على مئة وخمسين صفحة، ولكنه يفوق المؤلفات الضخمة حول السيرة في وفرة المعلومات، وندرة البحوث، وشمول النفع، وكفاه مفخرة للمؤلف»[١].

ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي: «هو من أقوى الكتب في السيرة وأروعها في جمال التعبير، وبث حلاوة الإيمان، وتوثيق الصلة بذات النبي ﷺ، والكتاب عصارة لمكتبة كاملة في السيرة النبوية، وهو هدية ثمينة لغير المسلمين والمثقفين المسلمين، والباحثين

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٨٥.

عن الحق، للتعريف بالإسلام، ولعرض سيرة النبي ﷺ بإيجاز وأسلوب مقنع مؤثر[1].

ويقول الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن: «هذه المحاضرات معلمة أدبية في اللغة الأردية في محتوياتها، وبحوثها، وقوة الخطابة، والأدب والإنشاء»[2].

ويقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي: «إن أول مؤلفاته تأثيراً في نفسي وأكبرها وقعاً في قلبي كتابه (محاضرات مدراس). وأراني أول من سألت السيد الندوي أن يترجم إلى اللغة الإنكليزية[3].

وقد قام الأستاذ محمد ناظم الندوي بنقل الكتاب إلى اللغة العربية باسم (الرسالة المحمدية) وصدرت عدة طبعات له من مصر وسورية، وقد صدرت عدة ترجمات إنكليزية له، وأحدثها الطبعة التي أصدرها المجمع الإسلامي بلكنو.

رحمة العالم:

ألفه سنة ١٩٤٠م لتعليم السيرة النبوية للأطفال في لغة سهلة

(١) أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص٧٠.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٩.
(٣) المرجع السابق، ص١١٤.

وأسلوب ميسر، ونال الكتاب قبولاً كبيراً، وقرر تدريسه في الكتاتيب والمدارس عبر الهند، ونقل إلى اللغات الهندية المختلفة.

* * *

الفصل الثالث

التاريخ والإعلام

أعرض في هذا الفصل كتبه التاريخية، وضممت إليها كتبه عن سير الأعلام، لأنها تتضمن قدراً كبيراً من البحوث التاريخية القيمة النادرة.

سيرة عائشة:

بدأ تأليف (سيرة عائشة) وهو طالب في دار العلوم لندوة العلماء، فلما سمعت أميرة بوفال سلطان جهان بيكم بذلك عنيت به عناية كبيرة، وألحت على السيد سليمان أن يسارع إلى إتمامه، ثم يقوم بالتأليف عن غيرها من أزواج النبي ﷺ، ولكن الظروف حالت دون إتمامه، ولم يطبع إلا في سنة ١٩٢٤م.

لما طالعه الشاعر الدكتور محمد إقبال كتب إلى مؤلفه: «إني شاكر لك على كتاب (سيرة عائشة) ليست هذه هدية سليمانية، بل هي كحل سليماني، لقد زادتني مطالعة هذا الكتاب علماً نافعاً، فجزاكم الله تعالى خيراً»[١].

---

(١) إقبال نامه، ص١١٣.

يتناول الكتاب حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وصفاتها، وأخلاقها، وعلمها، وفضلها.

بدأه **بمقدمة** ذكر فيها أهمية سيرة عائشة، ومصادرها من الجوامع والمسانيد والسنن، وكتب أسماء الرجال، كالطبقات لابن سعد، وتذكرة الحفاظ للذهبي، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وكتب الشروح كفتح الباري، وشرح القسطلاني على البخاري، وشرح النووي لصحيح مسلم، ولم يعتمد على شيء من عامة كتب التاريخ إلا فيما يتعلق بحرب الجمل فاعتمد فيها على تاريخ الطبري، كما استند إلى المستدرك للحاكم، وعين الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة.

وقسم الكتاب إلى مباحث، فتحدث في **المبحث الأول** عن اسمها، ونسبها، وأسرتها، ومولدها، وطفولتها، وزواجها، وهجرتها، وزفافها، والقضاء على العادات الجاهلية.

وأما **المبحث الثاني** فخصصه لاكتسابها العلمي والتربوي، وتحدث فيه عن وضع العرب في القراءة والكتابة، وأخذها العلم عن أبيها، ثم عن زوجها، وقراءتها وكتابتها، ومنهج تعليمها، واستفادتها من مجالس النبي ﷺ، وأسئلتها للنبيِّ ﷺ، وتعليم النبيِّ ﷺ إياها السنن والآداب.

وتحدَّث في **المبحث الثالث** عن تدبيرها لمنزلها، وبيتها،

وأجهزتها في البيت، والفقر والعوز، وطبخها الطعام بيدها، وتنظيمها للدخل والإنفاق.

وأفرد **المبحث الرابع** للحياة الزوجية، تحدث فيها عن الإسلام والمرأة، ومعاملة النبيِّ ﷺ مع نسائه، وحب الزوجة، وحب الزوج، ومراعاة الزوجة، ومؤاكلتها، والسفر معها، ومسابقتها، ودلالها، والخدمة، والإطاعة، والتعايش الديني، وفرائض النبوة في داخل البيت.

وتحدث في **المبحثين الخامس والسادس** عن معاملتها مع غيرها من أزواج النبيِّ ﷺ، ومعاملتها مع أولاد غيرها من أمهات المؤمنين، كما ناقش الأحاديث الواهية والضعيفة.

وخصص **المبحثين السابع والثامن** لحديث الإفك بالتفصيل، وأحداث التحريم والإيلاء والتخيير.

ويتناول **المبحث التاسع** حياتها بعد وفاة النبي ﷺ، تحدث فيه عن مرض النبي ﷺ، وقدومه إلى بيت عائشة وسبب ذلك، وإمامة أبي بكر في الصلاة، ووفاة النبي ﷺ ورأسه في حضن عائشة، ودفنه في بيت عائشة، وتحريم النكاح لأزواجه بعده، وحكمته.

وتحدث في **المبحثين العاشر والحادي عشر** عن عامة أحوالها بعد

وفاة النبي ﷺ، ونشوء الفتن بعد قتل عثمان، وجهودها للإصلاح بين الناس، وحرب الجمل، ووفاتها، وحليتها وملابسها.

وتحدَّث في المبحث الثاني عشر عن أخلاقها وصفاتها، وعباداتها.

وتناولت المباحث الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر موضوعات عطاءها العلمي في مجال القرآن الكريم وعلومه، وعلم الحديث والرواية، والفقه والقياس، وعلم الكلام والعقائد، وأسرار الدين، والطب، والتاريخ والأدب، والخطابة، والشعر، والتعليم، والإفتاء والتوجيه والإرشاد.

وتحدث في المبحثين العشرين والحادي والعشرين عن فضل عائشة على النساء وإحسانها إليهن، ومكانتها بين نساء العالمين.

وختم الكتاب بتحقيق مخطوطة كتاب (عين الإصابة فيما استدركته السيدة عائشة على الصحابة) لجلال الدين السيوطي.

يقول الأستاذ شمس تبريز خان: «بدأ تأليف (سيرة عائشة) وهو طالب، ولكنه عالج فيه موضوعات علوم الفقه والكلام والأدب والتاريخ كعالم متضطلع وبحاثة ناقد، وقدم سيرة أم المؤمنين الطاهرة في أسلوب

يهدي المعارضين كذلك»[1].

حياة مالك:

هذا الكتاب عرض لحياة إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وصفاته وأخلاقه، وكتابه (الموطأ).

كانت له علاقة خاصة بإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وكان يفضل موطأه على الصحيحين، كتب في مجلة (الندوة) سنة ١٩٠٧م مقالاً طويلاً تحت عنوان (حياة الإمام مالك) نشر في أعداد مختلفة، ثم جمعها في كتاب، وطبع فنال قبولاً كبيراً، وصدرت له عدة طبعات.

ومن أهم موضوعات الكتاب: نسب مالك، ومولده، وبيته، وثقافته، وأخذه للعلوم، والمدينة المنورة، وفقهاء الصحابة في المدينة، وفقهاء التابعين في المدينة، وفقها المدينة السبعة، وشيوخ مالك، أخذه القراءة، وسماعه للحديث، شيوخه: نافع، وابن شهاب، وجعفر الصادق، ومحمد بن المنكدر، ومحمد بن يحيى، وأبو حازم، ويحيى ابن سعيد الأنصاري، وعدد شيوخ مالك من أهل المدينة، وشيوخه من غير أهل المدينة على حروف الهجاء، وأخذه للفقه عن ربيعة الرأي، الفقه والفتيا، الفرق بين الفقيه والمحدث، طبقات فقهاء الصحابة الثلاث،

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٤٨٤.

فقهاء المدينة من التابعين، مجالس الفقه في المدينة، فقه أهل المدينة، فقه مالك، عدم خضوعه للسلطة في أمر الحق، كراهيته للرأي، ظنية الرأي، أحواله العامة، انقضاء الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، المنصور العباسي واقتراحه إكراه الناس على العمل بالموطأ، موقفه من العلويين، أخذ الناس على طبقاتهم المختلفة عنه، رحلة الناس إليه، سبب عدم روايته لأحاديث علي وابن عباس، وفاته، أخلاقه وشمائله، كتبه، الموطأ، عدد أحاديثه، الموطأ وغيره من دواوين السنة، مكانة الموطأ من بين سائر كتب الحديث، مزية الموطأ على الصحيحين، روايات الموطأ، شروح الموطأ والتعليقات عليه.

يقول السيد صباح الدين عبد الرحمن: «ألف هذا الكتاب وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً، ولكن يبدو من قراءته كأنه إنتاج مؤلف خبير كبير السن، هدف من خلال تأليفه إلى الإعراب عن حبه وتقديره لفقيه مدينة الرسول ﷺ، وإمام دار الهجرة، وعلم من أعلام الحديث»[1].

الخيام:

ألقى السيد سليمان محاضرة حول (عمر الخيام) في اجتماع

---

(١) (العلامة السيد سليمان الندوي) محاضرة ألقاها السيد صباح الدين عبد الرحمن في بوفال، ص٥.

المؤتمر الاستشراقي لعموم الهند ببتنة في كانون الأول ـ ديسمبر سنة ١٩٣٠م، ونالت المحاضرة قبولاً كبيراً، فزاد فيها أشياء، وطبعها في كتاب في تشرين الأول ـ أكتوبر سنة ١٩٣٣م، ويعد الكتاب من أهم مؤلفاته.

يشتمل الكتاب على عرض ونقد مصادر حياة عمر الخيام، واستعراض لحياته ومآثره، وقائمة مؤلفاته ووصفها، ورسائله باللغتين العربية والفارسية، ورباعياته. واعتمد في رباعياته على مخطوطة الكاتب سلطان علي المتوفى سنة ٩١٩هـ التي كتبها سنة ٩١١هـ قبل وفاته بتسعة أعوام، وهذه هي أوثق النسخ لرباعياته، وليس فيها زيادة منتحلة.

شوهت أوروبة شخصية عمر الخيام، فقدمته كشاعر ماجن لا تهمه إلا الخمور والمنكرات، فرد السيد سليمان عليهم تحريفاتهم بدلائل تاريخية وعلمية وقرر أنه لم يكن مجرد شاعر، بل كان فيلسوفاً كبيراً، وعلامة للهيئة وعلم النجوم والرياضيات، وخبيراً بعامة العلوم العقلية، وكان مسلماً متديناً وزاهداً من الزهاد.

ولعل شبلياً أول من ألقى الضوء على الخيام بشيء من التفصيل، وقام برفع الحجاب عن شخصيته، يقول شبلي: «يعرف الزمان الخيام اليوم كشاعر، ولكنه كان قريناً لابن سينا في الفلسفة، وإماماً في الأدب

والتاريخ، حلاه جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء بـ(إمام خراسان وعلامة الزمان)[1].

وبعد ذلك جاء السيد سليمان فأفرد كتاباً علمياً لحياته ومآثره وفق أعلى المستويات في البحث والتحقيق والنقد.

ذكر السيد الندوي في مقدمة الكتاب سببين لتأليفه، يقول وهو يتحدث عنهما: «الأول أني كانت لي آراء خاصة عن بعض أحداث حياته، ومؤلفاته، وسنيه، ورأيت أن أقدم ثمار أفكاري وتحقيقاتي وآرائي إلى العلماء والباحثين. والثاني أن الناس لم يعرفوه إلى الآن إلا في ضوء رباعياته التي يساورنا شك كبير في نسبها إليه، فنهضت للتعريف به في ضوء كتبه في الفلسفة كأنه شخص جديد، ومن ثم ألحقت بالكتاب مؤلفاته في الفلسفة، حتى يعرفه كل واحد في هذه المرآة»[2].

ورسائل عمر الخيام الفلسفية التي ألحقها السيد الندوي بآخر كتابه هي:

١ ـ **(رسالة الكون والتكليف)**، يقول السيد الندوي في مقدمتها: «أخرجناها من مجموعة الرسائل المسماة (جامع البدائع) المطبوعة بمطبعة السعادة بمصر، باعتناء محيي الدين صبري الكردي شيخ المقرأ

---

(١) شعر العجم، ص٢٠٣.

(٢) مقدمة (الخيام).

بجامع السلطان قلاوون بمصر سنة ١٣٣٠هـ، وفيها ثماني عشرة رسالة فلسفية لعدد من حكماء الإسلام، ومنها ثلاث رسائل للحكيم عمر بن إبـراهيم الخيامي، وأصول هذه الرسـائل كما قال ناشرها موجودة في مكتبة سعادة نور الدين بك مصطفى صهر صاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم، وهي مكتوبة عام ٦٩٩هـ بخط أحد مجيدي خطاطي ذلك القرن، وهو المدعو بـابن العلام، ولم يسـم الناسـخ والطابع الرسـالة الأولى، إلا أن قال فيها: «إنها جواب السيد الأجل. . أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي عن كتاب القاضي. . يسأله فيه عن حكمة الخالق في خلق العالم، خصوصاً الإنسان، وتكليف الناس بالعبادات».

وقال في الثانية: «جواب السيد الأجل. . عمر بن إبراهيم الخيام عن ثلاث رسائل سئل عنها، وسمى الرسالة الثانية (**الضياء العقلي في موضوع العلماء الكلي**).

وقد كان الناسخ والناشر فرّق الرسالة المتصلة الأجزاء فرقتين، وفصلهما بمقدمات تبعد إحداها عـن آخرتها، وظن الأولى والثانيـة رسالتين متفرقتين لا صلة بينهما، ولعمرك إنهما رسـالتان مرتبطتـان أجاب في أولاهما عن سر الكون وخلق الله العالم، وسر تكليفه تعالى الإنسان بالشرع والدين، وسر التضاد في العالم، فأورد عليه السـائل شبهات وزاد، فسأله رأيه عن الجبر والبقاء، فكشف عنها في رسـالته الثانية، وهي الرسالة التي سماها الأولون رسالة الكون والتكليف.

والرسالة الثالثة منها (**رسالة الوجود**) بالعربية، وله رسالة عربية أخرى في الوجود سماها بعضهم (**رسالة الأوصاف للموصافات**)، ورسالة ثالثة سموها (**رسالة كليات الوجود**) وهي بالفارسية.

ثم الرسائل الثلاث المطبوعة للخيامي كانت منغمسة في رسائل جمة لغيره، وسميت المجموعة (جامع البدائع) فلم يهتد إليها إلا رجال قليلون من محبي العلم، فلذلك أحببنا أن نفرد هذه الرسائل الثلاث المطبوعة التي للخيام عن الرسائل التي هي لغيره، ونسميها بما سماها الأولون، ونحذف عنها المقدمات التي زادها الناسخ أو الناشر ليرتفع عنها الحجاب، وتقع عند من يعرف قدر صاحبها موقع الإعجاب، وتكون رسائله كلها مجموعة في دفتر، ومنظمة في سلك لينتفع بها أولو الألباب.

٢ ـ الرسالة الثانية (في الوجود) أو (رسالة الأوصاف والموصوفات)، يقول السيد الندوي في مقدمتها: «أما النسخ التي قابلناها وصححناها فثلاث وكلها خطية.

أولاها للشيخ عبد القادر بن جمال الدين في بيجابور (بمباي) وهي الآن عند الأستاذ الشيخ عبد القادر سرفراز (كلية دكن، بونة)، وهي كثيرة الأخطاء، كتبت في سنة ١٠٢٧هـ بالهند بيد يوسف علي الفقاء، كتبه لحكيم الملك. وكتب على وجهها الأول (الأوصاف للموصوفات)

للحكيم عمر الخيامي، والأخريان في مكتبة برلين، ووجدت صورهما الفوتوغرافية عند الدكتور زبير الصديقي (جامعة كلكتة) فتفضل بهما علي.

فأولاهما بالقطع الصغير بالخط العربي، وهي أصح الثلاث، وأظنها أقدمها لقدامة هيئة خطها، ولم يكتب عليها تاريخ كتابتها، وفي طرة صفحتها الأولى (رسالة الوجود) عن الشيخ الإمام حجة الحق على الخلق عمر بن إبراهيم الخيامي.

وأما ثانيتهما فهي بالقطع المتوسط وبالخط الفارسي، وهي كثيرة الأخطاء والسقطات، كتبت في خامس شهر ربيع الأول لسنة ١٠٩١هـ، وفي آخرها: تمت (الرسالة في الوجود) من تصانيف الحكيم العلامة عمر بن إبراهيم الخيامي خامس شهر ربيع الأول سنة ١٠٩١هـ).

٣ ـ (ميزان الحكم) أو (رسالة في معرفة مقداري الذهب والفضة)، يقول السيد الندوي في مقدمتها: «من مشاهير حكماء القرن الخامس، ومعاصري الخيامي، عبد الرحمن الخازن أو الخازني مولى الشيخ العميد أبي الحسن علي بن محمد الخازني، كانت له منزلة سامية عند السلطان سنجر السلجوقي (٥١١ ـ ٥٥٢هـ)، ووضع له زيجاً سماه الزيج السنجري، كما ذكره البيهقي في كتابه (تتمة صوان الحكمة) وله كتاب جليل في صناعة موازين الفلزّات، وصنعة موازين الماء، سماه (ميزان

الحكمة) وذكر في مبتدئه أنه تولى جمعه وتدوينه مما أشار إليه الحكماء المتقدمون وبسطه المتأخرون في شهور سنة خمس عشرة وخمسمئة، والكتاب يحتوي على مقدمة وثماني مقالات.

ولهذا الكتاب نسختان بالهند:

إحداهما وهي أقدمها وأصحهما في مكتبة جامع بمباي، كتبها أبو نصر أحمد بن محمد العراقي، فرغ منه صبيحة يوم الجمعة غرة ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وخمسمئة، وفي اليوم الثاني والعشرين من تير ماه القديم سنة ٥٥٨ يزدجردية بساحل بحر عمان في موضع نفال، وقد كتب تحته من بعد سطر: الأحد، الثالث عشر من شعبان سنة ست وثمانين وخمسمئة بإصبهان.

فيظهر منه أن النسخة كتبت في عصر لم يبعد عن عصر المؤلف إلا مقدار نحو ثلاثين أو أربعين سنة تقريباً.

والنسخة الثانية لهذا الكتاب في المكتبة الآصفية بحيدرأباد الدكن، كتبها أحمد بن مكي الشيرازي سنة ١٠٣٣هـ، وهي كثيرة الأخطاء، ورقمها (١٢٥) في الرياضيات العربية، وفيها سقطات وبياضات. وقد نشر الفاضل الروسي خانيكوف بعض أجزائها الأولى في المجلة الآسيوية الأمريكانية سنة ١٨٦٠م.

وقد أتى المصنف في المقالة الرابعة من كتابه ميزان الحكمة

برسائل في أوزان الفلزات بالميزان الهوائي والمائي لعدد من الحكماء، منهم عمر الخيامي، فله فيها رسالة في ميزان الماء المطلق، دمجها الخازني في الباب الخامس من المقالة الرابعة من كتابه هذا.

وتوجد نسخة لهذه الرسالة ناقصة النصف في مكتبة غوتة بألمانية، نشرها المستشرق الألماني فريدرك روزن في آخر نسخة الرباعيات المطبوعة بمطبعة كاوياني ببرلين سنة ١٩٢٨م، وهذه الرسالة هي التي ذكرها مترجمو الخيامي، وسماها بعضهم (ميزان الحكم)، وآخر رسالة في معرفة مقداري الذهب والفضة.

يقول الأستاذ رشيد أحمد الصديقي: «كنت أعرف ما كتبه الغربيون عن (الخيام) وما وصفناه به نحن الهنود تبعاً لهم، لكن لما ظهر كتاب (الخيام) للسيد الندوي أخذني سرور بالغ أن صدر كتاب نابغ في اللغة الأردية يقرن مع كبار مآثر أي لغة في العلم والتحقيق، يدل تأليف هذا الكتاب على اشتغال السيد الندوي العلمي المدهش، وبصيرته التاريخية، ونقده الأدبي، ومعرفته العلمية، فقد أحكم الدعاوي العادية بمصادر عملية موثوق بها»[1].

وكتب الشاعر الدكتور محمد إقبال إليه: «إن ما دبجه يراعك عن

---

(١) هم نفسان رفته، ص٢٦.

عمر الخيام لا يمكن لعالم في الشرق أو الغرب أن يزيد عليه، والحمد لله على أن هذا البحث انتهى بتأليفك»[1].

يقول الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن: «إن ما بذله من الجهود خلال تأليفه لهذا الكتاب في تحقيق السنين، ومناقشة الأحداث التاريخية، والرجوع إلى المصادر والمراجع، والبحث عن مؤلفات الخيام في الفلسفة لمأثرة علمية كبيرة، يتجلى به الخيام في ثوب جديد، وأشاد به علماء الهند، وأفغانستان وإيران وأوروبة. وكان كتاب (الخيام) إحدى الهدايا التي قدمتها أفغانستان إلى إيران بمناسبة العيد الألفي للشاعر الكبير الفردوسي، وأجازت الأكاديمية الهندية في إله أباد بخمسمئة روبية عليه»[2].

حياة شبلي:

هو عرض علمي شامل ودقيق لحياة شيخه العلامة شبلي النعماني ومآثره، استغرق تأليفه سنتين ونصف سنة، وطبع سنة ١٩٤٣ في ٨٤٦ صفحة من القطع المتوسط. ويعتبره العلماء والباحثون أفضل ما ألف في سير العلماء المعاصرين في الهند[3]، إنه ليس تاريخاً لرجل، بل تاريخ

---

(١) إقبال نامه، ص١٧٨.

(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٣) مما يزيد الكتاب ثقة أن مؤلفه تتلمذ على العلامة شبلي وصحبه، وشاهد=

لعصر، وأصبح الكتاب مصدراً كبيراً للتاريخ العلمي والاجتماعي والإصلاحي في ذلك العهد، وهو العمدة في دراسة شبلي وعهده، يقول السيد الندوي في مقدمة الكتاب: «إن هذا الكتاب الممتد إلى تسعمئة صفحة ليس عرضاً لحياة رجل واحد من هذا العصر، بل إنه أصبح سجلاً للأحداث العلمية والأدبية والسياسية والتعليمية والدينية والوطنية لمسلمي الهند لمدة خمسين سنة».

واعتمد عليه كل من جاء بعده ممن ألف عن شبلي وما عاصره من شخصيات وأحداث. وقد سمعت شخينا الإمام الشريف أبا الحسن علياً الندوي غير مرة يوصي طلاب دار العلوم لندوة العلماء بدراسته، وكان يؤكد أنه مصدر أساس لدراسة تاريخ الإسلام في الهند المعاصرة.

بدأ الكتاب بذكر ترتيب مواده، والاعتراف بمن استفاد منهم من أصحابه وتعليق جامع على حياة شبلي ومآثره، ومقدمة طويلة عن التاريخ العلمي والثقافي لبلاد شرقي الهند من لكنو وجونبور وأعظم كره وما جاورها من البلدان، ثم مولد شبلي ونسبه، وطلبه للعلم، وتربيته

= السنوات العشر الأخيرة من حياته عن كثب، ولما فرغ من تأليفه عرضه على الأمير العالم حبيب الرحمن خان الشرواني، الذي شارك شبلياً في معظم نشاطاته الاجتماعية والتعليمية، فقرأه وصدقه وزاد فيه أشياء. (انظر مقدمة حياة شبلي، ص٨).

العلميـة، واشتغالاته البدائيـة بعد تخرجه العلمي، ثم تعيينه أستاذاً في علي كره وهو ابن خمس وعشرين سنة، ورحلته إلى العواصم الإسلامية، وتلقيبه بخطاب شمس العلماء، واتصاله بحركة ندوة العلماء، ومشاركته الفعالة في شـؤونها، وارتباطه بإمارة حيدرأباد، ومؤلفاته، وعمادتـه لشؤون دار العلوم لندوة العلماء التعليمية، ثم اعتزاله عنها، وإسهامه في الشؤون الاجتماعية والوطنية، وجهوده الإصلاحية في مجال التعليم، وعكوفه على تأليف كتابه (سيرة النبي) وتأسيسه لدار المصنفين، ووفاته وأهله وأولاده، وأخلاقه وفضائله.

يقول الأستاذ محمد إبراهيم دار: «من أسباب نجاح هذا الكتاب نبوغ مؤلفه العلمي الذي تدل عليه كل صفحة من صفحاته، إن بعض حواشي (حياة شبلي) قيمة ونافعة جداً علمياً وتاريخياً»[١].

شجاعة نساء الإسلام:

جمع فيه قصص بطولات المسلمات، طبع سنة ١٩٤٥م، ونال الكتاب قبولاً كبيراً لندرة موضوعه، وحسن جمعه، وجوة تأليفه.

يادرفتكان:

هذه مجموعة كتاباته عن وفيات أعلام عصره، وأصحابه وأقاربه،

---

(١) الدكتور محمد نعيم الصديقي: علامه سيد سليمان ندوي، ص١٨٨.

طبعت سنة ١٩٥٥م في كراتشي، يتضمن الكتاب مرثياته لـ(١٣٥) شخصية، في أسلوب مؤثر حزين، مع وصف دقيق للأعلام، وعرض قوي لمآثرهم.

يقول الأستاذ محمد أويس النجرامي: «كان السيد الندوي يرمي إلى تدوين تراجم وسير علماء الهند الغابرين والمعاصرين، ومن ثم عقد في مجلة المعارف عنواناً للوفيات، وكان يقول: إن هذه الوفيات ستساعد المؤرخين في المستقبل»[1].

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «ما أسعد من مات بين يدي السيد سليمان من معاصريه وأقرانه، فرثى له وحزن عليه»[2].

من الأعلام الذين يتضمنهم كتابه هذا: العلامة شبلي النعماني، وقرينته، والشاعر المعروف أكبر الإلـه أبادي، والشاعر الثوري حسرت الموهاني، والقائد الأثير محمد علي، والدكتور الشاعر محمد إقبال، والعالم الرباني أشرف علي التهانوي، والعلامة المحدِّث أنور شاه الكشميري، والعالم الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني، والأديب الكبير مهدي إفادي، والكاتب الروائي عبد الحليم شرر، والشاعر الكبير شاء العظيم أبادي، والأستاذ أرنولد، والشيخ عبد العزيز الجاويش

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٢٥٠.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص٣٩.

المصري، وجالب الدهلوي، والعلامة حميد الدين الفراهي، والعلامة محمد رشيد رضا المصري، ومحمد بكتال المسلم الإنكليزي، ومصطفى كمال أتاتورك، والأستاذ مرغليوث، والأديب سجاد حيدر يلدرم، والقائد محمد علي جناح، والشيخ شبير أحمد العثماني، والمفتي الكبير كفاية الله.

يقول عند وفاة شاعر الإسلام الدكتور إقبال: «كان إقبال حرمة الهند، ومكرمة الشرق، ومفخرة الإسلام، قد حرم العالم اليوم هذه المكارم كلها، ولد مثل هذا الشاعر العارف الفيلسوف، والمحب للرسول الكريم ﷺ، وشارح فلسفة الإسلام، وحادي الأمة الإسلامية بعد قرون، ولعله لا يولد مثله إلا بعد قرون، كانت كل ترنيمة من قيثارته جرس القافلة، وكل صوت من نفسه الحزين زبور العجم، وكل نداء من قلبه رسالة الشرق، وكل جناح من شعره جناح جبريل[1]، انتهت حياته الفانية، ولكن كل مأثرة من حياته ستبقى إن شاء الله تعالى معلمة خالدة، نرجو أن يكون هذا الشاعر المتألم للأمة مستظلاً تحت العرش، حيث تلقى عليه أزهار القبول وورود المغفرة... كانت كل لحظة من حياته حاملة لرسالة جديدة لحياة الأمة، كان حاملاً لراية التوحيد الخالص،

---

(١) إن (حرس القافلة) و(زبور العجم) و(رسالة الشرق) و(جناح جبريل) أسماء لدواوين إقبال الشعرية.

وداعياً إلى الدين الكامل، وطالباً للتجديد، كانت كل شعرة من جسده حافلة بمحبة النبي ﷺ، وكانت عيونه باكية لكل مأساة يواجهها جسد الإسلام»[1].

وكتب عند وفاة السيد محمد رشيد رضا المصري: «واأسفاه، لبى أعلم علماء مصر بل العالم الإسلامي العلامة السيد محمد رشيد رضا دعوة الأجل في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ الموافق الثاني والعشرين من آب ـ أغسطس سنة ١٩٣٥م، كان أبرز تلامذة المرحوم المفتي محمد عبده، ومستفيداً من السيد جمال الدين الأفغاني بواسطة، أصله من بلاد الشام، ولكنه هاجر خوفاً من استبداد السلطان عبد الحميد خان إلى مصر، واستوطنها، لعله كان ابن سبعين عاماً حين توفي، ومع ذلك فقد كان موفور القوة، نشيطاً مجتهداً.

وتدور مؤلفاته حول قضايا الإسلام الإصلاحية بصفة خاصة، كانت مجلة (المنار) المنتشرة في أنحاء العالم تصدر تحت رئاسة تحريره، بل الصواب أن المجلة كلها تدين لكتاباته، وكان أهم مؤلفاته تفسير (المنار)، ووافاه الأجل قبل أن يتمه، كان يفسر القرآن وفق مقتضيات العصر. كان في عقيدته متبعاً للسلف، وفي الفقه مجتهداً محققاً، وكانت كتاباته تجمع بين القديم والحديث، وكانت له ملكة

---

(١) يادرفتكان، ص٢٠٩.

كبيرة في الفقه والتفسير والحديث، وآخر مؤلفاته (الوحي المحمدي) الذي طبعت ترجمته الأردية في كلكتة، وكانت كل كتابة من كتاباته تتسم بالتوفيق بين الأفكار القديمة والحديثة، وكان يرى ذلك خدمة نافعة للإسلام في هذا العصر.

في هذا العصر الذي يعد فيه علماء يحملون بصيرة نافذة وتنوّراً في الفكر، ويتصفون بالورع والتقوى، والاطلاع على متطلبات العصر الراهن بالأصابع، فإن وفاة السيد محمد رشيد رضا كارثة كبرى للإسلام، كان مصباحاً للهدى في قصر العالم الإسلامي، واأسفاه! إن هذا المصباح انطفأ للأبد، ووا حزناه وواويلاه!! إن انطفاء هذا المصباح يعني ذهاب نور (المنار) الذي كان يطلع كل شهر بأشعته على العالم بأجمعه، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

كان أول التقائي به في الهند سنة ١٩١٢م حين تفضل بزيارة لكنو ليترأس اجتماع ندوة العلماء بدعوة من المرحوم العلامة شبلي، ثم قابلته في مصر سنة ١٩٢٣م، وكان واسطة لالتقائي بمجلس الخلافة في مصر وشيوخ الأزهر الشريف، وكانت لي أخيراً التقاءات به في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٩٢٦م، كما كانت بيننا مراسلات ومكاتبات»[١].

---

(١) يادرفتكان، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

الصلات بين الهند والعرب:

ألقى السيد الندوي محاضرات حول (الصلات بين الهند والعرب) في شهر آذار ـ مارس سنة ١٩٢٩م بناءً على دعوة من الأكاديمية الهندية بمدينة إلٰه آباد، قام فيها بتذكير المسلمين والهندوس بالعهود الذهبية التي كانت تربطهم فيها أواصر مختلفة وعلاقات متنوعة، تعتبر هذه المحاضرات فريدة في البحث والتحقيق، والعرض والاستدلال. قامت الأكاديمية الهندية بنشرها سنة ١٩٣٠م باسم (الصلات بين العرب والهند)، ونقل الكتاب إلى اللغة الإنكليزية.

قسم الكتاب إلى خمسة أبواب:

يتحدث **الباب الأول** عن بداية الصلات بين العرب والهند، وإغراق العلاقات التجارية بين الشعبين في القدم، وأثبت أن أول أمة باشرت التجارة البحرية هم العرب الفينيقيون القاطنون في سواحل بلاد الشام، وكانت لهم تأثيرات علمية واضحة في الهند قبل مبدأ الإسلام، ثم ذكر حملات المسلمين العرب الأولى وفتحهم لبلاد السند، ثم ذكر تاريخ الهند بواسطة كتابات الجغرافيين المسلمين من أمثال ابن خُرْدَاذْبُه (ت٢٥٠هـ)، وسليمان التاجر (ت٢٣٧هـ)، وأبي زيد حسن السيرافي (ت٢٦٤هـ)، وأبي دلف مسعر بن المهلهل (ت٣٣١هـ)، وبزرك بن شهريار (ت٣٠٠هـ)، والمسعودي (ت٣٠٣هـ)، والإصطخري

(ت٣٤٠هـ)، وابن حوقل (ت٣٣١هـ)، والبشاري المقدسي (ت٣٧٥هـ)، وأبي ريحان البيروني (ت٤٠٠هـ)، وابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) الذين قدموا الهند وقيدوا أحوالها في رحلاتهم، فكتاباتهم أكبر مصادر لتاريخ الهند القديمة. ثم ذكر المؤرخين والجغرافيين العرب الذين لم يدخلوا الهند، ولكن كتبوا عنها.

ناقش في **الباب الثاني** العلاقات التجارية، وألقى الضوء على قدم هذه العلاقات، وأهمية التجار العرب في بلاد المشرق والمغرب، وتفاصيل طرقها التجارية، ومنازلها، وموانئها، وتجارة غير العرب من الشعوب في الهند، والمنتجات والصناعات الهندية وغيرها من الأشياء التجارية، والاستيراد والتصدير التجاري، والتجار الهنود في بلاد العرب، وسعة بواخر بحر الهند، وتجارة الهند البحرية، كما ذكر البحار العربي ابن ماجد، وأن العرب كانوا أعرف بطرق الهند البحرية قبل البرتغاليين.

وعالج في **الباب الثالث** موضوع العلاقات العلمية، وأظهر فيه أن الاتصال العلمي بين العرب والهند بدأ منذ عهد بني أمية، ثم تطور ذلك تطوراً واسعاً في عهود العباسيين، وذكر اهتمام خلفاء بني العباس بالعلوم والآداب ونقلها إلى اللغة العربية، والدور الرائع الذي لعبه البرامكة في تقدم العلوم.

وحقق أن البرامكة لم يكونوا مجوساً، وإنما كانوا بوذيين من أصل فارسي، ومن ثم كانت لهم علاقات طيبة بالهند، واستدعوا علماءها إلى عاصمة الخلافة.

وذكر في هذا الباب كتب الطب، والنجوم، وعلم الهيئة، والحساب، والبيطرة، والموسيقى، والحرب، والسياسة، والمنطق، والكيمياء، والجفر، والرمل، والقصص، والأخلاق التي نقلت من السنسكريتية إلى العربية، كما ترجم لعلماء الهند الذين أقاموا ببغداد، وختم هذا الباب بترجمة البيروني الذي خدم علوم الهند وآدابها وتاريخها وحضارتها ما لم يقم به هندي، حتى أصبحت كتاباته أكبر مصدر لتاريخ علوم الهند وثقافتها القديمة.

وتحدث في الباب الرابع عن العلاقات الدينية، وأزال فيه الشكوك التي أثارتها الكتابات الإنكليزية لخلق الكراهية ضد الإسلام والمسلمين في قلوب الهندوس، حيث اختلقوا أساطير قتل المسلمين للهندوس، وهدم معابدهم، وإكراههم على الدخول في الإسلام. وذكر براءة الإسلام من تصرفات بعض الحكام والملوك الترك والأفغان الذين لم يمثلوا الإسلام تمثيلاً صادقاً، وأكد أن العرب هم الذين مثّلوا الإسلام التمثيل الصحيح، فلم يتجاوزوا حدود الإسلام في معاملاتهم لرعاياهم، ولم يتدخلوا في شؤونهم الدينية، ولم يهدموا معابدهم، وسوَّوا بينهم

وبين أهل الكتاب في الحقوق غير أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، حتى أحبهم سكان السند ودخلوا في دينهم عن طواعية النفوس، وأثبت أن فكرة التوحيد الخالص لم يكن لها وجود في الهند إلا بعد دخول المسلمين فيها، وأن أحد ملوك السند البوذيين هو أول من أمر بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة السندية.

وتحدث في **الباب الخامس** عن المجموعة السكانية للمسلمين قبل غزو الملوك الغزنويين للهند، وكشف فيه عن أن جنوبي الهند لم يدخل تحت سيطرة المسلمين إلا في العهد الأخير، ولكن هذه المنطقة هي التي دخلها المسلمون أول ما دخلوا الهند، فلا تجد مدينة ساحلية أو تجارية في جنوبي الهند إلا والمسلمون فيها عامرون، وقد بلغ عددهم في بعض المدن الألوف، وقد أثرت أخلاقهم تأثيراً كبيراً في نفوس ملوك الهندوس، وكان هؤلاء الملوك يبذلون للمسلمين كل تكريم واحترام، ويوفرن لهم التسهيلات من كل نوع، فكانت لهم مساجد، بل كان لهم نظامهم الديني في المناطق التي كثر فيها عددهم، وكان لهم فيها أئمة وقضاة، كما دخل بعض ملوك الهندوس في الإسلام بفضل هؤلاء المسلمين.

وتحدث في **الباب الأخير** عن تاريخ الإسلام في بلاد السند وملتان، وأن مئات من المسلمين سكنوها قبل غزو محمد بن قاسم الثقفي لها، كما تحدث فيها عن أمرائها العرب، ثم ملوكها المسلمين من غير العرب.

الملاحة عند العرب:

ألقى السيد الندوي في شهر آذار ـ مارس سنة ١٩٣١م بناءً على دعوة من قسم التعليم لحكومة بمباي أربع محاضرات حول موضوع (الملاحة عند العرب) في قاعة جمعية الإسلام في بمباي، عالج فيها موضوع الملاحة عند العرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومعرفة العرب لبحار العالم ومؤلفاتهم عنها، واكتشافاتهم البحرية، وأجهزتهم وآلاتهم للبحارة، ومحاولاتهم لعبور البحر المحيط، وإمكان اكتشاف أمريكة، طبعت هذه المحاضرات في دار المصنفين سنة ١٩٣٥م، ونقل الكتاب إلى اللغة الإنكليزية.

تحدث أولاً عن معرفة العرب بالبحار، وملاحتهم في ضوء كلام العرب، والقرآن الكريم، ثم تحدث عن رحلات العرب البحرية في عهد النبي ﷺ، ثم تحدث عن تطور الملاحة عند العرب في عهد الخلفاء الراشدين، والتي بدأت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث افتتح معاوية وهو عامله على الشام عدة جزر في بحر الروم، ولقد تطور العرب في عهد بني أمية في الملاحة تطوراً كبيراً، والتي ساعدت المسلمين خلال سنين من فتح إسبانية وبعض الجزر الأوروبية، وكانت قوة العرب البحرية تفوق غيرهم من الشعوب والأمم بكثير.

ثم تحدث عن تطور الملاحة في عهد بني العباس، وألقى الضوء

عليها بشيء من التفصيل، كما تحدث عن موانئ العرب القديمة والجديدة في بلادهم في العراق، وتجارتهم، والموانئ التي كانت سفن العرب تنزل بها.

ثم تحدث عن آثار العرب العلمية في الملاحة، ومخترعاتهم، واطلاعهم المدهش على أسرار البحار، ومعرفتهم بالمحيط الأطلسي، والبلدان الواقعة في جزره، وبحر الصين، وبحر الكاهل وبلدانه، ومؤلفاتهم عن البحار، والجزر، وطرقها.

كما تحدث عن خرائط العرب البحرية، ومناراتهم، وأعلامهم، والنجوم التي كانوا يهتدون بها في البحار، والرياح البحرية، ومؤلفات العرب عنها وعن جغرافية البحار.

يتحدث السيد الندوي عن تاريخ الملاحة العربية فيقول: «بلاد العرب أراض محاطة بالبحار ـ الخليج الفارسي وبحر الهند والبحر الأحمر وبحر الحبشة ـ من جوانبها الثلاث، ولذلك يسمون بلادهم الجزيرة، وسميت جزيرة العرب في كتب القرن الأول، وحُددت بحارها.

يعرف الجميع أن بلاد العرب أرض قاحلة، وواد غير ذي زرع إلا اليمن وبعض البلدان الساحلية، ومن الطبيعي أن يتكسّب أهل مثل هذه البلاد بالتجارة، ولذلك نجد العرب منذ أقدم زمن في التاريخ مشتغلين بالتجارة، جاعلين إياها شعارهم ودثارهم، والسيارة التي ذهبت بسيدنا

يوسف عليه السلام إلى مصر كانت من خلّص العرب، وجملة القول: إننا نرى العرب منذ زمن غير معلوم منهمكين في تجارتهم البرية والبحرية، متنقّلين في البلدان المجاورة بنوقهم وجمالهم»[1].

وأما عن مسألة ما إذا كان للعرب عهد بالملاحة قبل الإسلام فيقول: «وعندنا شواهد تدل على أن العرب كانت لهم يد نافذة في هذا الفن قبل الإسلام».

ولما جاء الإسلام ورقى قوتهم الفكرية ورغّبهم في اقتناء المكارم واقتحام الشدائد زادت جرأتهم ونجدتهم البحرية حركة ونشاطاً حتى بلغوا أقصى حدود العالم، وبسطوا جناح الإسلام وظله الوارف على جميع أنحاء المعمورة.

وشواهد الملاحة عند عرب الجاهلية ورحلاتهم البحرية تستند إلى ثلاثة مصادر: لغة العرب، وشعر العرب، وكتابهم المنزل من السماء، وهذه المراجع الوثيقة تؤيد أن العرب منذ قديم الزمان كانوا ماهرين في الملاحة، يركبون البحار، ويتجشمون الأخطار.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن اللغة لا تضم بين جوانحها إلا الكلمات

---

(١) الملاحة عند العرب، تعريب الأستاذ مسعود عالم الندوي (بشيء من التصرف) مجلة الضياء عدد شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٣هـ، ص١٢٣.

المعبرة عن أشياء يكون لها رواج في الأمة، ولا تجد في لغة ما كلمات تؤدي المعاني التي لا وجود لها في أهلها. واللغة العربية مكتظة بالألفاظ التي تدل على الملاحة والرحلات البحرية والسفن، وفيها مفردات يبدو أنها كلمات أجنبية، واستعيرت من أمم أخرى، وبها نقدِّر العلاقات البحرية التي كانت لهم مع غيرهم من الأمم(١).

وأما وجود مصطلحات الملاحة في الشعر العربي الجاهلي فيتحدث عنه السيد الندوي قائلاً: «ليس عندنا شيء يعتمد عليه في تاريخ العرب قبل الإسلام إلا الشعر، ولذلك قيل (الشعر ديوان العرب) ومن البين أنه لا يمكن العثور على ذكر البحار والمراكب والملاحة إلا في كلام الشعراء الذين يسكنون شواطئ البحار والأنهار، ولذلك ربما تجد التلميحات المنطوية على ذكرها في شعر الذين كانوا يترددون إلى البحرين والخليج الفارسي، ويتكسبون من رفادة المناذرة سلاطين الحيرة الجبابرة الذين كانوا ملوكاً على شواطئ دجلة والفرات من العراق»(٢).

ويقول تحت عنوان (فكرة قناة السويس): «نبتت هذه الفكرة بادئ

---

(١) الملاحة عند العرب، تعريب الأستاذ مسعود عالم الندوي (بشيء من التصرف) مجلة الضياء عدد شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٣هـ، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) الملاحة عند العرب، تعريب الأستاذ مسعود عالم الندوي (بشيء من التصرف) مجلة الضياء عدد جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ، ص١٦٢.

ذي بدء في عقل عمرو بن العاص عامل مصر، بأن دار في خلده أن يخرق ما بين بحر القلزم وبحر الروم حتى يتصل البحران، لكن عمر لم يوافقه على رأيه، ذكر أبو الفداء في جغرافيته عن أبي سعيد المغربي «عند الفرما يقرب بحر الروم من بحر القلزم حتى يبقى بينهما نحو سبعين ميلاً، قال: وكان عمرو بن العاص أراد أن يخرق ما بينهما في مكان يعرف بذنب التمساح، فنهاه عمر بن الخطاب، وقال: كانت الروم تتخطف الحجاج»[1].

وأي شرقي لا يشهد اليوم بثقوب فكرة عمر رضي الله عنه وسداد رأيه وحذقه في السياسة؟ والخطر الذي خشيه عمر وتوجس منه شراً قد تبدى اليوم حقيقة لا يختلف فيها اثنان ولا ينتطح عنزان[2].

* * *

(١) تقويم البلدان لأبي الفداء طبع باريس، ص١٠٦.

(٢) الملاحة عند العرب، تعريب الأستاذ مسعود عالم الندوي (بشيء من التصرف) مجلة الضياء عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣هـ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

الفصل الرابع

الكتابات الأدبية

يمتاز السيد الندوي بالسلقية الكتابية الفريدة، وهو صاحب أسلوب خاص، وذلك لما يملك من كفاءة أدبية عالية، ويوجد هذا الذوق الأدبي الرفيع في جميع كتاباته، وإنما أعرض هنا بعض ما ألفه في موضوع الأدب خاصة:

نقوش سليماني:

هذه مجموعة محاضراته ومقالاته عن اللغة الأردية وآدابها وتاريخها، طبعت في آخر سنة ١٩٣٩م كأنها مرآة للحركات الأدبية في بداية القرن العشرين، ونال الكتاب قبولاً كبيراً، وأُدخل في المقررات الدراسية للجامعات في الهند.

ومن الموضوعات الهامة التي عالجها هذا الكتاب وناقشها مناقشة علمية: تاريخ اللغة الأردية، وتحقيق اسمها، وعرض ونقد شعر أكبر الإله أبادي، ودائرة المعارف باللغة الأردية، وقضية تطوير اللغة الأردية،

وتحقيق بعض الكلمات القديمة، وقضية التهنيد، وعرض لرسائل شبلي، ورسائل الكاتب الأردي الكبير مهدي، وعرض لشعر العلامة ألطاف حسين حالي، وغيرها من الموضوعات الأدبية والتحقيقات العلمية النادرة.

يقول الأستاذ معين الدين الندوي: «هذا الكتاب تاريخ كامل للغة الأردية، وسرد شامل للقضايا التي واجهتها اللغة خلال ربع قرن»[1].

ويقول العلامة عبد الماجد الدريابادي: «ما هذا الكتاب؟ إنه سجل لنبوغ السيد سليمان في الأدب والنقد، مختوم عليه»[2].

دروس الأدب:

ألفه سنة ١٩٠٨م للقراءات الأدبية في المدارس العربية، ولا يزال مقرراً تدريسه في كثير من المدارس العربية في شبه القارة الهندية.

لغات جديدة:

قرر الاجتماع السنوي لندوة العلماء المنعقد في دهلي سنة ١٩١٠م أن يدوَّن قاموس للكلمات العربية الجديدة، وفوضت هذه المسؤولية

---

(١) حياة سليمان، ص٤٧٥.
(٢) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان، ص٢٣٢.

إلى السيد سليمان، فأنجزها في سنتين، وقدمه في اجتماع ندوة العلماء المنعقد سنة ١٩١٢م في لكنو الذي ترأسه العلامة محمد رشيد رضا من مصر، وطبع هذا القاموس باسم (لغات جديدة) في السنة نفسها.

بدأ الكتاب بمقدمة تناول تطور اللغة العربية، وتحقيق الكلمات الدخيلة والمعرَّبة، ويشتمل هذا القاموس على شرح أربعة آلاف كلمة تقريباً.

* * *

الفصل الخامس

الكتابات المتفرقة

رسالة أهل السنة والجماعة:

هي مجموعة مقالاته في تحقيق معنى أهل السنّة والجماعة. نشرت في أعداد مجلة (المعارف) سنة ١٩١٧م، ثم طبعت في كتاب، وعم نفعه، ونقل إلى اللغات الهندية مليالم وتليكو والبنغالية.

وأهم العناوين التي تناولها في هذه الرسالة بالشرح والإيضاح والنقاش هي: معنى السنة والجماعة، ومعنى البدعة، وكيف يتحول الأمر إلى الفساد بعد صلاحه، وفلسفة الجماعة، والشذوذ في الإسلام، والخروج على الجماعة، اختلاف أصحاب النبي ﷺ، وظهور الفِرَق، أهل السنة أي الجماعة المحايدة، أهل السنة في علم الكلام، المميزات العقلية والفكرية للعرب والعجم، كيف صارت مدينتا الكوفة والبصرة مركزي الخلافات، اختلاف الآراء والأفكار بعد الشجار بين أصحاب النبي ﷺ، رأي أهل السنة، والتقسيم المحلي للفرق والطوائف، وظهور الفرق الدينية في عهد بني أمية، تشتت الطوائف والفرق، عوامل الضلال،

التفلسف، والتوسع في المعتقدات، وتأويل المتشابهات، الأشاعرة والحنابلة والماتريدية، معنى أهل السنة عند المتقدمين، والجبر والقدر، ومسألة الصفات، والقرآن، والاستواء، وإزالة بعض الشُّبه، العقائد الصحيحة لأهل السنة، ومنافع العقائد، وشرح بعض المصطلحات في كتب العقائد والكلام.

ومباحث هذه الرسالة كلها منقحة واضحة قيمة، فمثلاً يستنتج في أمر البدعة أن البدعة لا تكون إلا أمراً أحدث في الدين، فإن لم يكن أمراً دينياً لن يعد بدعة[1].

يقول في حديثه عن مميزات العرب والعجم: «كما أن للأفراد أخلاقاً ومميزات طبيعية، كذلك تتصف الشعوب والأمم بمميزاتها وأخلاقها الطبيعية، فالعرب بطبعهم أمة العمل، بينما الفرس يحلقون في أجواء الأوهام والتخيلات، فالدارسون لعلم الكلام لا يخفى عليهم أن قوى العرب العملية كلها كانت حية نشيطة قبل أن يحتكوا بالفرس، كان النبي ﷺ نهى المسلمين عن التشبه بغيرهم من الأقوام، وكانت الحكمة وراء ذلك أن تبقى أخلاق المسلمين على السنة الصحيحة للإسلام والعربية[2].

---

(١) رسالة أهل السنة والجماعة، ص١٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

ويؤكد أن مذهب السلف الصالح أحق بالاتباع، أما المتأخرون ممن يتسمَّون باسم أهل السنة والجماعة فلا يمتون إلى السنة والجماعة إلا فيما وافقت مذاهبهم الكتاب والسنة، يقول السيد الندوي:

«في الإسلام طوائف وفرق تنسب نفسها إلى أهل السنة، وهي منهم براء، والسبب في ذلك أن الأصول التي قررها السلف الصالح في باب العقائد قام المتأخرون بإحداث التغييرات فيها خوفاً من مطاعن العقلانيين، ورغم ذلك فإنهم يرون أنفسهم أهل السنة، بل يلحّون على أنهم أحق بهذا الخطاب من غيرهم.

انقسم أهل السنة منذ القرنين الثالث والرابع إلى ثلاثة مذاهب: الأشاعرة، والحنابلة، والماتريدية، أما الأشاعرة فينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ويعتبر شارحاً لعقائد الإمام الشافعي، ومن ثم ترى الشافعية أشاعرة. وأما الحنابلة فهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل، والماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي الذي ينتسب إلى الإمام أبي حنيفة فاتبعه الحنفية في عقائدهم، وعلى كل فعقائدهم توافق مذهب السلف الصالح، ولكن الخطأ الذي وقع فيه المتأخرون هو أن المسائل التي سكت عنها الشارع لم يفوضوها إلى علم الله، وأتوا بدعاوى ومزاعم في تأويلها على غرار الفرق والطوائف الأخرى، وأدخلوا كثيراً من الآراء الفلسفية التي لا تتصل بالشريعة في العقائد.

فتبين من هذه التصريحات أن الفرق بين التاركين للسنة والمتأخرين من أهل السنة الذين تأثروا بالمعتزلة وغيرهم من الطوائف العقلية، وأجروا تغييرات في أصول السلف من أهل السنة، وحاولوا التوفيق بين مذهبهم وبين العقل قليل جداً، والواقع أن مقالات هؤلاء المتأخرين لا تمتّ لعقائد أهل السنة والسلف الصالح بصلة ما، إلا قدر ما قاربت الكتاب والسنة[1].

رحلة أفغانستان:

قام السيد سليمان الندوي برحلة إلى أفغانستان في تشرين الأول ـ أكتوبر سنة ١٩٣٣م بناءً على دعوة من ملك أفغانستان لصياغة المناهج التعليمية بها، فجمع أحداث رحلته، وملاحظاته ولقاءاته. في كتاب طبع في حيدرأباد سنة ١٩٤٥م.

رسائل سليمان:

طبعت عدة مجموعات من رسائله:

إحداها (بريد الإفرنج) طبع سنة ١٩٥٢م في كراتشي، وهي رسائله التي كتبها إلى أصحابه في رحلته إلى أوروبة سنة ١٩٢٠م.

(١) رسالة أهل السنة والجماعة، ص٥٤ ـ ٥٥.

والثانية (مكاتيب سليمان) طبع في كراتشي سنة ١٩٥٤، وهي رسائله التي كتبها إلى الأستاذ مسعود عالم الندوي.

والثالثة (مكتوبات سليماني) قام بتدوينها ونشرها في جزءين العلامة عبد الماجد الدريابادي سنة ١٩٦٣م وسنة ١٩٦٧م.

يقول الأستاذ خواجه أحمد الفاروق في حديثه عن رسائل السيد الندوي: «إن رسائل العلامة إقبال مهمة جداً، لأنها رسائل شاعر كبير، تساعد في فهم فكره، ونظامه، لكنها لا تتصف بمحاسن الإنشاء والكتابة، فجمله وعباراته متكدرة بالكلمات الإنكليزية، ومثقلة بقيود الفارسية، بينما رسائل السيد سليمان الندوي تفوقها كثيراً في الإمتاع، فإنها تتصف ببعد النظر ومحاسن الإنشاء والكتابة»[1].

مقالات سليمان:

وإلى جانب هذه المؤلفات العلمية القيمة فقد قام السيد الندوي بكتابة مئات من المقالات حول الموضوعات العلمية والأدبية المختلفة طبعت في مجلة (الندوة) ومجلة (المعارف) وغيرهما من المجلات والصحف العلمية والأدبية، مثل: (المحبة الإلـهية والإسلام) و(معاملة

---

(١) الدكتور محمد نعيم الصديقي: علامه سيد سليمان ندوي، ص١٥١ ـ ١٥٢.

الحيوانات في الإسلام) و(أحكام القرآن) و(التوكل) و(المعنى القرآني للصبر) و(الجزء الشرعي من الدين) و(قصة الأرض المقدسة) و(أرض الحرم والأحكام القرآنية) و(بشرية خليل الله) و(الذبح العظيم) و(الجانب الاقتصادي في الأضاحي) و(التصوف والمحدثون والصوفية) و(معنى اسم الجلالة) و(الإسلام وتحريم الربا) و(الجبر والقدر) و(هل خلق المشلولين يعارض العدل الرباني؟) و(اختلاف أحوال الأطفال في ضوء العقيدة الإسلامية) و(بعثة الأمة المسلمة) و(غرض خلق العالم) و(الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم) و(السنة) و(الوحي) و(الوحي وملكة النبوة) و(هل صدر القرآن الكريم من عقل بشري؟) و(الحكومة الإلٰهية لدى المسلمين) و(الحضارة الإسلامية) و(قضية حقوق المرأة المسلمة) و(الإسلام ونساء الهند) و(حماية حقوق الزوجين) و(تدوين الأحاديث والسير كتابة) و(الكنز القديم لأسماء الرجال) و(سلطة خلفاء الإسلام) و(منهج حكم الخلفاء الراشدين) و(حقوق الزراع في الهند المعاصرة) و(نظريات السياسة الإسلامية) و(التنظيم الديني لمسلمي الهند) و(الثورة الفكرية في العالم الإسلامي) و(قضية تنظيم العالم الإسلامي) و(نظام الأمة الإسلامية) و(النظام الشرعي لمسلمي الهند) و(التطور العلمي والتعليمي للهندوس في العهود الإسلامية) و(النظام العسكري للمرهتة) و(المدارس النسائية في العهود الإسلامية) و(كيف انتشر الإسلام في الهند؟) و(علم الحديث في الهند) و(فلاسفة الإسلام وفلاسفة اليونان) و(النظام وفلسفته) و(أسرة صانعة للأجهزة الفلكية في

لاهور) و(مؤلفات العرب البحرية) و(أساطير من الكاثوليك الرومان) وغيرها من المقالات والبحوث العلمية والأدبية.

وقد جمعت هذه المقالات في مجموعات طبعت منها إلى الآن ثلاثة مجلدات كبار.

محاضراته:

وقد ترأس السيد الندوي اجتماعات مجلس الخلافة، وجمعية علماء الهند، والمؤتمر التعليمي للمسلمين، ومؤسسة المعارف الإسلامية بلاهور، والأكاديمية الهندية بمدينة إله أباد، ودائرة المعارف بحيدرأباد، والمؤتمر التاريخي لعموم الهند وغيرها من المجالس الدينية والعلمية والأدبية والسياسية وألقى فيها محاضرات.

كما ألقى المحاضرات في غيرها من المؤتمرات والندوات العلمية، وقد تم حفظ بعض هذه المحاضرات، وطبعت في مجلة (المعارف).

فضل كتاباته:

يقول الأستاذ معين الدين أحمد الندوي: «يمكن أن يقدَّر من إلقاء نظرة عابرة على قائمة موضوعات مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته سعة نظره ودقة فكره، وشموله وتكامله في العلم، كان مثالاً فذاً فريداً في هذا العصر لجمعه بين العلوم، تتجلى فيه المحاسن العلمية لابن رشد، وابن

خلدون، وابن تيمية، وابن القيم، وأبي حامد الغزالي، والعارف الرومي، وأحمد السرهندي، وولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، فانتفع المسلمون بكتاباته ما لم ينتفعوا بكتابات غيره في هذا العصر .

إنه لسهل ميسور أن ترشد الغافلين والمتكاسلين من أهل العقيدة الصحيحة إلى حياة التدين والورع والتقوى، ولكنه من الصعب العسير توجيه المثقفين الضالين والباحثين الشاكين والجاحدين .

ولن ينكر منكر أن هذا العمل الصعب قامت بتحقيقه كتابات السيد الندوي خير قيام، فأصبح الذين يستحيون من دينهم وحضارتهم يعتزون بهما، ونشأ فيهم حب لهما ورغبة فيهما، فهدى الله بالسيد الندوي الألوف من الضالين من الطبقة المثقفة من بين المسلمين»[1] .

* * *

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندويّ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن درسنا هذه الصفحات المنيرة من حياة العلامة السيد سليمان الندوي، ومآثره الخالدة، وآثاره العلمية الباقية ظهر لها جلياً أن السيد الندوي كان علماً بارزاً من أعلام المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، وشخصية علمية فذة، وكاتباً قديراً عملاقاً، أثر في جيله وعصره تأثيراً عميقاً واسعاً في شتى مجالات العلم والثقافة والمعرفة، ودافع عن الإسلام عقيدة وحضارة، وتاريخاً وسلوكاً، دفاعاً قوياً في وجه التحديات الهائلة من الاستشراق، والتبشير، والمبهورين بالحضارة الغربية، والمتعصبين من أصحاب المذاهب.

ودعا إلى صفاء العقيدة ونقائها وطهارتها من شوائب الفلسفة والعقلانية، والالتزام بمذهب أهل السنة والجماعة، واتباع منهج السلف الصالح من الأئمة المتقدمين، ووزن أقوال العلماء ومذاهب الفقهاء والمتكلمين بميزان الكتاب والسنة.

وقام بدور الريادة والقيادة والتوجيه في الشؤون الاجتماعية والأوضاع السياسية للبلاد.

وقام بتمثيل الإسلام في المجتمعات الإسلامية والمجامع الأدبية بخلقه الرفيع، وسلوكه الإسلامي القويم، والالتزام بالصفات الحميدة.

ودعا إلى الجمع بين القديم والجديد مع التصلب في الأصول، والتوسع في الفروع في وسطية واعتدال، فكان أفضل ممثل لندوة العلماء.

يقول الأستاذ سعيد أحمد الأكبر أبادي: «إن الثورة الكبيرة التي حدثت في القرن العشرين في عقل المجتمع الإسلامي الهندي وفكره، وطبقته المثقفة بالثقافتين القديمة والجديدة، ومنهج التأليف والكتابة خلال نصف قرن، وأساليب الاستدلال، والعواطف والميول الحضارية، يدين إلى حد كبير للعلامة السيد سليمان الندوي ومآثره العلمية والعملية، رحمه الله تعالى»[1].

رحم الله العلامة الإمام السيد سليمان الندوي، وأدرَّ عليه شآبيب رحمته، وأسكنه فسيح جنانه، ونفعنا بعلمه، ووفقنا لخدمة الإسلام والمسلمين في إخلاص وأعمال صالحة، وعلى الله قصد السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) مجلة (المعارف) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص١٥٧.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

ـ براني جراغ (المصابيح القديمة) ثلاثة أجزاء، للعلامة السيد أبي الحسن علي الندوي، كراتشي.

ـ تاريخ ندوة العلماء، مجلدان، المجلد الأول لمحمد إسحاق جليس الندوي، والمجلد الثاني لشمس تبريز خان، ندوة العلماء بلكنو، ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ الموافق لـ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

ـ حياة سليمان، للأستاذ معين الدين أحمد الندوي، مجمع دار المصنفين بأعظم كره، ١٩٧٣م.

ـ حياة شبلي، للسيد سليمان الندوي، مجمع دار المصنفين بأعظم كره ١٩٨٨م.

ـ سيد سليمان ندوي، للأستاذ أبي علي الأثري، كجرانوالة، باكستان، ١٩٨٥م.

ـ سيرة النبي، للعلامة شبلي النعماني، لاهور، ١٩٩١م.

ـ شخصيات وكتب، لأبي الحسن علي الندوي، دار القلم بدمشق.

- علامه سيد سليمان ندوي: شخصيت وأدبي خدمات، للدكتور محمد نعيم الصديقي، كراتشي.

- مجلة (بياد علامه سيد سليمان ندوي) ترتيب: صبيح محسن، كراتشي.

- مجلة (صد ساله يوم بيدائش علامه سيد سليمان ندوي رحمة الله عليه) ترتيب: صبيح محسن، كراتشي.

- مجلة (المعارف) الصادرة في دار المصنفين بأعظم كره، الهند.

- موج كوثر، للشيخ محمد إكرام، إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور ١٩٩٠م.

- نزهة الخواطر، للعلامة الشريف عبد الحي الحسني، حيدرأباد، ١٣٩٩م.

- يادرفتكان، للعلامة السيد سليمان الندوي، كراتشي، ١٩٨٣م.

* * *

الفَهـرَسُ

* * *

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم لطائفة كبيرة من أعلام المسلمين عبر القرون، تناولت : عصورهم، ومراحل حياتهم، وأعمالهم العظيمة، وكتاباتهم المفيدة، وفضائلهم الرفيعة، وأخلاقهم الحميدة

صدر منها حتى هذا العدد

خمسة وثمانون كتاباً

وهذه قائمة بأسماء أولئك الأعلام الذين تناولتهم هذه السلسلة ، وأسماء المؤلفين

اسم العَلَم	اسم المؤلف
١ ـ عبد الله بن المبارك «الإمام القدوة»	محمد عثمان جمال
٢ ـ الإمام الشافعي «فقيه السنّة الأكبر»	عبد الغني الدقر
٣ ـ مصعب بن عمير «الداعية المجاهد»	محمد حسن بريغش

٤ ـ عبد الله بن رواحة — د. جميل سلطان
«أمير شهيد وشاعر
على سرير من ذهب»

٥ ـ أبو حنيفة النعمان — وهبي سليمان غاوجي
«إمام الأئمة الفقهاء»

٦ ـ عبد الله بن عمر — محيي الدين مستو
«الصحابي المؤتسي برسول الله ﷺ»

٧ ـ أنس بن مالك — عبد الحميد طهماز
«الخادم الأمين والمحب العظيم»

٨ ـ سعيد بن المسيِّب — د. وهبة الزحيلي
«سيد التابعين»

٩ ـ السلطان محمد الفاتح — د. عبد السلام فهمي
«فاتح القسطنطينية وقاهر الروم»

١٠ ـ الإمام النووي — عبد الغني الدقر
«شيخ الإسلام والمسلمين
وعمدة الفقهاء والمحدثين»

١١ ـ الشيخ محمد الحامد — عبد الحميد طهماز
«العلاَّمة المجاهد»

١٢ ـ السيد عائشة — عبد الحميد طهماز
«أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام»

١٣ ـ الإمام البخاري — د. تقي الدين الندوي
«إمام الحفاظ والمحدّثين»

١٤ ـ عبادة بن الصامت — د. وهبة الزحيلي
«صحابي كبير وفاتح مجاهد»

١٥ ـ عبد الله بن عباس — د. مصطفى الخن
«حبر الأمة وترجمان القرآن»

١٦ ـ جابر بن عبد الله — وهبي سليمان غاوجي
«صحابي إمام وحافظ فقيه»

١٧ ـ أحمد بن حنبل — عبد الغني الدقر
«إمام أهل السنّة»

١٨ ـ كعب بن مالك — د. سامي مكي العاني
«شاعر العقيدة الإسلامية»

٤٢ ـ سعد بن الربيع الأنصاري «النقيب الشهيد»	محمد علي كاتبي
٤٣ ـ الإمام الغزالي «حجة الإسلام ومجدِّد المئـة الخـامسـة»	صالح أحمد الشامي
٤٤ ـ الإمام الزهري «عالم الحجاز والشام»	محمد حسن شرّاب
٤٥ ـ عبد القادر الجيلاني «الإمام الزاهد القدوة»	د. عبد الرزاق الكيلاني
٤٦ ـ الإمام البيهقي «شيخ الفقه والحديث وصاحب السنن الكبرى»	د. نجم عبد الرحمن خلف
٤٧ ـ محمد بن الحسن الشيباني «نابغة الفقه الإسلامي»	د. علي أحمد الندوي
٤٨ ـ أُبيّ بن كعب «صاحب رسول الله وسيّد القـرّاء فـي زمـانـه»	صفوان داوودي

٤٩ ـ الإمام مسلم بن الحجاج — مشهور حسن سلمان
«صاحب المسند الصحيح
ومحدِّث الإسلام الكبير»

٥٠ ـ الحافظ الذهبي — عبد الستار الشيخ
«مؤرخ الإسلام ـ ناقد المحدّثين ـ
إمام المعدِّلين والمجرِّحين»

٥١ ـ الإمام علي بن المديني — إبراهيم محمد العلي
«شيخ البخاري وعالم
الحديث في زمانه»

٥٢ ـ سفيان الثوري — عبد الغني الدقر
«أمير المؤمنين في الحديث»

٥٣ ـ محمد بن إسحاق — محمد أبو صعيليك
«إمام أهل المغازي والسِّيَر»

٥٤ ـ الإمام عبد الحيّ اللكنوي — د. ولي الدين الندوي
«علاّمة الهند وإمام
المحدِّثين والفقهاء»

٦٣ ـ الإمام الخطّابي — د. أحمد الباتلي

«المحدّث الفقيه والأديب الشاعر»

٦٤ ـ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي — إياد خالد الطباع

«مَعْلمة العلوم الإسلامية»

٦٥ ـ مصطفى صادق الرافعي — د. محمد رجب البيومي

«فارس الكلمة تحت راية القرآن»

٦٦ ـ جمال الدين القاسمي — د. نزار أباظة

«أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام»

٦٧ ـ أبو عبيدة عامر بن الجراح — محمد حسن شرّاب

«أمين الأمة وفاتح الديار الشامية»

٦٨ ـ أم عمارة — أمينة عمر الخراط

«الصحابية المجاهدة»

٦٩ ـ زينب أم المؤمنين — أمينة عمر الخراط

«الصالحة العابدة، أم المساكين»

٧٠ ـ صلاح الدين الأيوبي — د. محمد رجب البيومي

«قاهر العدوان الصليبي»

٧١ـ السلطان المظفر ـ سيف الدين قطز — د. قاسم عبده قاسم
«بطل معركة عين جالوت»

٧٢ـ القاضي عياض — د. الحسين بن محمد شوَّاط
«عالم المغرب وإمام
أهل الحديث في وقته»

٧٣ـ أبو سعيد الخدري — محمد أبو صعيليك
«صاحب رسول الله ﷺ،
ومفتي المدينة في زمانه»

٧٤ـ الإمام الشاطبي — إبراهيم محمد الجرمي
«سيد القرّاء»

٧٥ـ ابن الجوزي — عبد العزيز سيد هاشم
«الإمام المربِّي، والعالم المتفنِّن»

٧٦ـ أم المؤمنين: حفصة بنت عمر — أمينة عمر الخراط
«الصوَّامة القوَّامة»

٧٧ـ عز الدين القسّام — محمد حسن شرَّاب
«شيخ المجاهدين في فلسطين»

مع أطيب تحيات دار القلم بدمشق لقرَّائها الأعزَّاء

١/ شعبان/ ١٤٢٢هـ
١٧ / ١٠ / ٢٠٠١م